



# *La Boutique*

**Oriental Weavers**

A Division of Oriental Weavers

عضو مجموعة الساجون الشرقيون



## لعشاق التميز

8 EL SHAHED ZAKARIA KHALIL STREET, HELIOPOLIS, CAIRO, Tel: 22686690

30 GAMET DAWAL STREET, MOHANDESEN, GIZA, Tel: 33459661

35 ABU EL FEDA STREET EL ZAMALAK, Giza, Tel: 37374411

INTERSECTION OF EL NASR, LAHELKI, NEW MAADI - TEL : 25201054

13 ABBAS EL AKKAD ST., NASR CITY - TEL : 22532601

RAMADA 544 EL GEISH, SEEDY BESHRA, ALEXANDRIA - TEL : 03 - 5551703



رئيس مجلس الإدارة

إبراهيم العليم

رئيس مجلس التحرير

سلامة أحمد سلامة



## كتاب العدد :

- ٤ . أحمد عبد المجيد.. طالب دكتوراة ومعيد زائر بقسم الفلسفة في جامعة إمبوري الأمريكية .
- ٥ . افطوني ديفيد.. كاتب سير ذاتية. يصدر قريباً كتاباً بعنوان: «أحزان الشباب».
- ٦ . جهاد فاضل.. كاتب وناقد لبناني.
- ٧ . خالد منصور.. مستشار إعلامي بالألمم المتحدة.
- ٨ . ساري نسيبة.. رئيس جامعة القدس.
- ٩ . شيرين أبو النجا.. أستاذ بكلية الآداب . جامعة القاهرة.
- ١٠ . عمرو حمزاوي.. كبير باحثين بمؤسسة كارنيجي للسلام. واشنطن.
- ١١ . محمد جبريل.. واثي مصري
- ١٢ . محمد روفو حامد.. أستاذ علم الأوبئة في الهيئة القومية للرقابة والبحوث الدوائية.
- ١٣ . محمود محيي الدين.. اقتصادي وسياسي . وزير الاستثمار الحالي . مصر.
- ١٤ . ناشان براون.. أستاذ بجامعة جورج واشنطن والباحث غير المنزغ بمؤسسة كارنيجي.
- ١٥ . هبة الله مصطفى عبد العزيز.. مدرس بكلية السياحة والفنادق . جامعة الإسكندرية.

رسوم العدد للفنان

محمد حجي



يحظر النسخ أو الطبع أو التصوير على دعائم ورقية  
أو غير الحاصيات لكل أو بعض المقالات المنشورة أو أجزاء  
منها، بغض عن كسبها مسبق من الناشر.



## المراسلات :

الشركة المصرية للنشر العربى والدولى

٢ ميدان طلعت حرب . القاهرة . جمهورية مصر العربية

ت : ٤٩٠ - ٢٢٨٣ / ٤٩٢ - ٢٢٨٣ / ٤٩٢ فاكس ٤٩٨ - ٢٢٨٣ (٢٠٢)

البريد الإلكتروني (التحرير) : e-mail: info@alkotob.com

## الاشتراكات :

السنة الواحدة (أثنا عشر عدداً) شاملة أجرة البريد : داخل مصر : ١٠٠ جنيه مصري - اتحاد  
بريد عربى : ٦٠ دولاراً أمريكياً - أوروبا وأفريقيا : ٧٠ دولاراً أمريكياً - أمريكا وكندا : ٨٠  
دولاراً أمريكياً . باقى دول العالم : ١٠٠ دولار أمريكى .

إدارة الاشتراكات : ٨ شارع سيوفيه القصرى - ص. ب. ٢٢ البانوراما - مدينة نصر  
هاتف : ٢٤٠٢٣٩٩ . فاكس : ٢٤٠٤٨٥٦ subscription@weghatnazar.com

## ثمن النسخة :

في مصر ١٠ جنيهات مصرية - السعودية ١٥ ريالاً - الكويت ١٠٥ ديناراً - الإمارات ١٥  
درهماً - معلة البحرين ١٠٥ ديناراً - قطر ١٥ ريالاً - سلطنة عمان ١٠٥ ريالاً - لبنان ٥٠٠٠  
ليرة - سوريا ١٠٠ ليرة - الأردن ديناراً ونصف - ليبيا ديناراً - الجزائر ٢٠٠ ديناراً - المغرب  
٢٠ درهمًا - تونس ٤ دنانير . اليمن ٢٠٠ ريال - فلسطين ٣ دولارات.

Austria, France, Germany and Italy: EURO 6 - United Kingdom £3 - USA \$ 5.

طبع بطابع الشروق بالقاهرة

## محتويات العدد :

- ٤ . خالد منصور..
- ٥ . «رحلة إلى كابول»
- ٦ . ساري نسيبة وانطوني ديفيد
- ٧ . "Once Upon a Country كان يا ما كان.. وطن"
- ٨ . Once Upon a Country: A Palestinian life
- ٩ . تأليف: ساري نسيبة وانطوني ديفيد
- ١٠ . ناشان براون وعمرو حمزاوي
- ١١ . «الجماعة».. والحزب: ماذا يحدث داخل حركة الإخوان؟
- ١٢ . محمد سليم العوا
- ١٣ . مقدمات: «النظام والإخوان»
- ١٤ . جهاد فاضل
- ١٥ . «توفيق الحكيم» اللبناني»
- ١٦ . محمد روفو حامد
- ١٧ . «داء التفكير العلمي في مصر: متى ياكل الكلب؟»
- ١٨ . التفكير العلمي: تأليف: محمد روفو حامد
- ١٩ . محمد جبريل
- ٢٠ . «المستقبلات: ذلك الجيل الأدبي»
- ٢١ . شيرين أبو النجا
- ٢٢ . «الحارس».. العائلة.. أمراض السلطة»
- ٢٣ . محمود محيي الدين
- ٢٤ . «عن الاقتصاد والنشر ونهضة مصر»
- ٢٥ . هبة الله مصطفى عبد العزيز
- ٢٦ . «هل هي حقا فاطمة التنمية؟».. السياحة والشرق
- ٢٧ . أحمد عبد المجيد
- ٢٨ . «بين الإسلام والنسبية.. سؤال الإنسانية؟»
- ٢٩ . أحمد بن محمد الضبيب
- ٣٠ . محاضرات: «العربية لغة النهضة»
- ٣١ . كتاب جديسد
- ٣٢ . «مكتبة بلاق» وعاء المعرفة.. من الحجر إلى النشر الفوري..
- ٣٣ . إشراف وتقديم: إسماعيل سراج الدين
- ٣٤ . كتاب قرائته ٢٠٠٧
- ٣٥ . إصدارات جديدة

تذكرت غرف كابول الحصينة، التي لم أحتج أبداً إلى النزول إليها، عندما رأيت موقعاً للمراقبين الدوليين في جنوب لبنان، صار أكوام حجارة في صيف ٢٠٠٦ تحت التأثير المدمر للقنابل الإسرائيلية الضخمة

# رحلة إلى كابول



## خالد منصور

سيارة من سيارات المكتب للخروج إلى شارع الدجاج مع زميل إيراني تعرفت عليه في الطائرة ولكن سوء تفاهم أدى إلى وفوضى مع مجتبي داخل المبنى بجوار البوابة الرئيسية تتسول الركوب مع أي سيارة رسمية. زميلة المانية تدعى ل.، نظرت إلى بنصف اهتمام بد مصطنعاً من مقعد القيادة وقالت أنها ذاهبة للعب التنس في مقر إقامة منظمة فرنسية ويمكنها أن تقفنا إلى شارع «الدجاج».

- سائقو التاكسي هنا لصوص، قالت كأنها تلتقط حقيقة بديهية لا يجهلها سوى أنا الزائر للمرة الأولى إلى عاصمة الأفغان.

- تعنين أنهم يبالون في محاسبة الزبائن، ردت بمفوية.

- لا، إنهم يضاضون الأجر عدة مرات، عندما اضطرت ذات مرة لأن استقل تاكسيًا من المطار طلب مني التاكسي اللص أضعاف ما يتقاضاه لنفس الشاؤون من المحليين<sup>(١)</sup>.

- ولكن يا عزيزتي، لا، الضار كله لا يعادل دولارين أو أقل على الأرجح وربما كان هذا السائق هو الطرد الوحيد الذي يعمل في عائلة ضخمة فيها عشرون أخرون يعتمدون عليه.

### واصلنا الحديث في السيارة.

ماذا تعني؟ أتريد أن تبرر التصب؟ ثم إن يعود ظاهرياً من ثلاثة أنظمة للأسعار يفسد السوق تماماً وهذا سيكون سبباً في عدم تطور اقتصاد السوق هنا. في ألمانيا لدينا نظام واحد للأسعار لمساوئ كلفة والنزاور لاحظت أنها استعملت كلفة «المواطنين» للدلالة على أبناء وطنها وليس كلمة «المحليين» التي تشير بها للأفغان، كانت محقة، نظرياً، بيد أن النظريات في أغلبها جافة لا تقيم الأدب ولا تطعم الأطفال في الحال بل تعد ببارخا في المستقبل (سواء كان هذا المستقبل في الجنة، أو في تمام التبوعية أو في «نهاية للتاريخ، مشكلة بصر لتسارعية)، أو ربما اعتضت من أفكارها ببساطة لأنني طيب، كما تقول أمي (والطيبات تستدعي في بلدي مصر وصف الحليين، فيقال كثير «طيب وأهل»)، صديق لم أعد أجتاز به كما أجتازها صديها أو الأفغانية قال لي ذات مرة بعد خلاف مشابه على البشيش لعمال فندق في واحة في الصحراء الكبرى أن المستقبل، المبالغ فيها تصور لي أنني أساعد الناس، بينما هي في الحقيقة تقصد قدرتي على النظر الموضوعي إلى حقائق الأشياء، حسناً إذن فأقبل نفسي على علاء منها وطبيعتها وقصد قدرتها على الموضوعية ولكني مصر على موقفي.

وإن اختفت أشجار وغابات تحت جناتزير الديابات والحاجة إلى وفود التفتنة، حلت محل طرقتنا الصغيرة فوق المدينة على علو شاقق عدة دورات ثم بدأت هيوطاً حزنوياً رسمياً كاحترازاً آمناً ضد الصواريخ الأمريكية ضد القصور، عندها شعرت لأول مرة بدور الأفغان، بيد أنني تالكت نفسي حتى ضريت عجلاات الطائرة المطاطية مدرج المطار الأسفلتي المتشق.

نحن في عصر الطالبان الذين أسكوا بزمام ما تبقى من أفغانستان في منتصف التسعينيات بعد عشرتين عاماً من الاضطرابات السياسية والنضال والجهاد ضد السوفييت والحرب الأهلية المدعوة بين الأشقاء، ونحن في بلاد حظر تجول يبدأ في التاسعة مساءً (معظم عمال الإغاثة يخضعون لحظر تجول يبدأ في الثامنة مساءً)، وصلنا إلى الصباح وفي العصر قررت أن أذهب إلى الشارع التجاري الرئيسي والتي يدعى شارع الضباب حيث البارز ومحال الأكسمة والسجاجيد الأفغانية والخضرة التركمانية وما حولهم من مغولات بدوية قديمة بأهنا أصحابها الذين دارت بهم الدنيا كثيراً وأصنعتهما النساء والأطفال في القرى أو في خيامهم إذ كانوا من الرحل.

يجب علينا الخروج من دار الضيافة التابعة لمنظمتي أن استقل إحدى السيارات المخصصة مع سائق أفغان، هذا أيضاً جزء من الاحتياطات الأمنية التي تتصالح متددة ضد السير كثيراً في الشارع أو استقلال سيارات الأجرة. كنت قد طلبت

٢٠٠٠ لم يكن عديد من الأجانب قد تعرضوا بعد للخطر والقتل والارتباك في عالم ما بعد ١١ سبتمبر في أفغانستان. كانت أكثر الذكريات نظراً في عن التهديدات الأمنية أن أجنابيا يعمل بأشطة الإغاثة أطلق عليه التار في عام ١٩٨٨ بعد أن أخطأ طريقه إلى داخل مظاهرة كانت تسير في العاصمة الأفغانية احتجاجاً على صواريخ أمريكية انهمرت على البلاد عقب تفجير إرهابي أطاح بسفارتنا واشتغل في نيروبي ودار السلام وختل عشرات وجرح آلاف، مسلسل الثأر بين الحكومة الأمريكية والجهاديين (القاعدة أو غيرها) كان قد بدأ مباشرة عقب نهاية الجهاد ضد الشيوعية في أوائل التسعينيات وعودة الجهاديين مما اعتقدوا أنه هزيمة الدب الروس ليشتقوا إلى «الشيطنان» الأمريكي الذي كان يتجول في الشرق الأوسط طوال عقود قبل غزو السوفييت الأولى لأفغانستان.

كانت كابول مقصد شباب أوروبا الفارين من حضارة رفضوا استهلاكها وميكانيزمتها في الستينيات ورفضوا ضدها مشارات حرية فكرية وضمينة. كانت المدينة محطة قبل الأخيرة في طريق حج ينتهي في بيودلهي. طريق اندثر مع سقوطه إلى إيران وختل جيش السوفييت إلى أفغانستان في عام ١٩٧٩. تلك الكابول، التي كانت توفر الماريجوانا والحدائق والغسق الخرجية لتسايب السحابة الغريبيين والأفلام الحديثة والحياة السحر نسبيًا لباكستانيين، صارت نسبيًا متسباً ما زالت التلال المحيطة بها نفس التلال

■ كنت قلقاً قليلاً قبل أن أغادر العاصمة الباكستانية إسلام آباد، في صباح مبكر من أحد أيام شتاء ٢٠٠٠ يادنا أول رحلة لي إلى أفغانستان. شعور سيفسح المجال أمام دهشة مستمرة إزاء إجراءات الحماية المفترضة المحيطة بمكاتب ومقر إقامة عمال الإغاثة الأجانب. أنا لم أعد صنفياً، لم أصد مراسلاً إخبارياً حراً من تلاقيف البيروقراطية، بت أعمل مع مؤسسة كبيرة تقدم المساعدات الإنسانية ويعمل بها الآلاف في شتى أنحاء العالم.

في أحيان كثيرة تصير حواجز الأمن فضاء كبيرة يعيش داخلها هؤلاء العمال والموظفون الأجانب، الذين صرت أنسم إليهم الآن، نعيش خلف أسلاك شائكة على أسوار مرتفعة ووراء بوابات يقف أمامها وجواريها حراس يشبهون في سلوكهم جنود الأمن المركزي الذين يقفون أمام السفارات في القاهرة، يقفون في بعض وجمل ودهشة أو لا مبالاة وتصبر وجواريهم حواجز وظيفتها أن تمنع احتدام السيارات للمكان قبل أن يجري تفتيشها وأحواض زهور تقف على قواعد خرسانية مكملة لتسليم نصف الرصيف لتتبع آثار الانفجارات القريبة وزجاج مقاوم للتحطم إلى شظايا، وفي البيوت التي يقف بها عمال الإغاثة الأجانب (دور ضيافة تابعة لمنظمتهم) وكهرباء الجهر (ذا التضمح أحدهم المجهى، رغم كل هذه الاحترازاات الأمنية) توجد غرف محصنة ضد التظايل والغنابل المصغرة تحت الأرض ينزل إليها يسلم ولها أبواب معدنية وبها مخزون من مياه الشرب والطعام الغلب والبطاريات الكهربائية تكفي عداً أيام لفلاذ المكان.

تذكرت غرف كابول الحصينة، التي لم أحتج أبداً إلى النزول إليها، عندما رأيت موقعاً للمراقبين الدوليين في بلدة الخيام في جنوب لبنان، صار أكوام حجارة في صيف ٢٠٠٦ تحت التأثير المدمر لعديد من القنابل الإسرائيلية الضخمة التي سقطت على الموقع وأحاطته وعرفه الحصينة إلى حطام. كان الشارع في جنجا أو اثنين من بقايا المراقبين الأربعة المتساع صعباً، إذ سحقتهم كل الخرسانة التي كانت مكلفة بجماها إسعادهم.

ربما توفر هذه الحماية الفائقة (ولكن غير الكفء في أحيان) حتماً طباً في هجمات إرهابية أو من طالبي العمل أو المتظاهرين المشغولين إثر حادثة أو أخرى. وربما تتيج هذه الحماية إمكانية العمل في مناخ وادع تنافس كثيراً من البيئة المحيطة بضجيجها والباحا وقهرها وخطفت عيشتها، ولكن هذه الحماية أيضاً تحرمنا من أي ذكر للجمع الذي نحاول أن نساعد، معزولين عنه مضاعفة بسبب الحاجز الفوقي، عندما وصلت إلى كابول في شتاء



توقفت له. أمام شارع «الدجاج». نزلت  
أذا وصديقي مجتبي من المقعد الخلفي.  
نظرت إلى صبر ضابط أمن أسترالي كان  
يجلس بجوارها في المقعد الأمامي قائلة  
أن علينا الانتظار في تمام السادسة مساء  
في نفس المكان كي نقلنا عائلتين إلى دار  
الضيافة بعد أن تنتهي من لعب التنس.  
لم تستغرق الرحلة كلها بالسيارة التويوتا  
البيضاء المائتة ببطء تفرسه حفر  
الطرق سوى عشر دقائق. اضطرت له.  
للإبطاء قليلاً خلف سيارة نصف نقل تقل  
حوالي خمسة من الطالبان المسلحين في  
صندوقها الخلفي. ضربتهم الدمشية  
ومشاعر الاستهجان بوضوح عندما تبينوا  
أن هناك ثلاثة رجال يجلسون في السيارة  
السايرة خلفهم وامرأة تقودها. أخذوا  
يشيرون إلينا مبسمين بصورة كأنها تقول:  
«يا أيها المخنثون، لماذا تقود سيارتكم امرأة؟»  
والفعل أحدهم وهو يبعث الأسترالي  
الجالس في برود في مقعده أن ينتقل إلى  
مقعد الشياة.

كان من المستحيل في معظم الأوقات  
وفي كل زيارتي اللاحقة أن أتأكد من  
إجراء حوار مفيد أو صميمي لأي من  
الطرفين مع أي من الطالبان. لم تكن  
هناك مساحات مشتركة بيننا في حقيقة  
الأمر. شباب في أواخر العقد الثاني وأوائل  
الثالث هجروا مدارسهم في أفغانستان  
وباكستان في أوائل التسعينيات ومملوا  
الصلاح من أجل أن يفرضوا نظاماً  
يتمخذهون أنه إسلامي خالص على بلد  
مسلم كانت تتناوشه من كل الجهات فصائل  
المجاهدين الدموية. حياة الطالبان تأكيد  
لرجولة ذكور الباشتون (ومعظم الطالبان  
من هذه القبيلة) وتمجيد للسلاح وتقديس  
لمهوم ضيق جامد عن الدين وتبجيل  
للجهاد المسلح والعنف. وهي كلها أمور لا  
تعتني.

قلت لزميلتي له. ألا تبالي بالعودة  
لأننا سنقطع الرحلة القصيرة عائلتين  
على أقدامنا. نظرت إلى بعيني أم قد ملت  
عجز صغيرها عن فهم الأوامر الواضحة.  
غيرت له. وضع عصا التروس في السيارة  
وانطلقت دون أن ترد علي.



كانت السوق مهجورة. لا كهرياء. يدل  
على غيابها منذ مدخل الشارع صوت  
وشيش مولدات كهربائية صغيرة معظمها  
حمراء اللون وزلاجة العادم الكربوني.  
التيبعت منها. بعض أصحاب محال السجاد  
ينتظرون حتى تقترب قبل أن يجذبوا حبالاً  
قصيرا يشغل المولد - ربما توفيراً للوقود.  
برؤوس محنية كنا ندخل إلى  
الحال الواطنة الأبواب.





امسكت امرأة في المتسربات كما صرت اسمين بهرق في بقعة حاجاتني. دفعها رجل عابر بعيداً عن كاتها حيوان اليف ارتكب خطأ ما عن عنفا بالباشتو دون أن ينظر ناحيتي إطلاقاً. فحُثت باب السيارة ولكن متسولة أخرى مرقت بيني وبين الباب وأنا اتخذ متعدي ممانعة إياي من غلافه. تمثيت كثيراً في حياتي أن أخشى هجاة وبسرعة أو تشق الأرض وتيلعنني. هذه الأمنية كانت تشد وأنا طالب صغير في مدرسة أم المؤمنين الإبنانية بمدينة المنصورة في دلتا مصر عندما يناجيني مدرّس فاس يسأل: لا أعرف الجواب له ولكن أعلم عقاب الجهل به. تمثيت مع هذه المتسولة أن أخشى في ساحة من الدخان مثل الجنى في القصص القديمة الساذجة. كم يكن إيمى أي مال ولم أستطع حتى أن أعتد بلقة لعرقها أو أطلب مالاً من السائق لأنه كان قد سارع بالخروج من المكان تاركاً إياها وأهله في مكانها. وراحت مناشأتي بالتلف ضحية سرعته وضجة محرك السيارة وعدم إصراري بما يكفي.

بعد يومين في كابول يشعر المرء بالتأرجح بين حياتي متباعدة في نفس المدينة، متحرّكا من مكتب متطور مزود بكل أجهزة الاتصال بالأقمار الصناعية إلى مقر إقامة نظيف مجهز بتوصيلات الإنترنت وأجهزة التليفزيون وبمحطات فضائية بالأنجليزية والفرنسية والعربية إلى مجمعات إيواء مفرغة لألاف النازحين الفاحشة أجسادهم من الجوع والنشب المفتقرين إلى أبسط مقومات أبسط حياة إلى مخيمات المدرّج في مراعى مؤقّتة خارج المدينة يسبحون منازهمهم ويرعون جملاتهم بينما يمر الطالبان في سياراتهم ذات الدفع الرباعي واسلحتهم البارزة من التوافد الدافكة.

كابول، الآن رهيبة، قال لي حميد مضيف ريار دار الرهيبة.

وأضاف، كنا أفضل قبل أن يسقط طالبان على هذه المدينة. نعم كانت هناك حرب طائفة طوال أكثر من ست سنوات، نعم كانت هناك صواريخ تنهمر يومياً من كل الاتجاهات، ولكننا كنا أحراراً.



عبرت سيارتنا ببطء مدخل دار الأيتام الكبيرة وأغلق البابوة المائلة في صرير مدوي حارس عجوز. أربعة مبان يكسوها طلاء أبيض شاحب ويحيط ويحرس فيها ٤٥٠ من الأطفال، الصغار حتى الصاعدة يدرسون سويًا، بنات وأولاد يعيرونهم الواسعة وما تبقى من فضول وهشّة راج معمرته مع مرارة اليتيم وحديدية نظام الدان. من يتعدون السابعة يتم فصلهم عن

محملة ببالات الأقمشة والبضائع. زحام يصم الآن بضجيجهم ويقتحم العين مالها بانداغاته.

أين هذا من الصمت الحزين ولون الرماد الجاثم على شارع الدجاج في قلب كابول.

في طريق العودة إلى دار الضيافة كان سائق التاكسي المرح يتحدث بعفوية نصف طليقة قائمة من سنوات قضائها خلف مقود آخر في سوريا والعراق. لعل بعض عدم حافظته وأرائي لخصّة قيادة سورية منتهية الصلاحية عليها صورة.

مشهد النساء في شوارع كابول الحزينة أو بالأحرى اختفائهن القسري منها سواء في بيوتهن أو تحت برقعهن هو ما جعلني مشدواً على كابول يومى الأول. تسرع والباشتو<sup>١</sup>. معظم الشادور زاه وأخرج النساء في خطوات قصيرة تحت الشادور، أو البوركيا، كما تدعى بغزني الدارز والباشتو<sup>٢</sup>. معظم الشادور زاه وبعضه أصفر قابع وهناك أسود وألوان أخرى. كثيرات تجرعن ذيولاً متريّة لهذا الرداء غير الإنساني<sup>٣</sup> وبعضهن يجنين الديول القماشية أو يتركنها لقيصات أطفالهن الحفاة وبن يتوقفن أمام السائرين طلباً للصدقة. وعنده ما ترفّب إحداهن في طربا الطريق تجذب القماش الذي يستر وجهها تشد الشبكة التي تغلّي عينيها لأسفل وتطرقني بدمعة ثم تعبر. معظم النساء اللاتي رأيت في شوارع كابول والقرى القريبة منها كن في الشوارع لادنهن يتحدن أو يشتترين أشياء قليلة ويسمرن في طريقيهن. كثيرات منهن كن يتوقفن عادة أمام مطاعم المشويات بالقرب من سينما بارتك (التي توقفت عرض أفلام من زمن طويل) في وسط كابول أو قريباً من قمار ومكاتب منظمات دولية أجنبية على غار في البلاد.

خارجاً من معظم هيرات في قلب كابول بعد وجبة دسمة من الضان الشوى وهنه السائل على قطع اللحم الطرية واللبن الزبادي الذي أطفا قليلاً من حدة شرائح الفلفل الحارقة واليصل الشافذة.



أسواق راولپندي في  
باكستان ودلهي في الهند  
تكتظ أحياناً بالناس حتى يخيل إليك  
أنك لن تشتري شيئاً ولن تصرف  
أن تصود من حيث أتيت



أيدي معظمهم ومدافع رشاشة مترهلة على جوانب قلة. عيونهم مكتحلة وروؤسهم تعتمر عمامات سوداء حريرية ونظرة هائلة في قسوتها وتصميمها تكسو وجوههم العنصرية.

سوق تعيش حالة حداد ملعن غير معروف حتى متى سينتصر سوق كنيبة وعروسة لن اعتاد مثلي على أسواق راولپندي ودلهي والقاهرة وحتى في نيويورك.

الهند تكتظ أحياناً بالناس حتى يخيل إليك لن تشتري شيئاً ولن تعرف أن تصود من حيث أتيت. يتكاثر الناس ويحتكون كثيراً ببعضهم البعض. شكت لي صديقة إيطالية كانت تزور راولپندي معي قبل ذهابي إلى كابول تلك المرات أن عيني قد صرخوا بعنف في مؤخرتها ذلك الصباح الذي قضيناه بالأسواق. وكان خان الخليلى سادراً بشارته المقرعة وشارع المعز وجوه القناد حتى أحالت الشلقة يد التجديد والتحديث الحديدية إلى فحار مستمرة لسنوات لم تنته بعد (وأنا أكتب الآن في أواخر عام ٢٠٠٧) الخان قادر دائماً على دفع الهوة إلى الخلف طالما دلتف إلى شوارع جانبية وخاصة تلك التي التجارية. وفي نيويورك لا أفضل من التكاثر في صهاض أحد في أسواق البق - ويدهونها كذا بيد تقطيل من أناها - حيث تباع الكتب والملايس والأدوات الكهربائية والتحف المستعملة والرخيصة.



في كل هذه الأسواق هناك مساحة للسور. حتى لو تلاحموا. ولتدخين الأريحية والوجبات السريعة والبطيخة وأنت محاط بسباح مندهشين وتسود متفتحات بعلامات سوداء وشباب وبنات يحلبن من الد في شبرتات، الملوقة والبنتفلوات الجبّتي والرجال يتمصان متريّة أو جلايب أو شورتات. ودراجات وعربات يد صغيرة

رائحة قوية لمطرزات التركمانية باحمرها القاني وخضرها الدان وأصفرها الزاهي وأزرقها الكلبي - مطوية في أكوام يصل بعضها إلى الستف. وزود كبيرة في تصميمها خرم. صعب على أن تخيل كيف خطر هذا الاشتعال الملون على مخيلة النساء (وأحياناً الأطفال) الذين طردوا أنه نسجوا هذه القطع البديعة في بلد اختفت غاباته كلها وتكاد وضاعت لتستحيل اللون الواقع إلى درجات من الرمادي تنتهي بالأسود. رائحة قوية تقرب العطر ولكنها ليست كذلك. رائحة الزمن على مطرزات وساجيد لم تتحرق من مكانها منذ مدة طويلة. رائحة الكساد كانت.

وبعد ساعة من التجوال بين المحال وعدة أكواب من الشاي الأخضر غير المحلي المصنوع بطبق زجاجي صغير به شكل كسكس ملونة يمكن أن تصمحت تحت نساك لتسحر حدة الشاي المر، صرنا السانحين إلى الجيبين الوحيدين في السوق وريما المستوقفين الوحيدين، حتى النسوة المتسربات يبرقعن واللاتي كنّا نستخدمهن عندما اندفعنا ونحن فضلت من نكت نأخذها إلى داخل محل تصمحت تركمانية، كن بانعات لحليهن ولنسن مشتريات لحلي جديدة.

تسمر مجتبي عند المدخل بعد أن كنّا نترامس مع النسوة الوافقات في الداخل واللاتي تميزن عن متسولات شوارع كابول ببراقع مكوية من خامات يبدو ارتفاع لمنها النسبي ولفة صنها. سحبن من مرفقي بقوة لتترك المكان لهن.

سعدني نحن أن نريد أن نكون مع هاته النسوة داخل الحل إذا حاجنا طالبان. همس مجتبي.

الطريق إلى الشارع قليل نواب المارة ويراقبوننا.

اشترت سواراً فضياً دقيق الصنع - لكن في بدايةي قليلة محببة - من أجل زواجي. لم يكن هناك مولد كهرتة لدى هذا البائع الجاد السخنة. اعتمر طافية مطرزة رايحة الألوان ومشقوقة من ألوانها مثل معظم طاجيك كابول. لنا قام بأخراج بضاعة على مفرش تركماني أحمر مطرز بدود كبيرة إلى الرصيف الضيق حيث جلسنا على منعد خشبي طويل نلقب في الحلبي. معظمها مشقولات هلاكية الشكل تغلق في سلاسل على الصمد أو توضع تبجاناً على الراس. لترط أحزمة على الصدر. تلبس أساور حول المعاصم أو تغلق أقراط على الأذن. يصل شمس رائحة في وقت انتصف بين العصر والغرب انعكس قليلاً على قضة الحلبي الصفرية بينما كانت معظم المحال تبدأ طقساً حزيناً حتى تغلق أبواباً ربما لم يمر منها متسوق واحد في هذا اليوم. مر بعض الطالبان وعسى في



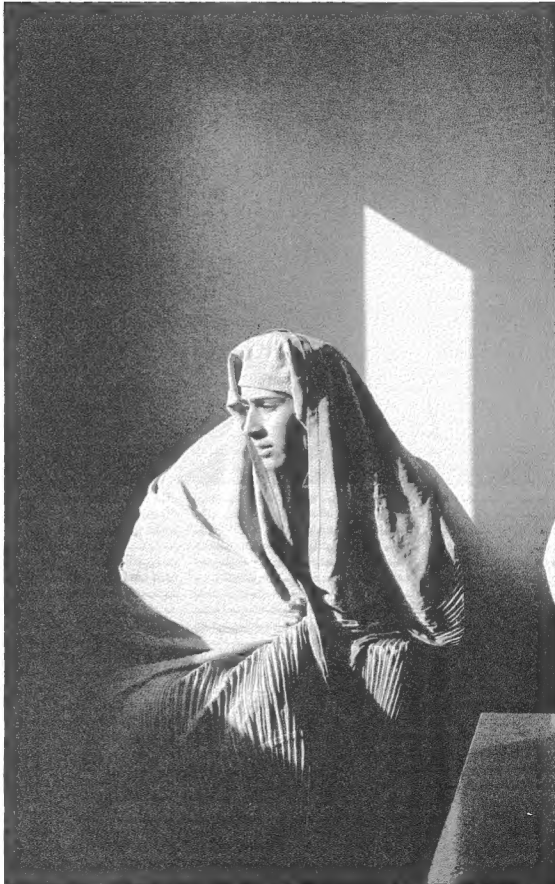
بعضهم البعض، فالأولاد في فصول والبنات في أخرى. فاعات الدرس غارية سوى من حصر بلاستيكية يتجمع عليها الأطفال في حلقات ويهود اليهم صدى أصواتهم الرقيقة من الحوائط والأسقف العازية يكرر عليهم آيات القرآن بالعربية. يتعلمون الكتابة بأحرف طفولية مائلة على سبورات من طلاء أخطر على الحائط في مقدمة الفصل. يجلس المدرس مترعاً على الأرض في المقدمة ينزى أفعافى تقليدي وتقمع بجواره عصا رقيقة طويلة. تفاخر مدير الدار قائلاً: «ندرسهم أيضاً مبادئ الحساب والعلوم والاجتماعية.. مائة وعشر بنات وثلاثمائة وأربعون صبياً يقيمون في هذه الدار الجرداء حديثتها من الخضرة والألوان. ومن البهجة.

في المطعم الكبير تتصاعد الأبخرة من قدور ضخمة وطلهاء يلقبون عصيدة فيها مغارف حديدية طول يدها يزيد على المتر بينما سواد السناج يلف القدور ويترك بصماته على السقف والجدران. الأطفال يعبرونهم الزائفة يتوهمون عن الإرداء طعامهم عندما تدخل مع المدير ويقولون في صوت واحد: «السلام عليكم». رفض المدير أن تدخل معي زميلتي ك. عرف نوم الأطفال لأنها «كافرة» ولا يجب أن يسمح لها ببقائهم. بينما يمكن السماح لى لاسى مسلم. ابتسم المدير العشريني كاشفاً عن أسنان مثقوبة فقلت له: «ولكنى رجل وهى امرأة ونحن الآن نرور قسم الفتيات». فرد دون كثير تفكير قائلاً: «المدير من حق أن يمتنع ويسمح لآى زائر يشاء الدخول إلى المبنى». ويبدو أنه تذكر حجة إضافية قوية حيث أضاف بابتسامة مازكرة: «ثم إنك أع مسلم رغم هذه. وهو يشير بيده إلى ذقن الحليقة ثم يمسد بنفس اليد لحيشته الطويلة غير المهدبة.

في الحقيقة لم أغضب كثيراً لأجل السيدة ك. التي كان غمورها وصلفها مهيناً بين الحين والآخر لزملاء أفغان في المكتب. يشتر بعضهم إلى الكفاءة لا شك وآخرون يتمتعون بقدره فائقة على التكاثر ولكن نسبة الفاشلين والكسالى بين الزملاء الأفغان لا تختلف كثيراً عن نفس النسبة بينما نحن الأجانب الذين نتقاضى رواتب هي أضعاف ما يتقاضاه الأفغان وعشرات أضعاف راتب موظف الحكومة الأفغانى (هذا إذا تلقى مثل هؤلاء الموظفين الصابرين رواتبهم بانتظام).

داخل الغرفة التي سمح لى المدير الطائلى بدخولها كان القشية والقشبات زائغى النظر شاحبى الأوجه، ملطخين ببقع بنفسجية من دواء رخيص لمعالجة مرض جلدى متفش<sup>(١)</sup> بين أطفال أفغانستان. وهتفوا جميعاً. حوالى العشرين منهم بصوت واحد خفيض ومرتمش: «السلام عليكم».

عندما دخلنا الغرفة



Alex Majoli-Magnum Photos







Abbas-Magnum Photos

المراقبون وبعض موظفي الإغاثة وستة صحفيين وكاميرات تلفزيونية كانت كلها تفرق النساء المتسربات ببراقعين في جوارب الحديدية الداخلية المثقبة لليبست الصفيير.

تستظر صحفية صغيرة السن ومحمسة حولها في عدم تصديق تحييط بها بعض النسوة وبطء تقدم واحدة تلو الأخرى برفع البرقع عن وجوههن والقاء جوارب الحديدية المثقبة كالنساء كانما خلف ظهورهن. وتشير الأولى إلى رضيعها القلق على صدرها وتقول بهيس جول، (البنت زهرة) ثم تشير بإصبعها إلى نفسها وتقول «سكينة». وتتدافع النسوة كأنما فاضت مياه على سد جاثم؛ وأنا ..... وأنا ..... وتتأثر إسماعيلين في قضاء الحديدية الجرداء سوى من ظل نقره أفرع شجرة ععلش. تهافت النسوة بإسمائهن واحدة بعد الأخرى والصحفية يسرعة عصبية تحرش الأحرف اللاتينية على أوراقها وبعد الزيارة تسعى للتأكد من الهجاء الصحيح من مراقب الغالي ومعنى بعض هذه الأسماء. وفي لقافة التي اشترتها بعد أسبوع ترسم صورة نساء يردن أن يعرفن العالم.

لن نقرأ هؤلاء النسوة

على الطالبيان في عام ٢٠٠١، نالوه أحد جنود الطالبيان سلاحه فأخذ المراسل السمين يتقاطر فرحاً في الصحراء وهو يطلق زخات بعد زخات من المدفع الرشاش في الهواء.



بعد عامين من أول زيارة لي وصلت مرة أخرى إلى كابول التي صرّت أعرفها أفضل قليلاً. كان الشهر فبراير ٢٠٠٢ وكانت القوات الغربية بقيادة أمريكية قد أطاحت بالطالبيان بعد أسابيع من تفجيرات نيويورك الإرهابية التي قتلت ما يقبل قليلاً عن ثلاثة آلاف شخص في برجى مركز التجارة العالمى. الولايات المتحدة اتهمت أسامة بن لادن وتنظيم القاعدة بتخمينط وتنفيذ التفجير ولم تنكر القاعدة أو بن لادن هذه التهمة.

وصلت المدينة برفقة مسئول دولي كبير. في المطار كان هناك استقبال رسمي بسيط تدفع بعدهما موكب السيارات الطويل إلى مشروع تدبير النساء في حي مدفع القصر في المدينة. ضباط الأمن

مثل هذه الأمم يفتشون إلى العلوم السياسية والموهبة الإدارية والحنكة الاقتصادية والخبرة في إدارة الأموال وأمر كاطباء ريفيين أو مدرسى إرساليات أو موظفى برید أو جنود عاديين... إنهم الطبقة العليا للفقراء والتي تصور على الحدود جنوباً إلى بيشاور يقول: «خذ منهم السيارات والتشاحنات التي تزدحم بها شوارع المدينة الضيقة وستكتشف أن بيشاور لم تتغير قيد أنملة منذ زمن كيننج».

بيد أن هناك كتباً أخرى كثيرة (الظفر ملحقا في نهاية الفصل) لا تقع في فخ الحساسات الاستشرائية التي تشوه الواقع تحت وهم التلخيص والتي تلهث في سعيها المحموم إلى المخامرة مع المجاهدين المسلحين إلى حد قيام بعض هؤلاء الكتاب بالاشتراك الضلعى مع المجاهدين في إطلاق النار على الشيوعيين. ولا يقتصر الاستشراف أو حب المخامرة الحمقاء على الغربيين، فمن ينسى الصحفي العربى التليفزيونى الهمام الذى زار صحراء قندهار مع وفد إعلامى قبل بداية الحرب

ويكرر ثمرات لا يمكن التقاطها سوى على المفاهى أو من الأدلاء السياحيين وما شابه، مثل أن أصل اسم «أفغانستان» هو «ياغيستان»، وتعنى «أرض المتعمرين أو الذين لا يمكن حكمهم». حسناً، معظم المصادر الأكاديمية تعتقد أن أفغانستان مركبة من شقين: «الثنائي» «ستان» ويعنى أرض في اللغات الهندو أرية الأصل (ومن هذا أسماء طاجيكستان أى أرض الطاجيك وباكستان أى أرض الأتھار... إلخ) بينما يشير الشق الأول «أفغان» إلى «الضريسان» أو «مروضى الخيول». ومنذ العصور الوسطى شاعت كلمة أفغان مع اسم قبائل الباشتون التي سرعان ما سيطرت على البلاد لتسحب اسمها عليها كلها بعد أن كانت مقسمة إلى مناطق متعددة مثل إمارة بلخ ومملكة كابول. وظهرت كلمة أفغانستان أول مرة في كتاب المؤرخ عربى مجهول صدر في عام ٩٨٢ ميلادية وهو كتاب «حدود العالم من الشرق إلى المغرب» ولا يتوقع كاتب آخر<sup>(١)</sup> مثلاً عن القول بعد أن التقيت مع بعض زعماء المجاهدين الأفغان إنهم «يعانون من نفس النقص الواضح في الموهبة الإنسانية كما هو الحال في المجتمعات المختلفة». وغالباً فإن زعماء



مقاتلها أبداً على الأرجح. ولكنهم ربما في مساء لغفلتهم بنا حبكنا لأرواحهم وأطفالهم في المرة البيضاء الأجنبية التي كتبت اسماءهم وعن إيليا يأمل أنهن قد يتلقين حصاراً إنسانياً أكثر وضوحاً من الأربعة الخمسة الآلاف يحملن عليها لكل عائلة يومياً. وربما تكون الزيادة في حصة الإغاثة من أجل العيد المقبل فقط وليست كل شهر. وحتى لو كان أهدأ مكاناً، فلا بأس. كم من الضراء الأفغان نطقوا أسماءهم ببطء وصبر أمام رجل أجنبي أو امرأة أجنبية: من الصحفيين إلى عمال الإغاثة. من المهاجرين إلى القناصلين بالتمتع. ومن الخبراء الأجانب إلى المستشارين... إلخ.

قريب المستول الكبير على الأرض فرفضنا ليتحدث مع ثلاث نساء افغانيات عبر مترجمة. سألتهن المترجمة أن يتحدثن عن شعورهن وعما يطعنهم أطفالهن وكما عدهم. أخبر الصحفيون والصورون حول المجموعة الجالسة بينما كان مدير عملية السيد م. واقفاً بالقرب منهم وعن الإشارة لتقديم المعلومات والأرقام والإحصائيات.

أمام المنزل الواقع في حي ضرمت نصف ألبنة مقابل الحرب الأهلية كانت السيارات البيضاء اللاند كروز السبع تسيطر على الشارع الضيق الذي يشبه وجه مريض بالجدري، نحتوا وتشوها وحضر. بينما تتولى هيئات المجاري القبلية في الرأكة في خطوط مترجة حول الإفراط الضخمة. ترهف اعلام صغيرة على صوار معدنية قصيرة في مقدمة السيارات. يبدو رجال الأمن لا حياء حريق خال ويتناقص صغار الموظفين على المستول الكبير ويعدو، اخرون إلى سياراتهم وتعمل موسير عام لسيارات وترفع بعضهم ثم نفضي في طريقنا إلى المجمع السوفيتي.



كان المجمع السوفيتي أو بقيادة شاهدة حية على الانتصار الأفغاني على السوفيت (بكل معاني كلمة الانتصار ومنها انتصار القبلية على المدينة والريف على الحضرة...) انتصار تراه في أفغان الخبز الطينية المنتشرة في شرفات المباني السوفيتية الطراز التي شاتل المباني الشعبية المخروقة في أرض معظم مدن مصر منذ الستينيات ماوى لباقيا الطينة السطلى. أو إلى البالي السكنية التي ما زالت قائمة على كل الجيهوديات السوفيتية السابقة تقريبا وخاصة كلما ابتعدت عن شرق أوروبا نحو الفوقا وآسيا الوسطى. مبان تشيبت معاصديك ذات الفحات التي كنا نستمعها ونحن صغار لتربية دود رد الحرير.

كان هذا المجمع في كابول سكنا لآلاف

ويطابقين يغلون بها الفحات التي صارت صغيرة.

دورات الجهاد العامة حضر في الأرض تداربها من العيون المتلصصة صناديق خشبية لها أبواب لتراقص بجوار بعضها البعض. وفي وسط كل صندوق حفرة كبيرة للبتزبز بينما يتسرب البول في مجرى مصفوي الطين خارجا إلى مجرى أكبر يمر وسط المعالم المكعبة ذات الأذوار الخسفة في طريقه إلى مقبب قمامة في الطرف الآخر من المجمع (كان المقبب وفقا لأحد النازحين ملاعب أطفال فيما مضى). وأم من الأطفال. جموع غفيرة منهم مستعدون دائما لتحليل أي شيء وكل شيء إلى مفارقه. ليعاربهم الله بجهلهم ويجهله دائما مصدر ساءه لا شفاء. إنهم يجهلون إن هناك حياة أسهل بكثير وظروفا معيشية أفضل يمارح على هذه الأرض. لم يروا أبدا مياها تزلج من صنادير في المنازل. لم يعرفوا هؤلاء الغافرة، أو فصول المدارس. لم يعرفوا الأسرة. الكتب. كوب اللبن الساخن في الصباح. فناء المدرسة. كراهية المرسين. الواجبات الثقيلة. متعة اللعب على الأرجوحة وتحت أي مرة تقود فيها دراجة طاملا نصبت أن يسمع لك يركوكها ... مباركين ما لأنهم لا يعرفون أن هناك عالم آخر يمكن أن يعيشوا فيه بدلا من السطح البشري ذي الروائح العنيفة والذي يجمع بجرمه الهائل على الجسد والروح.

يتناظر الأطفال وهم يطمرون كلماتهم الإنجليزية القبلية علينا ويتوقفون في حركات استعراضية أمام الكاميرات التي لم تعد تيمرهم كثيرا بعد أن رأوا مشاتل الصحفيين ورعاة. المرة الوحيدة التي نأوشهم شعور من الخجل يومها أمامي كان عندما أريتهم صورهم على شاشة كاميرتي الرقمية. صمتوا لحظة ثم انفجروا ضاحكين وجروا بعيداً وأذهبتهم المطاوعة من المصنوعة من إطارات سيارات مستعملة تخلع عن كواحلهم بين الحين والآخر. سيمضون عدواً، ربما إلى اسمائهم أو أشقاتهم. ليقصوا عليهم هذه الحكاية



كانت كابول مقصد شباب أوروبا الفارين من حضارة رفضوا استهلاكيتها وميكانيكيتها في الستينيات ورفضوا ضدها شعارات حرية فكرية وجنسية. كانت المدينة محطة قبل أخيرة في طريق حج ينتهي في نيودلهي



الجديدة على شاشة كاميرا هذا الغريب الجديد. انسان منهم ما يترك المكان متسقلين بإشغال فارام ما بدا أنه كان خفية مسرح. قال لي أحد اللاجئين إن هناك مكانا كان يراقبهم من الجدران. بالهول ما جرى إن! أسقف البناية يتوه منبعا إلى الأسفل وخشية المسرح خالية تماماً سوى من كتابات يفتحهم أسود على الحائط الخلفي. مصورون جغرافيا آخرى يواصل التقاط الكادرات بينما أنا ... أنا متعب. أخرجرجر الأقدامي إلى السيارة وأجلس بداخلها وخلف زجاج الشافذة المشرق وجه ذلك الصبي العجيب وهو يرفع فمها لتجأحي بينما تقبض يده الأيدي على كرسي. فتحت النافذة وأعطينته قلبي فاستند بأصابعه وأضغ وعضى. أنا كما تبنيته منهم نحو الساعة في هاليز المكان الذي يضم أكثر من عشرة آلاف شخص. صامت على عكس الشوارع ولا يتحرك أمام المدسة من أجل أن يدخل في الإطار الذي أصنعه رقميا لحياهي.

قبل أن أغادر المكان تذكرت كبير اللاجئين بكرته المكور. كم أزه هذه المرة. سألت عنه فقال لي أدهم بعد شيء حرج إن الرجل أنهم من جانب الإدارة الجديدة بأنه كان منسية للطلاب. وربما كان كذلك بالفعل. ربما.

بعد أن غادرت المجمع السوفيتي دون نظرة واحدة إلى الزواء وبعد عدة شوارع طلب مني مصور يعمل مع وكالة مقرها نيويورك أن توقف تصوير مزيدا من الأطفال. وفي السيارة قال: كم هم رائعون وطيبون هؤلاء الأفغان. قد نمتحناهم الآن ككاتبين سوريوناً هنا لاسماء لغلاتهم. ليس أمرا رائعا أن نهب لهم بعض السعادة؟ تناول السيد م. مدير عمليات الإغاثة، فداء في صمت. كان قد استمع إلى كثير من المديح وبعض النقد من المستول الكبير الزائر. يرى المستول أن يكون هناك توازن بين الرجال المسجونين المستعبدين من المشاريع والعاملين عليها. ويجب تمثيل مزيد من النساء في المكتب ويجب مساعدة ككاتبين سوريوناً هنا لاسماء لغلاتهم. ليس اندحار الطالبان. رد المدير قائلا: ولكننا حاولنا وعجزنا عن الحصول على نساء مؤهلات لتولى الوظائف الشاغرة لدينا.

كان م. ممثل معظم عمال الإغاثة الاحترافيين والمؤمنين بأهمية عملهم وإنسانيته وحياديتهم. يتبع ويتنقل في النظام والإجراءات المطلوبة. يحترم المسؤولية أمام الجهات المانحة ويصدق على استنفاد المحتاجين دون فيهمهم. وماهر في إدارة عشرات من الأجانب من بلدان مختلفة في مشاريع بمئات الملايين من الدولارات. كان خبيراً في هذه المجالات وعلى درجة عالية من المهارة والنزاهة. يحب الأرقام ويستظفرها بسهولة ويسترجعها بسلامة. يحب ما يصفه بالأدلة الموضوعية





■ ■ ■ في صغري كنت، أيما ذهبت، أتعثر بأثار تاريخ عائلتي في القدس. مرة أخبرني والدي بأننا المسيحية تحدثنا من سلالة طويلة من اللصوص. وشرح لي، بتعبير بين الحد والتهزل، ما نكل العائلات الكبيرة ترجع إلى أصولها إلى شبه فضاء طرق. أظنه قال ذلك بسبب ميل العربي المعتاد إلى الافتحار بجدوره وكان أبي يعطيني مزاراً في طمولتي بأن على العيش في الحاضر. ورغم أني لم أستطع أن أقع على اللصوص في أصل عائلتي بالتحديد، ولكنني لم أجد

صعوبة في العثور على شواهد قبور منقوش عليها أسماء كانت لحق بي. بسحر الخيال. إلى أسلافي منذ ١٣٠٠ سنة رجوعاً إلى رمال الجزيرة العربية الساحنة.

تبدأ قصة عائلتي في القدس مع (إسراء) (النبي) محمد. في الوقت الذي أسرى فيه الرسول، كان قد أجمع مع فئة من رفاقه على الخروج من مكة إلى المدينة. وفي ضواحي هذه المدينة الصحراوية التقى بأتباعه الأوائل، رؤساء أربع عشيرة قبلية يابعدوه على الولاء له وللإسلام.

ومن دواعي الدهشة، إذا أخذنا بعين الاعتبار نظرة العالم المعاصر إلى دور المرأة في الإسلام، كان أربعة من رؤساء القبائل الأربع عشيرة، من النساء. وأحدها كاتب سبئية، من قبيلة الخزرج المقاتلة (كانت تدعى أيضاً أم عماره المازنية الحزرجية من بني عامر الانصارية) ويعد عودة النبي محمد من رحلة الإسراء، بدأ هو وانصاره يصمتهم بسببية وقبيلتها يجعلون من القدس قبلة صلاتهم

كانت سبئية، السلف الأعلى لعائلتي، مقاتلة لا يشق لها غبار. استطاعت وهي على ظهر الخيل أن تذود ببراعة وتأمين عن الرسول مصحبة بنفسها وفلذات كسدها. في إحدى المعارك قتلت اثنين وسافوا ومع ذلك استمرت في القتال. وتروى الحكايات

'Once Upon a Country, A Palestinian Life' By SARI NUSSIBEH with ANTHONY DAVID

ترجمة: بثينة الناصري

ومتفشاً في عيشه وملبسه. كان أيضاً قائداً عسكرياً من طراز الإسكندر الكبير ونابوليون، وقد قاد جيوشه من نصر إلى آخر. وكان يتبعه تحت راية الإسلام، أولئك الذين كانوا حتى ذلك الوقت، قبائل من الغزاة غير المنظمين ورةة إبل. وتحت امرته، اقتحموا أرض فارس ومصر وبيزنطية، ويميزهم من الشجاعة والتخطيط والشدة، فرصوا سطوتهم على حضارات قديمة. سقطت دمشق وبيعداد والقاهرة وكان على الشعوب والأديان المختلفة التفاهم مع هذه القوة

# كان ياما كان

الديناميكية التي هزت أركان العالم القديم.

في هذه الأثناء وصل مصر إلى أسوار القدس. وقد عم الهلع سكان المدينة، فقبل أقل من قرن، نهبت جيوش الفرس القدس وأحرقت معظم الكنائس والأديرة وبُنيت الآلاف من أسلحتها. وهكذا باستدعاء هذه الذكريات في مخيلتهم توقع الناس أسوأ مصير.

كان أكثر جزء أحيه من تلك القصة وأنا صغير، هو كيف فتح عمر المدينة. ومن كل شكل غلام، كنت أحب حكايات الفرسان النبلاء المدججين بالسلاح وهم يقتحمون صفوف الأعداء. ولكن فتح عمر لمدينة القدس كان مختلفاً.

كان عمر يرى في القدس مكاناً غير كل الأمكنة، فألى هذا أسرى معلمه ونبيه ذلك الإسراء المجز، وصلى مع إبراهيم وموسى والمسيح عند صخرة المرقى. لم تكن مدينة يمكن الاستيلاء عليها بأسنة الحراب. وهكذا رفض أن يدخلها عبر السيف والدماء، أو يأمر بالقتلها. كما فتحت أكثر المدن في عصره.

أما أهل المدينة، وهم يتشكون أن حياتهم في خطر، فقد صبروا على حصار دام وقتاً طويلاً. ولكن بعد سنتين حين اشتكت المؤن إلى النضاد، وأطل شبح المجاعة برأسه، أرسلوا إلى عمر يسألونه شروطه للاستسلام. ورد عليهم الخليفة وقد كان آنذاك في الشمال في يخوض معارك صغيرة، طالباً بأن يلاقيه صفريانوس مهران القدس البيزنطي خارج أبواب المدينة. وفي هذه الأثناء وحسب تعليمات الخليفة عمر، تجنّب جيشه المحيط بأسوار المدينة القيام بأية هجمات.

في الموعد المحدد، جاء صفريانوس

## ساري نسيبة وانطوني ديفيد

كانت نسيبة، السلف الأعلى لعائلتي، مقاتلة لا يشق لها غبار، استطاعت وهي على ظهر الخيل أن تذود ببراعة وتأمين عن الرسول مصحبة بنفسها وفلذات كسدها

حين تتصفح أكثر من ١٣٠٠ سنة من تاريخ العائلة، فلا بد أن يواجهك بعض الموضوع والإيهام. فالكثير مما أمنت به طفلاً على أنه حقيقة لأريب فيها، كان بدون شك خليطاً بريئاً من الواقع والخيال. ولكن في القدس، كان ينبوع العلاقة السحرية بين الإنسان والمدينة هو بالضبط ذلك الموزاييك الجميل للحكايات المتجذرة في أعماق الحقيقة والخيال.

وأحدى حكاياتي المفضلة في طفولتي كانت قصة دخول الخليفة عمر إلى القدس في العام الميلادي ٦٣٨. في ذلك الوقت كان النبي محمد قد مات وكذلك خليفته الأول أبو بكر. كان عمر العادل ثانياً الخلفاء، متواضعاً تقياً

الإسلامية إن محمداً لشدة إعجابه بتبجاعتها، بشرها وأولادها بالجنة (أسلمت عند ظهور الإسلام وبايعت النبي صلى الله عليه وسلم وشهدت معه غزوات أحد والحديبية وخيبر وحنين وعمره القضاة ويوم اليمامة وبيعة الرضوان). وروى عدة أحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.. شاركت في العمل العسكري في فترة صدر الإسلام حيث شاركت في معركة أحد فقاتلت حتى قيل أنها قتلت وجرحه اثني عشر بالسيف والنبال. فكانت تدب عن رسول الإسلام محمد ابن عبد الله بالسيف ولرعى عنه بالقوس. وهي من المبشرين بالجنة - المترجمة

منذ يضع سنوَاب عثر أسرى عمى ركني، مؤرَخ العائلة، على دليل جيد على تدهور أحوالنا. وهي وشيقة عصرها أربعانة قد منوشه نالده على جلد غزال ومدموغه بحتم السلطان التركي. ثقل ناله من ذلك التاريخ، سوف تشارك عائلة نسيبة حقوق المصنَّاع مع عائلة جودة، وهي عائلة محلية لها صلات أفضل مع الاتراك وهذا ماكان منذ نصف الألفية الماضية. كان يحمل أحد أفراد العائلة جودة المصنَّاع إلى أحد أفراد عائلة نسيبة في الساعة الرابعة

في شابة الأهمية الدبلوماسية. وهكذا، على مر القرون، أدت عائلتي وأجباتها، كان أحد أسلافه يفتح الباب صباحا حيث يتقاطر المسيحيون داخلين، وفي الليل يعادون ويقفل الباب من جديد حتى صباح اليوم التالي. خلال الحملات الصليبية وحين سيطر الفرنجة على المدينة، سلم النسيابة المصنَّاع إليهم، والوحيدة في العائلة التي نجت من غزو الصليبيين للقدس كانت لحسن الحظ حاملا نطف. وقد فرَّت إلى شمال البلاد بعد

وقبل مغادرة المدينة. عينه عمر أول نيس قصاة مسلم في القدس وسلم إليه مفاتيح كنيسة القيامة. ثم اوكّل لعبادة مع خمسة من رؤساء العائلات بمهمة نظافة الصخرة المقدسة (في صغرى كنت أحد زيارة ضريح عبادة، في الزاوية الجنوبية للجدار الذي يحيط بالحرم القدس). كان أولاد عبادة هم أول النسيابة الذين ولدوا في القدس، ومع مرور الزمن، ازدادت العائلة غنى وتعلكت إقطاعيات شاسعة من الأراضي. وتختلط القرون

متاعبا بمسوح الأساقفة المنهزم، لثلاثة عشر متوقفا أن يراه في ابنة تليق بملك متمسك، ولكنه هوجن برجل يرتدى ملابس متواضعة يقود جملا يركبه خادمه، وكان الاثنان قد قطعوا الطريق من الشمال ويتناوبان على ركوب الجمل. وقد منح هذا القائد الزاهد لأهل القدس الأمان في أنفسهم وأموالهم وكنائسهم، مما حرك مشاعر المطران فيسلم عمر مفاتيح أبواب المدينة وكنيسة القيامة. ادخل صفرينوس عمر إلى كنيسة القيامة وهي أقدس كنيسة في العالم

## ... ووطن

فجيرا، والنسيبة يأخذ المصنَّاع إلى الكنيسة. لا زيدا أن أعطى الانطباع بأن التاريخ القديم كان يلبد في كل شأنا حياتنا على العكس من ذلك، فقد أثنائي رجل متطور الخرجي في منصب حكومي القديم والحديث على السواء وكانت سعاده حصول احى الأكبر على درجات ممتازة في كامبردج بقدر سعاده بدراسة أختي للرسم في باريس، وفي حين كان أحس بخوف، بغامرات أسلافنا القديما في الصحراء، لكنه كان دائما ينظر إلى هنا والآن.

ابتداء اتجاهات المعاصرة تحترك وسط الطبقة الأرستقراطية في القدس قد أواخر القرن التاسع عشر، كان الزعماء قد تغير، وريما هم الأسياخ هو ضعف الإمبراطورية العثمانية التي كانت قد تحولت في ذلك الوقت إلى (رجل أوروبا المريض)، كما في كل نظام استبدادي، فإن أول علامات الوضي في التغير السياسي هي كل ركن من أركان الإمبراطورية كانت المجتمعات الحضرية تطالب بالحقوق والحريات التي يتمتع بها الأوروبيون وياستلهمهم حركة البعث الإيطالية (Risorgimento قامت (العثمانية المتانة (معروفة رسميا باسم لجنة الاتحاد والترقي) بالاستيلاء على المياد الكبير في القسطنطينية، وطلرت السلطان وأقامت إدارة جديدة حاول (العثمانيون الجدد) إيقاظ الإمبراطورية من سباتها بالتمتع بحكم القانون وازدهار الصناعة والتقدم.

في فلسطين، كانت الحركة من أجل حرية على الطراز الأوروبي حادة بشكل خاص لأن التأثير الأوروبي كان قد اخترق الكسك

مرور قرن وفي عام ١٨٧٧، بعد أن طرد القائد الكردي صلاح الدين الصليبيين خارج المدينة، عاد نسلا إلى القدس. وخين استقروا في القدس حين كبير العائلة الشيخ غاثم بن علي بن حسين الأنصاري الخرجي في منصب حكومي مهم، وخلال السنوات القليلة الأولى بعد هزيمة الصليبيين، لم يكن هناك حاجة لإغلاق باب كنيسة القيامة لأن المسيحيين لم يسمح لهم بالعودة إلى القدس. في عام ١١٩٢، أعاد الحاكم المسلم للمدينة المفتاح إلى خط النسيابة بعد توقيع السلطان صلاح الدين والملوك ريتشارد قلب الأسد اتفاقية يسمح بموجبها للحجاج المسيحيين بزيارة المدينة.

كانت تلك أيام سعد العائلة، خاصة خلال حكم المماليك في دمشق عاشت العائلة من خيرات أراض شاسعة أنعم بها السلطان صلاح الدين على الشيخ غاثم، وهنا قد يكون السبب الذي حدا بوالدي أن يتحدث عن لصوصية النسيابة، كان الفلاحون يكدون في الأرض ويدفعون ضرائب لنا نحن إسهامهم الإقطاعيين، الذين ببورنا استخدمنا بعض تلك الأموال لصالح قبة الصخرة.

ولكن أحوال العائلة المادية تدهورت بشكل ملحوظ بعد أن طرد الأتراك المماليك في ١٥١٧، وبعد أن قرر أحد أسلافه أن ينضم إلى أمير مملوكي في حملة حرب صليبية يانسة ضد الحكام الجدد، انتهت بأن فقد جدى وأصيرد رأسهم، كما فقدت عائلة نسيبة أراضيها وأغلب حقوقها، وكان القنار الوحيد الذي احتفظوا به «سوق الخواجات»، وهو سوق الصائغة، أحد أهم الأسواق داخل أسوار المدينة القديمة.

هنا، فلعدة طويلا لم تكن عائلتنا سوى قائمة من أسماء وعناوين مرتبة بعناية، قصاة وفقها وشيوخ صوفية وملاك أراض. وكانت حظوظ العائلة السياسية تعتمد دائما على الإمبراطورية التي تسيطر على القدس، ولكن سواء كانت العائلة في صعود أو هبوط، فإنها لم تتوان يوما في إنجاز وأجباتها من تنظيف الصخرة المقدسة والحفاظ على المفاتيح.



ولكن سرعان ما تبسرت مهمة تنظيف الصخرة، فخلال بضعة عقود من الفتح الإسلامي، بدأ بناء قبة الصخرة. وكانت الخلافة الإسلامية قد ابتقلت إلى دمشق في العام الميلادي ٦٦١. وقد انطلقت في حينها ثورة معمارية، أراد الخليفة الأموي معاوية أن يبنى مسجدا عظيما في موقع الصخرة المقدسة ولكن على عكس المساجد الأخرى، لم يصمم على أن يواجه مكة، فباعتباره مكانا لهيكل سليمان القديم وإسراء النبي محمد لم يكن شمة حاجة لتوجيه المسجد إلى أي قبة أخرى. بعض الرواة يقولون إن ابن اليهودي الذي لد عمر على مكان الصخرة، كان هو العمار الذي وضع تصميم المسجد، وباعتباره يهوديا كما يقول الرواة فقد بنى المسجد الأقصى. وفي ذنه المعبد الأصلي، وقد انتهى بناء قبة الصخرة في ٦٩١ ميلادية.

وبما أن السيطرة على الكنيسة والضريح المقدس كانت موضع النزاع الرئيسي بين المسيحيين اللاتين والمسلمين، فإن امتلاك المفتاح كان مسألة

المسيحي ومستودع تاريخ مقدس. هدد دفن هنا أم أيو البشر، وهنا قبر المسيح العازع بعد أن رفعه الله تعالى، وهناك اكتشفت هيلانة أم الملك قسطنطين الصليب الأصلي وتاج الشوك، ولقرون خلت، كانت مئة أساطير عن قدرة هذه المواقع على الشفاء، لمسة واحدة فقط لحجر الصريح المقدس يمكن أن تشفى أمراضا قاتلة مما أغرى الناس من كل أنحاء العالم اللجوء إلى ذلك المكان. وكما تقول الرواية، إذ حين حان وقت الصلاة، رفض عمر أن يصلي في الكنيسة خوفا من أن يسجل سابقة، كان يخشى، إذا صلي فيها - أن يفري ذلك الشفاء المسلمين من بعده لتحويل الكنيسة الجديدة إلى مسجد، وبدلا من ذلك اختار الخليفة موقعها خارج الكنيسة للصلاة. سأل صاع المطران عن مكان الصخرة المقدسة وهيكل سليمان، لم يعرف المطران موقع الهيكل حيث تحول المكان الذي كان يقوم فيه الهيكل إلى مقبل زبالة، كانت هناك أكوام من عظام وهضاب بشرية وجلود حيوانية وأهطل يصدم المسلمين واليهود على السواء: رعم خناير.

وتقول الحكاية الإسلامية إنه من بين الجسد القريب لقدام إلى الأمام رجل يهودي وعرض أن يساعده عمر في العثور على موقع الهيكل والصخرة، وهكذا شق الاثنان طريقتهما عبر أكوام المخلصات حتى وصلوا إلى الموقع فقال اليهودي لعمر: «هنا، هذا هو المكان الذي تريد» بدأ عمر بحفر بيبية، وما أن نظمت المكان من المخلصات ومسح الصخرة المقدسة برداه حتى أدى الصلاة. كان من بين أصحاب عمره في القدس شقيق نسيبة وهو عبادة بن الصامت



## كتاب الزاوية

### مصر ورسالتها

### حسين مؤنس

هذا الكتاب محاولة جادة لهم مصر وطنية شعباً ومقومات حضارتها ودورها في تاريخ العالم. وقد ظهرت الطبعة الأولى لهذا الكتاب وهو بعنوان «مصر ورسالتها.. دراسة في خصائص مصر ومقومات تاريخها الحضاري ورسالتها في الوجود» عام ١٩٥٦، بمقدمة للرئيس، لراحل جمال عبدالناصر قال فيها: «منذ فجر التاريخ، ومصر تتجلى على العالم أقباساً من العلم والمعرفة وتحمل في يديها القوتيين مشعل النور والحضارة». واستطرد «إن التاريخ لم يعرف عن مصر أنها كانت أمة طامعة أو أمة مستعمرة...». وقد أصبح هذا الكتاب أصلاً أساسياً في كل دراسة حول مصر وتاريخها الحضاري ووصفه المؤرخ الكبير الراحل شفيق غريال بأنه حدث فاصل في تطور الدراسات التاريخية المصرية.

ومؤلف هذا الكتاب المؤرخ والكاتب الإسلامي البارز الراحل حسين مؤنس المولد عام ١٩١١ وصاحب المؤلفات العظيمة عن «الشرق الإسلامي في العصر الحديث»، والإبداع الإسلامي على الطريقة المصرية، ومعالم تاريخ المغرب والأندلس، وثروات الإسلام، وغيرها من المؤلفات في التاريخ الإسلامي.

حصل مؤنس على ليسانس الآداب من جامعة فؤاد الأول ودرجة الماجستير والدكتوراة من سويسرا. وقد عمل استاذاً للتاريخ الإسلامي بكلية الآداب جامعة القاهرة، وفي معهد الدراسات الإسلامية في مدريد وحصل على جائزة الدولة التقديرية عام ١٩٨٦. وتعرض «وجهات نظر» من كتاب «مصر ورسالتها» الطبعة الرابعة - لجنة التأليف والترجمة والنشر - ١٩٧٣

بالفعل، في الوقت الذي وصل فيه جبل جدي إلى المشهد، في ثمانينيات القرن التاسع عشر، كان الزحف إلى فلسطين قد ابتدأ.

للمفارقة، كان التراث القديم للأرض المقدسة هو الذي جاء بمعظم التغيير. في أوروبا، بدأ تيار رومانسي جديد يتعلق بالأرض المقدسة - يمكن أن تحسه في رواية جورج اليوت «دانييل ديروندا» - مصحوباً بالصورة وصمغات الرحلات زهيدة الكلمة من أجل إثارة الاهتمام بالمنطقة. كان من الشائع أن ترى مستكشفين إنجليز غريبين الأطوار يسافرون إلى تلك البلاد مع إنجيل محشور في الخرج. ومثال جيد على هذا الهوس هو الطريقة التي اكتشف بها بطل الحرب الجنرال تشارلز غوردون Charles Gordon - وهو أحد أرفع شخصيات نصف مجنونة من العصر الفكتوري تناولهها بنقد لاذع المؤلف ليتون ستراشي في كتابه (فكتوريون بالزون) الذي نشر في ١٩١٨، ما قسم بألفاظ الأيمان أنه قبل المسيح. (تشارلز غوردون أصر على أن موقع قبر غارون Tomb هو قبر السيد المسيح مع أن هذا الموقع يقع خارج أسوار القدس القديمة قريباً من باب دمشق، علماً أن غوردون لم يكن يملك خبرة أثرية ليفتح في ذلك - المترجمة).

كانت الحكومات والمنظمات والمغامرون منعمسين جميعاً في هذه الصرعة. في القدس، بنى القيصر الكساندر الثاني المستعمرة الروسية لاستيعاب طوفان الحججاء الروس المتدفقين إلى المدينة. (وقد حولها الإسرائيليون فيما بعد إلى سجن). وحتى لا يتخلف بنى الركنه بنى القيصر الألماني دير بنكتين على جبل صهيون. وأقامت الكنائس البروتستانتية عشرات المدارس والمستشفيات. وعين الكاثوليك أول بطريرك لاتيني منذ أيام الصليبيين، وبنى البارون ادسون دي روتشيلد طواحين هواء لمستعمرة خاصة بالمزارعين اليهود.

وقد عزز هذا الهوس بالبناء والتشيير، بشكل غير مباشر، الحركة المطالبة بالإصلاح السياسي بين

المسيحيين العرب، وبعض السبب هو أن الكثير من الإصلاحيين كانوا قد عاشوا الأفكار المعاصرة في المدارس التي يديرها الأوروبيون.

وقد اكتشف طلاب الجامعة العربية، وفيما بعد في كلية سانت جورج - وهي الكلية التي تخرجت منها، والتي يديرها الإنجليزيون، الحركة العربية، وهي حركة قادها المسيحيون العرب في بيروت ودمشق وشخصيات مثل محمد عبده وجمال الدين الأفغاني في القاهرة. كان هؤلاء المثقفون وكثير منهم شعراء ومعمرون معروفون، ينقدون المصيبت الحلية القديمة، مثل العائنة والعشيرة والطفافة ناضجاًها مخلفات الطاعية - وقفت بوجه التطور العلمي والثقافي العربي.

في فلسطين، كانت الصهيونية مصدر إلهام للحموية القومية بين اليهود. وكما رأينا في الحكايات المتلفة بقية الصخرة، كان اليهود دائماً جزءاً حيويًا من اليهودية الإسلامية (اكتشف ابن عمي زكي، وهو يبحث في وثائق قديمة كانت مدفونة لقرون في معبد يهودي في مصر، رسائل تتحدث الخليفة عمر للمسلم لليهود بالعودة إلى المدينة بعد قرون حرسهم منها الرومان والمسيحيون). في نهاية القرن التاسع عشر، كان معظم اليهود في المدينة إما يهود متشددون من أوروبا الشرقية أو متحدثون باللغة العربية ممن كانوا قد عاشوا مع العرب قرونًا كثيرة حتى باتوا جزءاً من الثقافة واللغة والحياة العربية.

لحركة الصهيونية جذور مختلفة تماماً. في الوقت الذي كتب فيه تيودور هرتزل وهو يهودي هنغاري الأصل وكان صحفياً وكاتباً مسرحياً فاشلاً، كتابه «الدولة اليهودية»، لم يكن قد رأى فلسطين بعينه. بل كان يعرفها من خلال الكتب. كان يحلم بدولة مستقبلية لأولئك اليهود الذين لم يرغبوا أو لم يستطيعوا الاندماج في المجتمعات الأوروبية. وكان مقتنعا بأنه ليس هناك من سبب لتخوف العرب، إذ ليس لدى اليهود قوة محاربة تسند ظهرهم. كما ليس من طبعهم حب القتال... ■

أحدث إصدارات

# دار الشروق



دار الشروق - ١٠٠٠ شارع نوري - القاهرة - ١١٥١١٠٠٠  
 هاتف: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣  
 فاكس: ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣ - ٢٣٣٣٣٣٣  
 البريد الإلكتروني: info@dashorok.com  
 الموقع الإلكتروني: www.dashorok.com

# «الجماعة»..

## ماذا يحدث داخل حركة الإخوان؟



### ناتان براون وعمرو حمزاوي



#### إجابات الإخوان وشروعهم بالبرنامج لم ترتب سوى عاصفة جديدة

من النقاش تمحورت حول قضيتين خلافتين، الدعوة إلى استحداث هيئة منتخبة من كبار علماء الدين واستثناء النساء والأقباط من منصبى الرئاسة ورئاسة الوزراء



#### أولاً، قضايا البرنامج

تثير مسودة البرنامج التي تم تداولها في مطلع سبتمبر/أيلول ٢٠٠٧ انتقادات متناقضة حول رؤى ومواقف الإخوان السياسية، فمن جهة، يوثق البرنامج بإيجابية - وهو يتنغم على خمسة أبواب تتناول مبادئ وتوجهات الحزب متبوعة بشكل الدولة والنظام السياسى ثم الرؤى الإخوانية حول التعليم والتنمية والسياسة الاقتصادية وأخيراً العدالة الاجتماعية والنهضة الثقافية لمساحة من التفاصيل في الطرح والاهتمام بالنسيات العامة غابت عن مجمل الفاربات الإخوانية المعلقة خلال السنوات القليلة الماضية، الأمر الذى أضفى دوماً مشروعية ومصداقية على أحد أهم الانتقادات الكلاسيكية الموجهة للجماعة بكونها كياناً أيديولوجياً يرفع شعارات دينية فضفاضة ولا يبحث بجدية في إمكان تطبيقها المعلى.

من جهة أخرى، لم يمتد التفصيل الإخواني إلى عدد من الأمور بالغة الأهمية المرتبطة بهوية وبنية ووظيفة الحزب السياسى المراد تأسيسه فقد اختار واضعو البرنامج عدم التطرق إلى جوهر وشكل الرابطة بهوية وبنية ووظيفة الجماعة والحزب وتجاهلوا بالتبعية أفكاراً نوقشت في الأونة الأخيرة داخل دوائر الإخوان خاصة الكتلة البرلمانية - حول أهمية تنظيم العلاقة بين المكون الدينى الدعوى والمكون السياسى بالفضل الوطني بين الجماعة والحزب وتركيز نشاط الأخير على المشاركة السياسية أساساً بتجاوز الإسلاميين المؤطرين حزبياً في الغرب والأردن واليمن وغيرها، وبالتالي فإن من يطالع برنامج حزب الإخوان لن يجد به معالجة واضحة لأطبيعة الحزب ولا تكوينه

■ مع نهايات صيف ٢٠٠٧ وفي سياق حالة من الترقب لدى نخبة الحكم وحركات المعارضة في مصر قامت جماعة الإخوان المسلمين بتوزيع المسودة الأولى لبرنامج حزبها السياسى على مجموعة من المحكرين والحللين فاحتد بذلك الباب على مصراعيه لنقاشات خلافية حول الأفكار الرئيسية الواردة في البرنامج وتجاهلتها المحتملة على دور الإخوان في الساحة السياسية المصرية ومستقبل علاقتهم بالقوى الأخرى<sup>(١)</sup> وعلى الرغم من إدراك الإخوان وهم الجماعة المحطورة تعانين عن الشرعية للاستحالة الفعلية لأن يشكل إعلان البرنامج خطوة البدء في تأسيس حزب في ظل الرقوض الحكومى والقيود الدستورية التى فرضت مؤخراً على الأحزاب ذات المرجعيات الدينية، يبدو أن قيادة الجماعة ارتأت أو أملت هي فوائد محتملة من إجلاء الموضوع حول طبيعة حزبها إن سمح لها مستقبلاً بتأسيسه في هذا السياق، تتناول هذه الدراسة بالشرح والتحليل أربع قضايا رئيسية (١) طبيعة ومضامين النقاشات الخلافية التى رتبها مسودة البرنامج. (٢) خطوط وجهات الصراع التى فجرها البرنامج داخل جماعة الإخوان. (٣) مابية وتراتبية حسابات الربح المرجو والخسارة المحتملة التى دفعت الإخوان إلى إعلان البرنامج في بيئة سياسية في بكل تأكيد غير مواتية وتجاهها رياح مواجهة عاتية بين نظام الحكم والجماعة

(٤) جدلية الصراع التوافقي داخل الجماعة وتدابيراتها على مستقبل دور الإخوان في الحياة السياسية دومتا تقييم لحقيقة كون الأخير يرتبط عضوياً بمواقف النظام ومساحات الحركة التى يتبناها لتفصيل المعارضة الأكثر في مصر

التنظيمى، بل إن البرنامج جاء خالياً من أى نص صريح على فتح باب عضوية الحزب أمام كل المصريين مسلمين وأقباطاً وهو ما يمثل أحد الشروط الأساسية لتكوين الأحزاب السياسية وفقاً للدستور.

وبغض النظر عن مثل هذه الفجوات في مسودة البرنامج، عمدت جماعة الإخوان إجمالاً إلى الإجابة عن جل ما طرح عليها خلال السنوات الأخيرة من تساؤلات حول رؤاها ومواقفها السياسية، بيد أن إجابات الإخوان وشروعهم بالبرنامج لم ترتب سوى عاصفة جديدة من النقاش تمحورت حول قضيتين خلافتين، الدعوة إلى استحداث هيئة منتخبة من كبار علماء الدين واستثناء النساء والأقباط من منصبى الرئاسة ورئاسة الوزراء. هنا انقلب التفصيل إلى نقمة ذات كلفة سياسية وإعلامية باهظة ترحلت إزاءها الجماعة بداية ثم ولت جزئياً باحتة عن إسكانات الارتداد ومساحات التراجع.

#### الشرعية وهيئة كبار علماء الدين

ربما قدمت الإشارات الواردة مسودة البرنامج حول الهيئة المنتخبة لعلماء الدين، وهي لا تتجاوز أسطراً قليلة تحويها الصفحات الأولى، الدليل الأوضح على الجدلية الركبلة للرجح والخسارة حين تحليل مواقف جماعة الإخوان، فقد سلئت الجماعة مراراً عن اعدائها الحقيقية من وراء الدعوة إلى تطبيق الشريعة وعن الكيفية التى تعززها تطبيق الشريعة على تشريعات وسياسات على أرض الواقع ودأب قادتها على تقديم مقترحات اسمت تارة بالمفوض وتارة أخرى بالتوقيع الشيد كاشفة عن خلافات داخل الجماعة. لذا ومعت البداية حمل

توجه الإخوان نحو حسم موقعهم بوضوح من قضية الشريعة ببرنامج الحزب احتمالية الخروج برسالة إيجابية للرأى العام تزيل بعضاً من مخاوفه وتحد من خلافات الجماعة الداخلية وكذلك وبكل تأكيد إمكانية المضادة أى أن يسبب نزوع الإخوان نحو الموصو إثارة خلافات جديدة ويمق من مآزهم بين متطلبات قوامهم الشعبية التى تريد تعظيمها لمركزية تطبيق الشريعة وتطلعات الفاضلين والهمتين بالحياة العامة إلى التزام إخوانى بمدينة الدولة والسياسة في مصر.

ولوضعية الطرح ينبغى القول بأن توقع تراجع تام للإخوان عن دفع قضية الشريعة إلى صدارة أولوياتهم السياسية هو ولاشعارات متعددة بمثابة درب من دروب الخيال، فمن جهة أولى، شكل تطبيق الشريعة على الضوا أحد المكونات الجوهرية لخطاب الجماعة والنوصى السياسى لقادتها على نحو ورام ومازال (الإسلام) بالحياة العامة. ثانياً، منذ سبعينيات القرن الماضى والدعوة إلى تطبيق الشريعة تتمتع بقبول واضح لدى قطاعات واسعة من المصريين ترى بها أساساً بناء نظام قانونى قضائى أخلاقى وعادل، ثالثاً، لا شك أن القواعد الشعبية التبريرية من جماعة الإخوان أو المتعاطفة معها تنظر منها الضغط باستمرار باتجاه تطبيق الشريعة وتبنيه هدفاً لدورها السياسى، أخيراً، تمكن الشريعة الإخوان من قولة دورهم على نحو يظهر توافقاً مع روح وتقصص الدستور ويعدهم عن صورة الجماعة العجائلة الشريعة خاصة في أعقاب تعديلات ربيع ٢٠٠٧ الدستورية، فكما هو معروف، تنص المادة الثانية من الدستور على أن الإسلام هو دين الدولة وأن مبادئ الشريعة الإسلامية هي المصدر الأساسى

# «الحزب»



تشارع بيشري



عبد الفتاح السيسي



حشام بادير



محمد حبيب



محمد مهدي شاكر

كما أشاروا إلى الكلفة الباهظة لاستعدادة للتحركات والجماعات التي ترفع لواء تطبيق الشريعة وفي مقدمتها جماعة الإخوان. بيد أن قضية الشريعة، وبالمقابل، قد ولدت شعورا لدى القوى الليبرالية واليسارية مؤداه أن الجماعة تريد فرض اختزال الثورات التشريعية والقانونية الطويل للحضارة الإسلامية بتأويلات صيقة تفرض على المصريين بصورة غير ديمقراطية، ومن ثم واجهت قيادة جماعة الإخوان حين صياغة برنامج الحزب اختياراً بين مقاربتين لا ثالث لهما: بين الالتزام بحديث العمومات عن الشريعة دونما تحديد للنص وصراحة وحصرياً على معاني ومضامين تطبيق الشريعة كما تراها الجماعة لتقل النقاش إلى مرحلة جديدة، والجل إلى مسودة برنامج الحزب قد عبرت عن غلبة المقاربة الثانية.

نعم، صعد الإخوان بوشلخصهم وبياناتهم العلنية خلال السنوات الماضية إلى إحلال صياغات فضفاضة كالرجعية الإسلامية محل تطبيق الشريعة وسواء إلى أن يضعوا في الواجهة المطالبة الديمقراطية أي لائحة الإصلاحات الدستورية والسياسية التي توافقته عليها المعارضة المصرية دينية وغير دينية، وحين دفع منتقبي الجماعة بصيائبه حديثها من الرجعية الإسلامية وغموض تداعياته المحتملة على النظام القانوني، القضاة، تحمس الإخوان بالادة الثانية من الدستور وبالعديد من أحكام المحكمة الدستورية العليا التي نعمت على أن ذات المادة نفي الدستورية عن أية تشريعات تعارض من المبادئ القطعية للشريعة الإسلامية. فاطمحين بالطريق بذلك على اتهامهم بالعلم على الخروج على الدستور... بل رجعت بعض الصياغات ببرنامح الحزب لتتدل على استمرارية هذا التوجه خاصة حين النص صراحة

على حتمية احترام أحكام المحكمة الدستورية العليا والاعتراف بالحدود التي يمثلها الشعب المنتخبين في تحديد القطعي من أحكام الشريعة الإسلامية إلا أن البرنامح وأساطر قليلة اندفع نحو المقاربة الثانية بالقرتاح استحدثت هيئة منتخبة من علماء الدين وظيفتها تقديم الرأي الملزم للسلطة التشريعية والتنفيذية حين النظر بأمور تتعلق بالقطعي والمستقر من أحكام الشريعة والمشورة في جل ما يتعلق بالشؤون الدينية من أمور.

وحقيقة الأمر أن مقترح استحداث هيئة منتخبة لعلماء الدين كان له وقع صادم على بعض قيادات الجماعة الذين دفعوا مراراً عن حتمية الارتكان إلى دور المحكمة الدستورية العليا في حين استقبلته قيادات أخرى بإيجابية فاقترح حدد آلية واضحة لضمان الالتزام بالشريعة وضمنها خارج السلطة التشريعية والتنفيذية، بل وخارج سياقات المؤسسة الدينية الرسمية (مسيخة) الأهر ودار الإفتاء) المسيطر عليها حكومياً دافعاً بها نحو عموم علماء الدين وبيهم الكثيرين المتعاطفين مع الإخوان، على صعيد آخر، صعد المقترح قيادات إخوانية دعت إلى رفضه بكونه ينتهصر لتناؤلات إختزالية لقصبة تطبيع الشريعة ولا يعبر عن إجماع إخواني مستمر بل لبح البعض إلى أن المقترح أقدم على مسودة البرنامح في ظلمة الليل ودون استشارة جميع الأطر القيادية لاهتمام الجماعة). أما عن التداعيات السلبية على نظرية البرنامح في الجماعة فحدث ولا حرج. فقد فتح المقترح الباب نحو تأسيس دولة ثيوقراطية ولا انقلاب على مبدأ الدولة والسياسة. والاتك للنظر إذ حين بحث قضية الشريعة ببرنامح حزب الإخوان هو

على حتمية احترام أحكام المحكمة الدستورية العليا والاعتراف بالحدود التي يمثلها الشعب المنتخبين في تحديد القطعي من أحكام الشريعة الإسلامية إلا أن البرنامح وأساطر قليلة اندفع نحو المقاربة الثانية بالقرتاح استحدثت هيئة منتخبة من علماء الدين وظيفتها تقديم الرأي الملزم للسلطة التشريعية والتنفيذية حين النظر بأمور تتعلق بالقطعي والمستقر من أحكام الشريعة والمشورة في جل ما يتعلق بالشؤون الدينية من أمور.

وحقيقة الأمر أن مقترح استحداث هيئة منتخبة لعلماء الدين كان له وقع صادم على بعض قيادات الجماعة الذين دفعوا مراراً عن حتمية الارتكان إلى دور المحكمة الدستورية العليا في حين استقبلته قيادات أخرى بإيجابية فاقترح حدد آلية واضحة لضمان الالتزام بالشريعة وضمنها خارج السلطة التشريعية والتنفيذية، بل وخارج سياقات المؤسسة الدينية الرسمية (مسيخة) الأهر ودار الإفتاء) المسيطر عليها حكومياً دافعاً بها نحو عموم علماء الدين وبيهم الكثيرين المتعاطفين مع الإخوان، على صعيد آخر، صعد المقترح قيادات إخوانية دعت إلى رفضه بكونه ينتهصر لتناؤلات إختزالية لقصبة تطبيع الشريعة ولا يعبر عن إجماع إخواني مستمر بل لبح البعض إلى أن المقترح أقدم على مسودة البرنامح في ظلمة الليل ودون استشارة جميع الأطر القيادية لاهتمام الجماعة). أما عن التداعيات السلبية على نظرية البرنامح في الجماعة فحدث ولا حرج. فقد فتح المقترح الباب نحو تأسيس دولة ثيوقراطية ولا انقلاب على مبدأ الدولة والسياسة. والاتك للنظر إذ حين بحث قضية الشريعة ببرنامح حزب الإخوان هو

على حتمية احترام أحكام المحكمة الدستورية العليا والاعتراف بالحدود التي يمثلها الشعب المنتخبين في تحديد القطعي من أحكام الشريعة الإسلامية إلا أن البرنامح وأساطر قليلة اندفع نحو المقاربة الثانية بالقرتاح استحدثت هيئة منتخبة من علماء الدين وظيفتها تقديم الرأي الملزم للسلطة التشريعية والتنفيذية حين النظر بأمور تتعلق بالقطعي والمستقر من أحكام الشريعة والمشورة في جل ما يتعلق بالشؤون الدينية من أمور.

وحقيقة الأمر أن مقترح استحداث هيئة منتخبة لعلماء الدين كان له وقع صادم على بعض قيادات الجماعة الذين دفعوا مراراً عن حتمية الارتكان إلى دور المحكمة الدستورية العليا في حين استقبلته قيادات أخرى بإيجابية فاقترح حدد آلية واضحة لضمان الالتزام بالشريعة وضمنها خارج السلطة التشريعية والتنفيذية، بل وخارج سياقات المؤسسة الدينية الرسمية (مسيخة) الأهر ودار الإفتاء) المسيطر عليها حكومياً دافعاً بها نحو عموم علماء الدين وبيهم الكثيرين المتعاطفين مع الإخوان، على صعيد آخر، صعد المقترح قيادات إخوانية دعت إلى رفضه بكونه ينتهصر لتناؤلات إختزالية لقصبة تطبيع الشريعة ولا يعبر عن إجماع إخواني مستمر بل لبح البعض إلى أن المقترح أقدم على مسودة البرنامح في ظلمة الليل ودون استشارة جميع الأطر القيادية لاهتمام الجماعة). أما عن التداعيات السلبية على نظرية البرنامح في الجماعة فحدث ولا حرج. فقد فتح المقترح الباب نحو تأسيس دولة ثيوقراطية ولا انقلاب على مبدأ الدولة والسياسة. والاتك للنظر إذ حين بحث قضية الشريعة ببرنامح حزب الإخوان هو

الموقف من الأقليات والمرأة وغيرهما دفع الإخوان أيضاً ضمن نزوع برنامجه نحو الوضوح والتحديد في سياق ثان بالغ الأهمية. إلا وهو نزع أهلية تولي المناصب العليا في الدولة من غير المسلمين والنساء. هنا استست مسودة البرنامح للتعامل الإقصائي هذا بالاستناد إلى مقولات كلاسيكية والتارت التشريعي والقانوني الإسلامي حول شروط أهلية الحاكم وارتباطها الوثيق بمواجهته الدينية والتبعية بانتفانه الإسلامي وبدوره العام ومن ثم مهونه المذكورة. فجاء الباب الثاني بالمسودة بحديث طويل حول الدولة والنظام السياسي والواجبات الدينية المنوطة برأس السلطة التنفيذية وفقاً لمقاصد الشريعة الإسلامية متبوعاً بنص صريح على استبعاد غير المسلم والنساء من منصب رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء وفي حين رأى البعض من قيادات الإخوان بهذا الموقف انساقاً محموداً مع القطعي من أحكام الشريعة، رفضه فريق آخر شدد اعتصاده على تناقض الإقصاء مع مبدأ المواطنة الدينية المنصّل لدى جميع القوى الفاعلة بالحياة السياسية

# ماذا يحدث داخل حركة الإخوان المسلمين

بموجب البوالة القوية المتخذة قبله في تسيير كل شؤون المجتمع وتوكلنا تدبيره فعلى في مدى ملائمة مثل هذه الطرح لتوابع الراهن المستند إلى اقتصاديات السوق أو في تداعياتها المحتملة على ملفات الإصلاح والتحول الديمقراطي. وكلاهما يرتبط في الحالة المصرية بتحجيم الدولة ونخبته السياسية-الأمنية والتوسيع المفرط لمساحات فعل القوى المدنية وغير الحكومية. يظهر البرنامج جماعة الإخوان بمظهر من يريد تحولا ديمقراطيا وتعددا للسلطات ورقابة على الأجهزة التنفيذية. وما لبث في ذات الوقت يحلم بدولة كليانية تحال ادوارها كل قطاعات المجتمع من ضبط حركة السوق إلى توجيه الفن السياسي-الثقافي والموسيقى. غابت إذاً قضية بحورية رؤية الإخوان للدولة وغيرها العديد من الأمور والتفاصيل الهامة. ودعت الجماعة لثما باهظا تمثل في تحاليل الرأي العام لجل ما جاء بمسودة البرنامج المزني واحترال النقاش حوله بانقضاء مبرير لها كونها ما لبثت قوة المعارضة التي تريد تبديد السياسة وترفض مواطنة المساواة التامة بين المسلمين والأقباط وتقلص بانتظام على وجودها الديمقراطية.

## ثانياً: الصراع حول البرنامج

بجانب النقاش العام خارج دوائر الإخوان، اشتمل الصراع داخل الجماعة حول القضايا الخلافية السالفة الذكر ولجا أفرادها (أطراف الصراع) على نحو غير مسبق إلى الوسائط الإعلامية أي الصحافة والفضائيات والمحلية والإنترنت وصيغاتها وإرسال والتصاريح إلى الرأي العام. بكل تأكيد لم تعب أبداً عن بورة الشائعات السياسية المصرية أحاديث متواترة حول خلافات بين قيادات الإخوان إلى داخل مكتب الإرشاد أو خارجه. بل وحول تبلور صحنات وأجنحة رجعية محافظة في مواجهة أخرى إصلاحية وصراعاً أجيال بين حرس قديم وحرس جديد تهدد بانقسام عرى التنظيم وربما انهياره. نعم لم تكن مثل هذه الأحاديث بتنادة، إلا أن واقع دوماً ما تشعلت التي تأسست في ١٩٢٨ دوماً ما برهن على تماسكها التنظيمي وقدرتها العالية على مخاطبة الرأي العام بصوت واحد واهتواء التيارات المختلفة داخلها دون أن تلمح على السطح طوال العقود الماضية سوى محاولة واحدة في النصف الثاني من التسعينيات للخروج عن

جماعة الإخوان والسعي نحو تأسيس حزب سياسي مستقل عنها كان نطلقها المنتمين إلى الأمل ماضي صاحب الإرشاد حزب الوسط<sup>(١)</sup>. أما اليوم فتبدو صورة الجماعة المتماسكة ذات الصوت الواحد خيوطاً وقصايا الصراع داخل الإخوان والرموز القيادية للمجموعات المتصارعة. خلال الأسابيع الأولى التي تلت تداول مسودة البرنامج في سبتمبر/أيلول ٢٠٠٧ طغت على السطح رؤيتان متناقضتان ارتبطت أولهما بالناخب الأول للمرشد العام محمد حبيب والثانية بعضو مكتب الإرشاد عبد المنعم أبو الفتوح. وفي حين دافعت الأولى عن النصوص الخلافية الواردة في المسودة حول هيئة كبار علماء الدين ونفى أهمية الأقباط والمرأة لتفصيل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، انتقدتهم الثانية مشددة على أن مثل هذه المواقف لا تغير عن الإجماع الإخواني. وانحازت لكل من حبيب وأبو الفتوح قيادات في مستويات تنظيميه محتملة على نحو تبلور معه بالفعل وجود مجموعتين متقابلتين بروايتين متناقضتين حول الكيفية التي تمت بها صياغة المسودة ودينامية صراع واضحة وعلمية لم يعدها الإخوان من قبل.

فمن جهة. أكد محمد حبيب ومعه الأمين العام للجماعة الدكتور محمود عزت وعضوا مكتب الإرشاد الدكتور محمد مرسى والدكتور محمود غزالى على أن مسودة البرنامج صيغت في إطار تشاوري وبمشاورة لا غبار عليها. ووفقاً لهم بدأت عملية صياغة المسودة بتكليف المرشد العام محمد حبيب عاكف للجنة مشتملة من خبراء قانونيين وعلماء دين وسياسيين وحركيين إنجاز صياغة أولية تم عرضها على كامل مكتب الإرشاد الذي

أبدى ملاحظات عليها واعادها إلى لجنة الصياغة للتغيير والتعديل لم أعقب ذلك مناقشة ثانية داخل مكتب الإرشاد تم بها اعتماد المسودة والقرار توزيعها على الوحدات الإدارية للجماعة في المحافظات المصرية - وتلك تضم في تشكيلاتها أعضاء مجلس شورى الجماعة لإبداء الرأي كخطوة أخيرة قبل الخروج بالبرنامج إلى الرأي العام<sup>(٢)</sup>. في مقابل رواية مجموعة حبيب ومفادها هو التشديد على صياغة المسودة بصورة تشاورية داخل الجماعة، أكدت المجموعة الثانية وأهم رموزها بجانب عبد المنعم أبو الفتوح البرلماني السابق الدكتور جمال حشمت ومسئول القسم السياسي بالجماعة الدكتور عصام العريان، على أن الطرح الوارد بالمسودة لا يعبر عن التوافق الإخواني وأن البعض قد استأثر بعملية الصياغة ولم يأخذ في الاعتبار تنوع الآراء داخل الجماعة. هؤلاء دفعوا بأن المحكمة الدستورية العليا هي المحولة بتقرير مدى ملائمة التشريعات والقوانين لمادة الشريعة الدستورية وأن على الإخوان احترام نصوص الدستور التي تساوى في الحقوق السياسية بين المسلمين والأقباط والرجال والنساء ودوماً استثناء تفصيل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وبينما ذكر أبو الفتوح أن المسودة المتداولة هي حصيلة عمل مجموعة صغيرة من أعضاء الجماعة لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة<sup>(٣)</sup>. صبر حشمت عن ذات الموضوع الإقصائي حين ذهب إلى أن ما جاء بالبرنامج جاء هيئة علماء الدين والأقباط والمرأة لا يمكن توافيقاً داخل الجماعة وأن القواعد الإخوانية لم ترم المسودة قبل تداولها؛ لم تطرح هذه القضية الخلافية في المناقشات والحوارات الأولية أثناء التفكير في إعلان برنامج للجماعة يمثل وثيقة لها، ولذلك

أبدى ملاحظات عليها واعادها إلى لجنة الصياغة للتغيير والتعديل لم أعقب ذلك مناقشة ثانية داخل مكتب الإرشاد تم بها اعتماد المسودة والقرار توزيعها على الوحدات الإدارية للجماعة في المحافظات المصرية - وتلك تضم في تشكيلاتها أعضاء مجلس شورى الجماعة لإبداء الرأي كخطوة أخيرة قبل الخروج بالبرنامج إلى الرأي العام<sup>(٢)</sup>. في مقابل رواية مجموعة حبيب ومفادها هو التشديد على صياغة المسودة بصورة تشاورية داخل الجماعة، أكدت المجموعة الثانية وأهم رموزها بجانب عبد المنعم أبو الفتوح البرلماني السابق الدكتور جمال حشمت ومسئول القسم السياسي بالجماعة الدكتور عصام العريان، على أن الطرح الوارد بالمسودة لا يعبر عن التوافق الإخواني وأن البعض قد استأثر بعملية الصياغة ولم يأخذ في الاعتبار تنوع الآراء داخل الجماعة. هؤلاء دفعوا بأن المحكمة الدستورية العليا هي المحولة بتقرير مدى ملائمة التشريعات والقوانين لمادة الشريعة الدستورية وأن على الإخوان احترام نصوص الدستور التي تساوى في الحقوق السياسية بين المسلمين والأقباط والرجال والنساء ودوماً استثناء تفصيل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وبينما ذكر أبو الفتوح أن المسودة المتداولة هي حصيلة عمل مجموعة صغيرة من أعضاء الجماعة لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة<sup>(٣)</sup>. صبر حشمت عن ذات الموضوع الإقصائي حين ذهب إلى أن ما جاء بالبرنامج جاء هيئة علماء الدين والأقباط والمرأة لا يمكن توافيقاً داخل الجماعة وأن القواعد الإخوانية لم ترم المسودة قبل تداولها؛ لم تطرح هذه القضية الخلافية في المناقشات والحوارات الأولية أثناء التفكير في إعلان برنامج للجماعة يمثل وثيقة لها، ولذلك

أبدى ملاحظات عليها واعادها إلى لجنة الصياغة للتغيير والتعديل لم أعقب ذلك مناقشة ثانية داخل مكتب الإرشاد تم بها اعتماد المسودة والقرار توزيعها على الوحدات الإدارية للجماعة في المحافظات المصرية - وتلك تضم في تشكيلاتها أعضاء مجلس شورى الجماعة لإبداء الرأي كخطوة أخيرة قبل الخروج بالبرنامج إلى الرأي العام<sup>(٢)</sup>. في مقابل رواية مجموعة حبيب ومفادها هو التشديد على صياغة المسودة بصورة تشاورية داخل الجماعة، أكدت المجموعة الثانية وأهم رموزها بجانب عبد المنعم أبو الفتوح البرلماني السابق الدكتور جمال حشمت ومسئول القسم السياسي بالجماعة الدكتور عصام العريان، على أن الطرح الوارد بالمسودة لا يعبر عن التوافق الإخواني وأن البعض قد استأثر بعملية الصياغة ولم يأخذ في الاعتبار تنوع الآراء داخل الجماعة. هؤلاء دفعوا بأن المحكمة الدستورية العليا هي المحولة بتقرير مدى ملائمة التشريعات والقوانين لمادة الشريعة الدستورية وأن على الإخوان احترام نصوص الدستور التي تساوى في الحقوق السياسية بين المسلمين والأقباط والرجال والنساء ودوماً استثناء تفصيل رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء. وبينما ذكر أبو الفتوح أن المسودة المتداولة هي حصيلة عمل مجموعة صغيرة من أعضاء الجماعة لا يتجاوز عددها أصابع اليد الواحدة<sup>(٣)</sup>. صبر حشمت عن ذات الموضوع الإقصائي حين ذهب إلى أن ما جاء بالبرنامج جاء هيئة علماء الدين والأقباط والمرأة لا يمكن توافيقاً داخل الجماعة وأن القواعد الإخوانية لم ترم المسودة قبل تداولها؛ لم تطرح هذه القضية الخلافية في المناقشات والحوارات الأولية أثناء التفكير في إعلان برنامج للجماعة يمثل وثيقة لها، ولذلك

جاءت هذه المضامين صامدة. ولا تعسر بحال من الأحوال عن رأى عموم الإخوان وقواعدها التي حرمت من رؤية البرنامج أو التعليق على ما جاء فيه، وقد أبديت اعتراضاً قبل ذلك لدى الجماعة، ولم يؤخذ بها<sup>(٤)</sup>. كما أضاف العريان أنه وآخرون اقترحوا أن تصبغت مسودة البرنامج عن القضايا المختلف عليها داخل الجماعة إلى حين التوصل إلى رأى توافقية عوضاً عن صياغات لا تعبر عن عموم الموقف الإخواني<sup>(٥)</sup>. اللافت هنا أيضاً أنه مع تجاوز الخلاف بين المعسكرين حول عملية صياغة مسودة البرنامج حدود مكتب الإرشاد على وقع انتقادات حشمت والعريان بدأت أطراف أخرى في التلميح عن عدم رضاها كذلك. فلجح الدكتور محمد سعد الكتاتني، رئيس الكتلة البرلمانية للإخوان بمجلس الشعب التي تجاهل رأى البرلمانيين حول مسودة البرنامج<sup>(٦)</sup>. وتضافت أصوات بعض شباب الإخوان على موقع الجماعة الإلكتروني الناطق باللغة الإنجليزية وفي بعض المنشوات مؤكدة على أن البرنامج لا يعبر عنهم وأن صياغته تمت على نحو غير ديمقراطي<sup>(٧)</sup>. إلا أن الخلاف بين العرقاء لم يقف عند حد الروايات والمضامين المتناقضة حول عملية صياغة المسودة، بل تجاوز إلى التشكيك عن الصدر الإخواني التقليدي حين ممارسة النقد الداخلي وبخبرة الجماعة الطويلة في عدم نشر غسيلها المتسخ على الملأ. صاغ رموز المجتمعين مواقفهم بالأساس في الساحة العامة وغلب على الساحة المستخدمة طابع شديد الحدية. على سبيل المثال، أشار محمود عزت إلى أن المعارضين على أي دور في المسودة حول هيئة كبار علماء الدين والأقباط والمرأة لا يمكن أن يسلكوا سبيلاً شرعياً بينما اتهم محمود غزالى شباب الجماعة بالإصلاحيين بالنظر بالأفكار الليبرالية والبعيد عن أصالة الإخوان<sup>(٨)</sup>. أما محال حشمت فاستخدم لغة قاسية حينما ربط بين انتشار البعض بصياغة البرنامج وبين جو الاستبداد العام في مصر وما يرتبه من قتل للحالة الوسطية داخل الجماعة<sup>(٩)</sup>. برزت كذلك بالإضافة إلى نقل الصراع حول البرنامج داخل جماعة الإخوان المسلمين إلى الساحة العامة إضائية لإدارته تمثلت فيما يمكن تسميته بحرب الفتوى. مؤيدو ومعارضو البرنامج على حد سواء سعى إلى استصدار فتاوى من

## توقع تراجع تام للإخوان عن دفع قضية الشريعة إلى صدارة أولوياتهم السياسية هو لأعتبرات متعددة بمثابة ضرب من الخيال



رجال دين تدعم مواقفهم المتطرفة حول هبة كبار علماء الدين والأقباط والمرأة واستخدمت المصاوي كإحدى أدوات المواجهة العلنية. كرم محمد حبيب ورفاقه أكثر من مرة أن مكتب الإرشاد لجأ إلى عدد من علماء الدين حين إضمار المسودة وأن هؤلاء أفتوا حين إضمار المسودة والنساء لرئاسة الجمهورية والوزراء باعتبارهما من أمور الولاية الكبرى المكشوفة للمسلمين<sup>(١)</sup>. أما عبد المنعم أبو الفتوح فكان أكثر تحديدا عندما كشف في حوارات إعلامية أن الشيخ القرضاوى وأستاذ علوم الشريعة الدكتور محمد سليم العوا قد أفتيا بأن المناصب سالمة الذكر لا تشترط في سياق الولاية الكبرى وأن إقصاء الأقباط والمرأة لا يسوغ له. استند أبو الفتوح أيضاً إلى القرضاوى في التشديد على أن المحكمة الدستورية العليا هي المنوطة بضبط ملامحة التشريعات للمادة الثانية في الدستور وبالنيابة عن

### ثالثاً: لماذا الآن؟

ينبغي قبل الولوج إلى الإجابة عن التساؤلات السابقة، تجدر الإشارة إلى أن النقاشات داخل جماعة الإخوان قد توارت طوال الثمانينيات والتسعينيات حول جدوى وأهمية الحزب السياسي. بل وتبلورت بعض المبادرات المحددة الدافعة بالنسبة إلى تشكيل حزب سياسي للنشاط السياسي للإخوان كان أبرزها مبادئ حزب الشورى عام ١٩٨٦ وحزب الإصلاح في بدايات التسعينيات وكلاهما استند إلى جهد وتنسيق جماعى بين عدد من القيادات<sup>(٢)</sup>. غير أن أيًا من هذه المبادرات لم يربط الإعلان عن برنامج للحزب وفقد بالتبعية - وفي سياق الرفض المتوسع من جانب السلطات المصرية السماح لحزب إخواني بالعمل - حقيقة على ترخيص - مفزاه سريعا. حقيقة أيضاً أن مشاركة الإخوان منذ

التسعينيات في انتخابات الاتحادات الطلابية والنقابات المهنية وكذلك مشاركتهم في الانتخابات التشريعية عامي ١٩٨٧ و ١٩٩٨ في ظل تحالفات مع حزبي الوفد والعمل على التوالي قد دفعت بمسألة الحزب المرة بعد الأخرى إلى الواجهة كآلية رئيسية لتنظيم مشاركة الجماعة في الحياة السياسية الرسمية<sup>(٣)</sup>. بيد أن عوامل من شاكلة غياب التوافق بين قيادات الإخوان حول جوهر وشكل العلاقة المتوقعة بين الجماعة والحزب والخوف من المواقف المتطرفة على فصل محتمل بين الدعوة والنشاط السياسي فصلا عن التجسس من رد فعل لعل النظام الحاكم حالت مجتمعة دون تبلور الدافعة حقيقية نحو محاولة تأسيس حزب سياسي.

لماذا اليوم وفي ظل لحظة مواجهه مباشرة مع النظام بقر الإعلان عن برنامج حزب الجماعة السياسي؟ هتند نجاح الجماعة وعلى الرغم من الانتكاسات الحكومية يبدى نزاهة الاقتراح والرقابة القضائية على الناحية الانتخابية على الاستحواذ على ما يقرب من عشرين بالمائة من مقاعد مجلس الشعب في انتخابات ٢٠٠٥ التشريعية مترجمة بدلك لوزنها الفعلي على الأرض كفضيل المعارضة الأهم في مصر. ونظام الفصيل مبرك انتقل إلى موقع المواجهة المباشرة مع الإخوان سعيا إلى تضيق مساحات الفعل المتاحة لهم بتابع استراتيجيتين مرتبطتين. تمثلت الإستراتيجية الأولى في الضغط الأمني والذى كان من أبرز أهراساته التوقيف، التوقيف لأعضائه والجماعة وتحويل عدد من قياداتها أبرزهم النائب الثاني للمرشد أحمد خيرت والناظر ورجال أعمال كبار قريبين منها إلى محاكمات عسكرية تدور رحاها حتى يومنا هذا أما الإستراتيجية الثانية فرامت تغيير بيئة

المشاركة السياسية للإخوان بمرص قيود قانونية جديدة جاءت في سياق سلم من التعديلات الدستورية مررها السلطة من مجلس الشعب المصري ومن ثم في استفتاء عام في ربيع ٢٠٠٧. وأهم ما جاء بسبلة التعديلات فيما يتعلق بالإخوان المسلمين هو النص على منع مباشرة أي نشاط سياسي أو قيام أحزاب سياسية على أيه مرجعية دينية أو أساس ديني، المادة ٥ المعدلة بصورة تحول عملا بين الجماعة أو أي فصيل سياسي آخر يستند في رؤاه وبرامجها إلى مرجعية دينية وبين الترخيص لأحزاب سياسية معترف بها الجماعة أو أي فصيل سياسي آخر يستند في رؤاه وبرامجها إلى مرجعية دينية وبين ذات وضعية قانونية. وكذلك إفساح الطريق دستوريا أمام تغيير النظام الانشغالي المعمول به في مصر من النظام العرادي إلى نظام خليط يتشعب القوائم الحزبية كإطار منظم ويترك هامشا صغيرا للمقاعد الفردية ١٢ المعدلة) على نحو سيحد في المستقبل من مشاركة الإخوان في الانتخابات التشريعية وهم الدين الاندوا كجماعة محظورة ليس لها وضعية قانونية على ترشيح مستقلين يتيمون لهم لمفاصل في الدوائر الانتخابية<sup>(٤)</sup> يصبح السؤل إذا هو لماذا تقدم الجماعة على إعداد برنامج حزب سياسي وتخرج به إلى الرأي العام في لحظة يعلم قادته ومصاؤها في المراقبين خارجها أن الترخيص لحزب تابع لها هو بمثابة ضرب من المستحيل؟ هنا يمكن الإشارة إلى عاملين رئيسيين هما عاملين فرعيين ربما حفزوا مجتمعتين الإخوان على القيام بحظوتهم بالرغم من البيئة السياسية غير الواتية والقبول التي فرضتها على فعل ومساحات حركة الجماعة.

فمن جهة أولى. أخرجت المواجهة مع النظام الحاكم بعد انتخابات ٢٠٠٥ التي ميزتها خلال الفترة التي سبقت الانتخابات - وكان من أهم ملامحه إصدار مبادرة الإصلاح في ٢٠٠٤ والمشاركة مع بقية فصائل المعارضة المصرية والمجتمع المدني والقضاة المستقلين على رفع سقف الصعوت على النظام الحاكم لإنحاز إصلاحات ديمقراطية حقيقية - لتعديها إلى خاتمة العمل في ظل ضريات النظام المستمرة مرتبطة بالتبعية إصرار إستراتيجياً واضحاً داخلها. في هذا السياق. ربما أراد الإخوان من خلال إعداد برنامج لحزب العودة إلى دائرة الفعل وإشارة لمناشآت إيجابية حوله لتجاوز

### قضية الشريعة. ولدت شعورا

#### مؤذاه أن الجماعة تريد فرض اختزال

#### التراث التشريعي والقانوني الطويل للحضارة

#### الإسلامية بتأويلات ضيقة تفرض على

#### المصريين بصورة غير ديمقراطية

# ماذا يحدث داخل حركة الإخوان المسلمين

الصورة السلبية التي فرضتها المواجهة مع النظام... مثل هذا الأمر اكتسب أهمية مصاعمة في أعقاب تلك الحادثة التي عرفت بحادثة ميليشيا الأزهر... وبعد أن هاجم الرئيس مبارك الجماعة علناً بصراوة لافتة متهماً إياها بأنها «خطر على أمت مصر لأنه يتبنى نهجاً دينياً...»

من جهة ثانية، دأب عدد من رموز الإخوان خلال عامي الحراك السياسي في ٢٠٠٤ و٢٠٠٥ على تقديم الوعود بأن الجماعة المحطورة عارمة إما على التحول إلى حزب سياسي مدني ذي وضعية قانونية في شأنه فإن تفكر ملياً في حل الجماعة حال حصول الحزب على الرخصة القانونية أو على الأقل أن الإخوان مع التمييز الواضح للدين، الدعوى من السياسيين - المدن في خلال الفصل الوظيفي بين الجماعة وحريها... ولدت مثل هذه الوجود حالة مزجوة من الترقيع والام لدى قطاعات واسعة من الرأي العام المصري ورثت بالنتيجة السياسية لمخوفة كهذه بل وكما سنأتي على التفصيل لاحقاً، وفي ظل عدم استعداد الجماعة فكرياً ونظمية... له.

هضلا عن ذلك، ثمة عاملان رعيان ربما لعبا أيضاً دوراً إضافياً في تحفيز الجماعة على الخروج ببرنامح الحزب إلى الرأي العام، ألا وهما الحزب الملموسة إلى استجداء غموض رؤية الإخوان حول بعض جوانب رؤيتهم لسياسة المجتمع مع المسار التطوري العام لعدد من الحركات الإسلامية المشاركة في اللعبة السياسية السلمية في العالم العربي. ففي حين أصبحت الجماعة من الإخوان المسلمين من خلال سلسلة من البيانات أهمها مبادرة الإصلاح ٢٠٠٤ وبرنامح الانتخابات لمرشحيها في انتخابات ٢٠٠٥ انتمزها بالتحول التدريجي نحو الديمقراطية في مصر ومدنية الحياة السياسية، ابقت الجماعة على مكانة من الرعايدة بل والإزدواجية في المواقف حول عدد من القضايا المركزية بل نحو رتب انتقادات ومطالبات متصاعدة بإجلاء الحصوص حولها... وكما سبقت الإشارة، تمثل أهم هذه القضايا في موقف الإخوان من مبدأ التساوي، التزم في الحقوق السياسية بين المواطنين المصريين بغض النظر عن الدين والنوع، طبيعة الخطوات الإصلاحية المحددة التي تؤيدها الجماعة، وكذلك كيفية الترجمة الفعلية

لمركزية الشريعة الإسلامية ودورها في النظام السياسي هنا بطر البعض من الإخوان ومن خارج صفوفهم إلى برنامح الحزب بكونه يقدم فرصة سانحة لتوضيح وتحديد المواقف وربما مقدمة لحسم صراع الإرادات داخل الجماعة بين أصحاب الرؤى المتنافسة...

ثم شكل المسار التطوري للإسلاميين في بعض الدول العربية، وبه تحدرت حركات كالإصلاح والتوحيد القربية وجماعة الإخوان المسلمين الأردنية عندما اتبعت لها فرض للمشاركة في العملية السياسية الرسمية بثقة ينادية نحو فصل وظيفي بين الجماعة المدنية الدعوية وبين الكيان السياسي المدني على نحو أخذ شكل تأسيس أحزاب متمثلة في العدالة والتنمية المغربي وبجبهة العمل الإسلامي في الأردن. عنصراً ضاعطاً وسياًقاً للمقارنة مع وضعية الإخوان في مصر على نحو دفع بعض القيادات داخل الجماعة إلى توظيفه للمعاداة صراحة بأهمية الفصل بين الجماعة والحزب المراد تأسيسه، ففي حوار مع أسبوعية الصحوحة اليمنية القربية من الإسلاميين في التجميع اليمني للإصلاح، استدعى الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح تجارب الإسلاميين خارج مصر في معرض الحديث عن الجماعة والحزب؛ «هناك حوار داخل مؤسسات الجماعة حالياً نحو هذه المسألة بل نحسمه بعد، ونستدعي في هذا الحوار تجارب الحركات الإسلامية في اليمن والأردن والمغرب والجزائر لنستفيد منها في التخطيط لسنستعمل العمل السياسي للحركة في مصر. ففي الأخيرة مثلاً حركة مجتمع السلم محس هي مظلة لعدد من الحركات والدعوى معاً، في الحزب المسألة السياسية فيها كانت العدالة إلى جانب حركة التوحيد وهما منفصلان إدارياً ونظمية، في الأردن

هناك الحركة والعمل الإسلامي جناح سياسي لها.. وكذلك التجربة في اليمن تحاول أن نستدعي جميع تلك التجارب لنستفيد منها... إلا أن الحوار لدينا لم يحسم بعد...» أما الدكتور عصام العريان، مسئول القسم السياسي بالجماعة، فأشار أيضاً إلى نفس المعنى في معرض التعليق على الانتخابات المصرية الأخيرة؛ «وفي إطار سعي الحركات والأحزاب الإسلامية إلى الاندماج في الهيئة السياسية للنظم العربية تأتي أهمية متابعة تجارب الحركات والأحزاب الإسلامية في كل مكان. وإذا كانت مصر في الماضي رائدة في نقل التجارب إلى بقية البلدان العربية، فإننا اليوم في موقع المستفيد من تجارب الآخرين...»

لم يعد الإخوان إلا العوامل النافعة بجماعتهم نحو السير على درب حركات إسلامية أخرى أو على الأقل إظهار قدرتهم ورغبتهم في ذلك بالعمل على مسودة برنامج الحزب والإعلان عنها. وحاولت الجماعة توظيف البرنامج بصفحة الملتة والتعاني والمضربين من القطع الكبير لصياغة نموذج متكامل لإدارة شؤون مصر الداخلية والخارجية على نحو تميز في تفصيلته عن مبادرة الإخوان ٢٠٠٤ والبرنامح الانتخابي ٢٠٠٥ وإن اعتمد عليها.. كما دال إقدام الإخوان على إرسال مسودة البرنامج إلى عدد من المفكرين والمحللين خارج دوائرهم على رغبتهم في خلق حالة من النقاش والزرخم حولها تعيد الجمارة إلى صدارة المشهد العام. إلا أن خمار الإخوان أيضاً لم تكن بالضئيلة، بل هي واقع الأقرم القابل المباشر لما تقوموه أو راموه من مكاسب.

فمع أن العقود الطويلة من العمل السياسي كمعارضة محظورة تواج به بين الفنية والأخرى قمع نخبة الحكم قد

وضعت ضغوطاً وقيداً عديدة أمام الإخوان استفادت الجماعة من وضعيتها باعارضة في التملص مراراً من تحديد موقفيها حول قضايا المصوى والمجتمع الرئيسية وإجلاء المعصوى المحيط ببعضها، فاحتمالية الانتقال حركات المعارضة بالنظم السياسية السلطوية وشبه السلطوية إلى مواقع الحكم من المحدودية بحيث يمكن لهذه الحركات الاكتفاء بتوجيه سهام النقد للحكام والتركيز على إخفاقاتهم دونما حاجة إلى صياغة بدائل واضحة قابلة للتطبيق، بعبارة أخرى، يمكن النظر إلى مفردات كالغموض والتأرجح والعموميات (political opportunism) بكونها المكتسبات من النظم السلطوية وشبه السلطوية لدا، وعلى الرغم من المكاسب التي توفقتها جماعة الإخوان من جراء الإعلان عن برنامح لحزبها يحسم خلافاتها الداخلية ويجيب على تساؤلات الرأي العام ومن ثم يسمح بالدعوة إلى دائرة الفعل ويخفف من كلفة اختلافاتها مع نخبة الحكم، فإن الجماعة خسرت بمسيرة الإعلان عن برنامح تصصيلي ويخفف الظاهر من مصاعبه امتياز الغموض والحق في الأكتفاء بحديث العموميات، كذلك حملت مسودة البرنامج إلى الإخوان كلفة إضافية تمثلت في وضعهم بإزاء المفاضلة بين مطلبيتي الأعضاء والأنصار من جهة وتوقعات الرأي العام من جهة أخرى، نجح الإخوان منذ سبعينيات القرن الماضي في المشاركة السياسية بفاعلية اعتماداً على إستراتيجية مزجوة عبرت باستمرار قواعدهم الشبكية وجذبت قطاعات أوسع من المصريين بشعارات فصصاضة كالإسلام هو الحل دار جلها حول دور الدين في الحياة العامة، إلا ما كن حديث العموميات عن أولوية تطبيق الشريعة دون تحديد، آليات واضحة أو عن مركزية المرجعية الإسلامية مع ضبابية المصمون الحماصة، من الخلافات بإيجابية مع مطلبيتي أعضائها وانصارها المنفوعة بحلم تطبيق الشريعة وفي ذات الوقت تهتله المخاوف العامة من اختزال الأجندة المدنية بقضية الشريعة وكان لافتاً خاصة خلال السنوات القليلة الماضية كيف دأبت قيادات الإخوان على توزيع الأدوار بكفاءة بين أولئك المتجهين بخطاهم العلني إلى القواعد الشعبية كحميد حبيب ومحمود عزت وهما أبرزها بالتشديد المتواتر على قضية الشريعة

## رأى البعض من قيادات الإخوان بهذا الموقف اسباقاً مع أحكام الشريعة، رفضه فريق آخر شدد أعضاؤه على تناقض الإقصاء مع مبدأ المواطنة



ويعطيها الرمزية على خطابهما العلني وبين الفريق الذي أنيط به الحديث مع الآخر خارج الإخوان إلى عصر أو بالقرب من مركز رموز وأهمهم عبد القيم أبو الفتح على المنأخ الجماعة على قضايا التحول الديمقراطي وكون وظيفة المرجعية الإسلامية إنما تتمثل في التوجيه العام لخياراتها السياسية كما هو الأمر في حالات الأحزاب المسيحية الديمقراطية بأوروبا العربية، حدث مسودة البرنامج ومقارنتها التفصيلية كثيرا من جدوى الادراجية الإحوائية وفرص اختيارها ما بين البديلين المحافظ والمنفتح.

ثم فقدت الجماعة بإخراجها مسودة البرنامج إلى الساحة العامة قدرتها على إدارة النقاش حوله والتحكم بسياقاته نعم عاد الإخوان جزئياً إلى الفعل والبادرة، إلا أن تقصيلية البرنامج قدمت لتخفيه الحكم وقوى المعارضة الأخرى زادا جديداً، هيامة الجماعة، فكما سبقت الإشارة، رتب مقترح استحداث هيئة لعلماء الدين فضلاً عن إقصاء الأقباط والنساء من المناصب العليا سيلاً من الانتقادات المستمرة ورج بالإخوان إلى مواضع شديدة السلبية بالساحة العامة، فعلى سبيل المثال، وبعد سنوات من المحاولات الخفية لصياغة صورة إيجابية من رؤيتها للمرأة ودورها بالمجتمع استناداً إلى رمزية الأسرة وخطاب الأخلاق والقيم الدينية الأصيلة ومسحة من التوجه الحقوقي الداعي لمشاركة النساء بالحياة العامة والسياسية، وجدت الجماعة نفسها في أعقاب الإعلان عن البرنامج في موقع المنهم المذان يرفض المساواة التامة بين المواطنين من ذكور وإناث، فقد أجبرت تقصيلية البرنامج الإخوان على التعامل مع قضية أهلية المرأة للمناصب السياسية والخارجتهم بالتبعية من أمان قطاعاتهم الأخلاقية المضغاض، بل جردت الأخير من المصادقية بساحة عامة أدرك التناقض الجلي بينه وبين الجوهر الرجعي لشزع أهلية تولى منصب الرئاسة ورئاسة الوزراء عن النساء.

أخيراً، عمقت مسودة البرنامج من الصراعات بين قيادات الجماعة ودعت إلى السطح بتناقضات داخلية جوهرية تنزع على كامل الحركة المنهكة من مواجعتها مع ذبابة الحكم المزدب من الأعياء، هنا أيضاً كان لعموض الإخوان قبل البرنامج وظفيفته الهامة، فقد مسح غياب الوثيقة الواحدة لقيادات الجماعة بالتحرك بحرية نسبية واستقلالية ذاتية داخل عوالم الإخوان

الحطابية مركزين على نقاط مختلفة ضمدت من الشريعة إلى التحول الديمقراطي، ذهب إعلان المسودة بإمكانات الحرية والاستقلالية هذه وحتم على قيادات الجماعة التبني العلني لأواظ محددة والدفاع عنها في مواجهة عرقاء الداخل قبل الخارج، وواقع الأمر أن الإخوان سعوا طويلاً إلى تحنن الكلمة الداخلية لحسم المواقف وكان لهم في بعض جوانب مسارات الحركات الإسلامية العربية عبر واضحة، فعلى سبيل المثال، دخلت جبهة العمل الإسلامي بالأردن بلحظة انقسام ممتدة بين معسكرات متنافسة ارتبطت بتحديد الموقف من الانتخبات التشريعية الأخيرة هناك والاستراتيجية الأفضل للتعامل مع نظام حكم لا يبق بالإسلاميين، في حين ما زالت الحركة الدستورية الإسلامية بالكوت تعاني من تداعيات انقسامها حول قضية الحقوق السياسية للمرأة وفي القلب منها حق التصويت بالانتخابات ويحتاج حزب العدالة والتنمية بالقرب خاصة في أعقاب انتخابات الخريف الماضي نقاشات صامصة حول مستويات العلاقة بين المدني والسياسي يذوب الحزب، فحسم المعارضة لمواقفها بالنظم السلطوية وشبه السلطوية يجعلها كلفة داخلية ترتبط بتمتعها بالصراعات بين قادتها وتزايد احتمالية انشقاقاتها الداخلية، ولا شك أن جماعة الإخوان المسلمين قد فتحت بإعداد برنامج الحزب والإعلان عنه الباب على مصرعيه لدينامية الصراع والانشقاق ذاتها.

## رابعا، ملامح الصيغة التوافقية

هذه الكلفة الباهظة لمسودة برنامج حزب الإخوان والانحسار السريع لمكاسبه

الأولية حتمت قيام الجماعة بإعادة ترتيب أوراقها والبحث (تعيداً) ابتداء من النصف الثاني من أكتوبر لتشرين الأول ٢٠٠٧ أي بعد مرور ما يقرب من شهرين على تداول المسودة عن صيغة توافقية داخل الجماعة حول القضايا الخلافية ثلوتت ملامحها تدريجياً تركزت ملامح التوافق الإخواني إلى ثلاثة عناصر رئيسية، فعلى صعيد أول، يبدو أن الجماعة قد قررت تغيير الإشارات الواردة في المسودة حول الهيئة المنتخبة لعلماء الدين باتجاه ينفي عن أرائها الطابع الإلزامي بالتشديد على أن مهمتها فقط استشارية وبصورة ترتبط بينها وبين مؤسسة الأزهر ولا تحولها أية صلاحيات فيما يتعلق بتقرير مدى ملاءمة التشريعات للدستور باعتبار أن هذه الوظيفة منوطة بالمحكمة الدستورية العليا، بعبارة بديلة، يعكس التوافق هنا ترجيح موقف مجموعة عبد المنعم أبو المتوح والعريان وحشمت على حساب موقف مجموعة حبيب وترجاماً إخوانياً عن طرح استنار الرأي العام ودفع البعض إلى اتهام الجماعة باستلهم نموذج ولاية الفقيه الإيراني.

في حوار مع صحيفة "العصر" اليوم المستقلة، شدد المرشد العام عاكف على عبد الحاس، (٠٠٠) نريد أن نشن هيئة علماء منتخبة وهي التي تنتخب شيخ الأزهر، وهي ليست إلا هيئة استشارية ومن أراد أن يستشيرها في الحياة العامة فليستشرها ولكن القرار لمجلس الشعب وحسب الدستور لا بد أن تتشرف مع الشريعة الإسلامية وإذا حدث خلاف فالمحكمة الدستورية هي التي تحكم بين الخلفين (٠٠٠)، تكررت ذات الضامين، بل واث الصياغات، في سلسلة من الحوارات وتصريحات أدلى بها محمد حبيب وصمود عزت وعبد المنعم أبو الفتح (٠٠٠) وتضع تدريجياً أن الجماعة أرادت إزاء

الكلفة العالية التراجع تماماً عن مقترح إنشاء هيئة لعلماء الدين ووجدت في الرديف لها وبين مؤسسة الأزهر مخرجاً ملائماً يحفظ ماء الوجه وعلى الرغم من محاولات بعض قيادات الإخوان إجلال شكل علاقة المستقبلية بين الهيئة والأزهر والدفع بمزاي وجود هيئة منتخبة داخل الأزهر تبعده عن هيمنة السلطة التمييزية (٠٠٠)، إلا أن أغلب الظن أن الأمر لا يبدو أن يكون محاولة لتمشيش الفكرة عملاً بوضعها في سياق خطاب الجماعة التقليدي حول إصلاح الأزهر وهي التي لا تملك من أمر الأزهر شيئاً.

على صعيد ثان، تدلل تصريحات الإخوان على الاتجاه نحو الإبقاء على النصوص الدستورية للأقباط والمرأة في رئاسة الدولة واعتبار ذلك خيار الجماعة وحزبها الفعلي، في هذا السياق أيضاً جاءت كلمات المرشد العام واضحة ورفضه الآخرين، وهناك نقطتان، الأولى والأقباط، الإخوان أخذوا فيها قراراً وهما ليساً عندنا هناك في الشرع والدين أناس فقهاء يقولون الدولة الإسلامية لا يكون على رأسها إلا مسلم، ولا يجوز لدولة أن يكون على رأسها امرأة وإذا رأى فقهي وهناك آراء فقهية أخرى غير ذلك... ونحن كأخوان لنا اختيار ولا نلزم به غيرنا، ولكن نلزم به الحق المسلمين وليس كل المصريين لكني يؤمنون به وصناديق الاقتراع هي التي تحدد (٠٠٠) إذا رجحت وجهة نظر مجموعة حبيب وعزت ومرسى وحسبت حركت الأقوى وانحسار التقيد الفقهي الدافع بعدم أهلية غير المسلمين والنساء للرئاسة مكويده من مناصب الولاية الكبرى على الرغم من ضاروة الانتقادات التي وجهت للجماعة من داخلها وخارجها هنا يبدو، بجانب فتاعة التوافقية بين القيادات الإزهرية بصفة هذا الطرح، أن خشية الإخوان من المساومة على الطابع الإسلامي المميز لبرنامج حزبهم عن غيره من الأحزاب وما قد يرتبته ذلك من تداعيات على مستوى القواص الشعبية والخوف من الظهور أمام الرأي العام بمظهر الجماعة المضطربة غير واضحة الخيارات في مواضع محورية لتسوية للتراجع من قضايا العلنية حين تولد سبب النقد لها قد دفع إلى تبني إقرار عدم أهلية الاقباط والنساء مع محاولة الحد من الانزلاق المتربة عليه، فالألفاظ للنظر أن تصريحات قيادات الإخوان الأخيرة

أخرجت من جهة رئاسة الوزراء من دائرة المناصب

## يظهر البرنامج جماعة الإخوان

بمظهر من يريد تحولاً ديمقراطياً

وتعدّد السلطات، وما لبث في ذات الوقت

يخيلهم بدولة كلياتية تطال

أدوارها كل قطاعات المجتمع



- ٧- نص حوار مع عصام العريان على قناة العالم الإذبية الناطقة باللغة العربية، ٤ نوفمبر/ تشرين الثاني ٢٠٠٧، تصريحات عصام العريان لبوذية الحياة، ١٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ٨- حوار مع الدكتور الحسن عاكف عاكف، ٢٠٠٧، www.ikhwanonline.com، ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، ٩- متابعة نص ميثاق الإخوان، ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، www.ikhwanonline.com، ١٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، ١١- حوار جمال ختمت مع موقع إسلام أون لاين، ٢٠٠٧، ١٢- تصريحات لعبد الممنع أبو الفتوح على قناة الجزيرة، ١٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ١٣- تصريحات لعبد الممنع أبو الفتوح على قناة الجزيرة، ١٢ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ١٤- تصريحات لعبد الممنع عاكف لبوذية الحياة، ١٨ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ١٥- حوار مع عصام العريان لمقابلة عصر اليوم، ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، ١٥- تمزيق ميثاق حزب الشورى والإصلاح بدمارته قيادات الإخوان آنذاك لها، وهو الأمر الذي اختلف جدراً من جوفه تعاطى الجماعة مع مبادئه لاحقاً وصمت الأولى - مبادرة حزب العمل عام ١٩٩٥ - والطابع الفردي وتبنت الثانية - مبادرة حزب الوسط في ١٩٩٦ - بروز حركة الانشقاق الوحيدة داخل الجماعة خلال العقد الثلاثة الماضية، ١٦- راجع مع: Carnegie Wickham, Mobilizing Islam, New York: Columbia University Press, 2002. ١٧- راجع مع:

Nathan J. Brown, Michele Dunne & Amr Hamzawy, Egypt's Constitutional Amendments, Washington, DC: Carnegie Endowment, March 2007.

٢- راجع مع: Clark Lombardi and Nathan J. Brown, "Do Constitutions Requiring Adherence to sharia Threaten Human Rights?" How Egypt's Constitutional Court Reconciles Islamic Law with the Liberal Rule of Law," 21 American University International Law Review, p. 379-435, 2006, and Clark Lombardi and Nathan J. Brown, "The Supreme Constitutional Court of Egypt on Islamic Law, Veiling and Civil Rights: An Annotated Translation of Supreme Constitutional Court of Egypt Case No. 8 of Judicial Year 17 (May 18, 1996)," 21 American University International Law Review, p. 437, 2006.

٣- جدير بالذكر هنا الإشارة إلى الشناخ بين مؤسس مبادرة حزب الوسط أبو العلا ماضي والمرشد العام للإخوان محمد ممدى عاكف حول بداية المبادرة فهي حين يؤكد ماضي على أنه صاحب الفكرة وأن جوهراً من الخروج من عباءة الإخوان بعد خلافات يصف عاكف إلى أنه هو الذي اقترح على ماضي فكرة تأسيس الحزب في منتصف التسعينيات عندما أودع مجلس شورى الجماعة في السجن زوجة الربوبيين أبو العلا ماضي. كتاباتي مع الإخوان قصة الوسط، موقع الإخوان، ٢٠٠٧، www.almesroon.com، ٢٠٠٧، حوار مع محمد ممدى عاكف، أسبوعية آخر ساعة المصرية، ٢٠ يوليو/تموز ٢٠٠٥.

٤- حوار محمد حبيب مع الموقع الناطق بالإنجليزية للجماعة الإخوان ويب، ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، www.ikhwanweb.com، ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧، حوار مع محمود عزت مع الإخوان، ٢٣ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ٥- حوار مع محمود عزت مع الإخوان، ١٠ نوفمبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، www.ikhwanonline.com، ١٠ نوفمبر/تشرين الأول ٢٠٠٧.

٥- حوار مع عبد الممنع أبو الفتوح، الاحرام ويكي، ٢٥ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، ٦- حوار جمال ختمت مع موقع إسلام أون لاين، ١٦ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧، www.islamonline.net، ١٦ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧.

البرنامج بالجماعة إلى مواقف الدفاع المستعيت عن النفس في ظل خلافات داخلية بين قياداتها وترتجح لعقلها الإستراتيجي وشكوك متزايدة خارجها. طالت المتعاطفين معها ومع دورها المحتمل في مواجهة نخبة الحكم السلطوية واليوم يبدو الإخوان في سياق صناعة التوافق بينهم والتعامل مع كلفة البرنامج الباهظة بظهر القوة الباحثة عن إمكانات للارتداد ومصاصات للتراجع لا تسعى إلى المواقف الرماضية التي أرادت هي التخلص منها بإعداد برنامجي مقارنة تعصيلية وما لبثت حركة المعارضة الإسلامية الأهم بمصر عاجزة عن السير على دروب الإسلاميين في دول عربية أخرى فصولاً بين الدين - الدعوى السياسي - المدني بتأسيس أحزاب وجمعيات تمارس العمل السياسي فقط وتبحث عن الإستراتيجيات الأمثل للتعامل مع بيئات ضاغطة. وإن كان الأمر هنا لا يرتبط فقط برؤى الإخوان بل يتعداه إلى موقف نخبة الحكم الراصد لديهم كصاعل شرعي بالحياة السياسية لا لمرادهم بل خوفاً من قدرتهم على المنافسة. ١١

## هوامسش

- ١- خلال الأسبوع الأخير في شهر أغسطس/آب ٢٠٠٧، رعت جماعة الإخوان المسلمين مسودة برنامج حزبيها السياسي على ما يقرب من ١٠ مفكرًا ومحللاً وصحفيًا ومصر وخارجياً طلباً للتشليل والتعقيب (أو الصيغة كما نسميها أحياناً). حقيقة أن أغلب من تلقوا المسودة هموا الكتابات منها في مقالات صحفية منشورة أو تناولوا في تحليلات عنيفة رتبت لتطور النقاش العام حولها وقعت العديد من زواجر النقاش إلى الإلزام بدراهم بصورة التست بزيوت ناقصاً جهورية في المواقف الإخوانية

المستبعد. أعادت من جهة أخرى إنتاج مصدرات خطاب، لئلا تصد الأقباط والبراءة، المتداول أحياناً كلما خلقت مواقف الجماعة شكوكاً في مدى التزامها مبدأ مواطنة الحقوق المتساوية". على صعيد ثالث وهي محاولة لتعريف الصورة الصراعية للجماعة وسيل المواقف المتضاربة خلال الأسابيع الأولى للنقاش حول برنامج الحزب وكلفتها كانت باهظة إن على مستوى القواعد الشعبية أو الرأى العام. يحاول الإخوان العودة إلى السابى عدهم كحزب منضبطة تتحدث بلسان واحد. ولا صعب أن أقوى التصريحات في هذا الصدد قد جاءت على لسان محمد حبيب ومحمود عزت. فحبيب أكد على أنه لا توجد معارضة نهائية داخل مكتب الإرشاد لما انتهى إليه الرأى الرهف وألاية المرأة والقبلي، "، في حين تبد عزت على أن الجماعة قد حسمت أمرها بشأن البرنامج ولم يعد هناك مجال للحلاف داخلها أو لتضارب التصريحات". أما أبو الصوح والعريان وغيرهما من منتقدي مسودة البرنامج فانتموا بحزب الصيغة التوافقية وعادوا إلى عصبونات اللغة الإخوانية القاضية بأن الخلاف في الرأى لا يفسد للو قضية وأن تنوع الاجتهادات والمماريات داخل الجماعة هو دليل على حيويتها وقدرتها على الحوار وليس على انقسامها الداخلي بين صفور وعلمهم ومتشدين ومعتدين".

تسمى جماعة الإخوان المسلمين إذا بصيغة توافقية تستند إلى مساومة بين مزيدي وعارضين مسودة البرنامج وتأخذ بالاحسان موقف الرأى العام وقلق قواعد الجماعة الشعبية إلى إنهاء الصراع داخلها بحسم القضايا الخلافية وتجميع الاغراض التي ركبها تناول المسودة. على الرغم من ذلك سيظل التساؤل قائماً حول حدود ثبات الصيغة التوافقية ومدى اقتناع الرأى العام بوحدة الصف الإخواني بعد أن طلعت إلى السطح تناقضات قادتها الجهورية وحلافهم وفي ظل سرعة لتعاقب الاحداث لم يعهد الإخوان في قبل لتبصيرة النقاش حول مسودة برنامج حزب الإخوان ولتداعياتها على الجماعة ودورها السياسي السياسي المصرية من الدلائل الكثير. فشلت محاولة الإخوان في توظيف البرنامج للعودة إلى مواقع المبادرة وصناعة زخم حوله يتجاوز سلبيات لحظة المواجهة مع نخبة الحكم ويهدن من مخاوف الرأى العام بإجلاء غموض مواقفهم. بل زج

## واقع الجماعة التي تأسست في ١٩٢٨

دوما ما برهن على تماسكها التنظيمي وقدرتها العالية على مخاطبة الرأى العام بصوت واحد واحتواء التيارات المختلفة داخلها دون أن تطفو على السطح طوال العقود الماضية



## كتاب الزاوية



### مصر أم الدنيا

### حسين مؤنس

في البدء كانت مصر... قبل الرمان ولدت، وقبل التاريخ وجدت  
هنا بدء كل شيء: الزراعة والمعمار والكتابة ولوقى والهندسة والتقارب  
والنظام والحكومة..  
هنا أيضاً ولد «الضمير»، واكتشف الإنسان «الروح» من حيوان  
يهرى لينجو من خطر، أو ليفترس، أو ليأكل، أو ليعيث عن أنثى.  
تحول إلى إنسان يفكر، ويتأمل، ويرسم، ويكتب، ويحاسب نفسه.  
مع حساب النفس نشأت الآلة لتقوم بالحساب وتصيب الميزان  
خارج دنيا الأرض نشأت دنيا السماء، وقام الدين والأخلاق... والخير  
والشر..  
الملكوت والشياطين ولدوا جميعاً هنا. ومن عندنا خرجوا إلى  
الدنيا.

وهي قلب المصري القديم، وهي بيته وهي مدينته وحقله في  
أرضه وسماها وجدت «معات»، رمز الضمير والإحساس الإنساني  
والقانون الأخلاقي. «معات» هي ما نسميه اليوم بالبرودة، البرودة  
بمعنى الإنسانية والحب والحير والعدالة والصلابة، هذه كلها اكتشفها  
المصري القديم. وهو يعمل في حقله وينظر إلى السماء الزرقاء،  
ويستعطف الشمس الحامية. ويعانق النبات الأخضر الطالع.  
قرون تجرى في إثر قرون، عوالم تولد ثم تموت ومصر هنا في  
مكانها، تبني وتتشق وتعمّر وتكتب وترثه ونشد ونصبر. وتنالق  
وتتوحد وتغيب، ثم تتلاق وتوحد.

Endowment, March 2006, and Amr Hamzawy, Marina S. Ottaway, and Nathan J. Brown, "What Islamism Needs to Be Clear About: The Case of the Brotherhood," Carnegie Policy Outlook no. 35, Washington, DC: Carnegie Endowment, February 2007.  
٢٣. حوار مع عصام المصيري على قناة الساعة المصرية، ٢٨ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧. مع حوار مع المصيري على قناة دريم المصرية، ٣٠ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧. أيضاً حوار مع الدكتور محمود عزت، الأمين العام للإخوان موقع نافذة مصر [www.egyptwindow.net](http://www.egyptwindow.net) ٦ نوفمبر، تشرين الثاني ٢٠٠٧.

٢٤. حوار مع الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح، أسبوعية الصحة البهيمية، ١ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦.  
٢٥. عصام المصيري، الانتقائيات البرلمانية المصرية ظهورها ودلالات وخيارات، الموقع العربي للجماعة الإخوان أون لاين [www.ikhwanonline.com](http://www.ikhwanonline.com)، ٣٠ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧.  
٢٦. جدير بالذكر أيضاً أن القراءة الإخوانية الإيجابية لتحرير الحريات الإسلامية خارج مصر يقابلها قراءة حذرة يشهدها معادها أيضاً داخل الجماعة تترك في جواب بعض الحركات الإسلامية لشككت في الفهم السياسي الرسمي في المحيط العربي ترميزاً غير محمود في ثوابت التيار وأسس فعله يمكن في هذا الصدد مراجعة الدكتور محمد مرسى، الإخوان المسلمون - الأحزاب الإسلامية للعامة، موقع نافذة مصر [www.egyptwindow.net](http://www.egyptwindow.net) ٦ أغسطس ٢٠٠٧.

٢٦. حوار مع المرشد العام محمد مهدي عاكف، المصري اليوم، ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
٢٧. حوار محمد حبيب مع الموقع المناطق نا إنجليزية لـ الجماعة الإخوان ويب [www.ikhwanweb.com](http://www.ikhwanweb.com) ١١ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧. حوار مع محمود عزت، موقع نافذة مصر [www.egyptwindow.net](http://www.egyptwindow.net) ٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧. تصريحات لعمد المنعم أبو الفتوح على [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
٢٨. حوار مع الدكتور محمود عزت، موقع نافذة دمياط [www.damiatwindow.net](http://www.damiatwindow.net) ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
٢٩. حوار مع المرشد العام محمد مهدي عاكف، المصري اليوم، ٢٤ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
٣٠. تصريحات لعمد حبيب، بومية الشرق الأوسط، المسندديه ٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.

٣١. تصريحات لعمد محمد حبيب على [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
٣٢. حوار مع محمود عزت، موقع نافذة دمياط [www.damiatwindow.net](http://www.damiatwindow.net) ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧ (لا يوم محدد).  
٣٣. تصريحات لعمد المنعم أبو الفتوح على [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) ٧ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧. حوار مع عصام المصيري على [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) ٢٧ أكتوبر/تشرين الأول ٢٠٠٧.

١٨. حوار مع الدكتور محمود عزت، الأمين العام للإخوان، موقع نافذة ساقدة - مسمر الثاني ٢٠٠٧. [www.egyptwindow.net](http://www.egyptwindow.net) ٦ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٧.  
١٩. في ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٦، تقاطع عدد من طلبية الإخوان المسلمين في جامعة الأزهر احتجاجاً على ما اعتبروه تزوير لإرادة الطلبة في سياق انتخابات الاتحادات الطلابية وفي أعقاب فرض إدارة الجامعة لتقويات لادارية على بعض زعمائهم. إلا أن أولئك الطلبة تقاطعوا مرشحين فاعات سوداء ذكرت البعض بمجموعات حزب الله وحركة حماس التشييبانية وأدو، استمر صات شبه عسكرية نشرت الصحف المصرية الحكومية والمستقلة تعقيبات واسعة لها استملت الأجهزة الأمنية المصرية هذه الحادثة لإتهام الإخوان بالاحتفاظ بجماع شبه عسكري داخل الجماعة وألقت القبض على عدد كبير من طلبية الأزهر (أخرج عنهم ثباتاً خلال الأشهر الماضية) ومن القيادات أسرههم الماتب الشاب لمرشد الدام المنعم خيريت الشاطر حولوا فيها بعد لحظات مسكرية.  
٢٠. حوار للويس مبارك في صحيفة الأسبوع، ١١ يناير/كانون الثاني ٢٠٠٧.

٢١. في حوار له مع جريدة العربي في ٣٠ نوفمبر/تشرين الثاني ٢٠٠٦، قال عضو مكتب الإرشاد الدكتور عبد المنعم أبو الفتوح رداً على سؤال حول احتمالات حل الجماعة لو حصل الإخوان على ترخيص بحزب: «هناك رأيان [داخل الجماعة] الأول يرى أن ننقل جماعة الإخوان كما هي لتشكون حزب الإخوان والبراء الثاني يرى فصل التنظيم الاجتماعي للإخوان من التنظيم السياسي متفقين وبعينته في صورة جمعية تقوم بالعمل الدعوي والتثاقفي مع تشكيل حزب للعمل السياسي، أما الثاني الأول لتمرشد العام الدكتور محمد حبيب فتشدد في حوار مع جريدة الكرامة في ١٧ يناير/كانون الثاني على أن، «كثيراً من الشعب كانت توجه انتقادات للإخوان بأنهم لا يريدون تشكيل حزب سياسي، وأهمهم يريدون أن يظلوا جماعة محظورة ونحن نريد أن نمرسل رسالة، أننا مستعدون لتقديم إبداءنا بحزب». ثم غير في معرض الإجابة عن سؤال حول ما إذا كان حزب الإخوان سيعد بديلاً عن الجماعة عن قريب هو لفرأى الثاني الذي يرى أن الحزب ليس بديل للجماعة بقوله: «هذا [الأمر] قيد البحث والدراسة، وبالتأكيد الحزب لن يكون بديلاً للجماعة، من جهة هذه الدكتور عصام الاعرياز مسئول القسم السياسي بالجماعة واحد الوجود الإعلامية البارزة في مقالة له نشرت بتاريخ ٢٥ ديسمبر/كانون الأول ٢٠٠٥ على موقع [www.almesryoon.com](http://www.almesryoon.com) وعلى موقع [www.islamonline.net](http://www.islamonline.net) إلى صياغة وسطية بالقول بأن الإخوان مع «فصل العمل الدعوي بالحزب» وبأن العمل السياسي في حال وجود مناح يتسم بالحرية ويسمح بذلك.

٢٢. راجع هنا: Nathan J. Brown, Amr Hamzawy, and Marina S. Ottaway, "Islamist Movements and the Political Process Exploring the Grey Zones," Carnegie Paper no. 67, Washington, DC: Carnegie



الإعداد السياسي للإخوان المسلمين ويظهر مواطن ضعفتها أو قصور حطبائها، وما أدى إليه ذلك من تناقض مواقف القواعد الإخوانية من عدد من القضايا السياسية، أو عموماً فكرتهم عنها. أو تشوه رؤيتهم لها. ولم يكن وصول المؤلف إلى نتائجها من خلال قراءات ومراجعات لتخصص مكتوبة عن الإخوان، وإنما كان على نحو أساسي - من خلال لقاءات ومقابلات أجراها بنفسه مع قيادات وأفراد من جماعة الإخوان المسلمين.

ومن أهم فصول الكتاب فصله الخامس المعنون «الإخوان وقضية الديمقراطية.. الداء المزمن، وهو يستعرض فيه فهم الإخوان للديمقراطية وموقفهم من قضية إنشاء حزب سياسي، وخطاب الإخوان الفلسفي في هذا الشأن، وتنظيمها الداخلي، وموقفها من الآخر داخل الوطن، ومكرتها عن المرجعية الدينية. ومن أصدق مقولات المؤلف ما ذكره من «أن المرجعية الدينية أمر مصري أصيل في تكوين هوية الشعوب العربية والإسلامية يصعب التخلص منه تحت أي مبرر»!

وكتب هذا التقديم يعجز عن فهم السبب الذي يدعو عاقلاً، يعرف طبيعة الإسلام، وحقيقة الرابطة بينه من حيث هو دين وبين المؤمنين به، إلى محاولة التخلص من المرجعية الدينية. إننى أوافق المؤلف في أن الجزء الأكبر من مسئولية بيان كيفية الاستخدام الأثقل لفكرة المرجعية الإسلامية يقع على عاتق القضاة والجدد ورجال الدين المصلحين. ولكن تقصير هؤلاء، أو ضعف أدلتهم، أو عدم انتشار ما يدعون إليه لا يجيز لهم أن يذهبوا إلى التخلص من المرجعية الدينية للإسلامية. إن القول بالصحيح هو أن هذه الأمة إذا تخلصت من هذه المرجعية

تكون قد تخلصت من وجودها نفسه!!

ناقش المؤلف في الفصل السادس العلاقة بين الإخوان والحكومة المصرية بعد الموقف الذي عرف باسم «حادثة الأزهر» (١٢/١٠/٢٠٠٦). وقد اعتبر المؤلف هذه الحادثة مفترق طريق في العلاقة بين الإخوان والحكومة المصرية. لكنه استمر. بحق. ليقول إن هذه الحادثة «لا تعدو أن تكون مجرد غطاء للصدام الذي وقع بين الجماعة والنظام. فقد بدا هذا الأخير طيلة عام ٢٠٠٦ وكأنه يتحين الفرصة لتصفية الحساب مع الجماعة ورغبته في وقف حال التمدد والانحسار التي عاشتها إثر فوزها الكبير في انتخابات ٢٠٠٥».

ويختتم المؤلف هذا الفصل بعجالة بالغة الدلالة يقول فيها «إن أزمة النظام المصري مع الجماعة.. كانت ستعبر عن نفسها حتماً مع أي فصل يلقي قدرًا من الشرعية المجتمعية حتى ولو لم يكن من أقباع حسن الينا». والفصلان السابع والثامن من الكتاب يتعرضان بصورة مباشرة للعلاقات، التي ترصدها جهات عديدة، بين الإخوان والولايات المتحدة الأمريكية. ويناقش الفصل الثامن بوجه خاص أداء الإخوان في الانتخابات الرئاسية الذي كان استعداداً، في وقته، للانتخابات التشريعية لعام ٢٠٠٥ التي خصص

لها المؤلف فصله التاسع وأجرى فيه تحليلاً دقيقاً لأحداثها وتناقلها يصعب تجاهله في أي دراسة للشعاع السياسي للإخوان المسلمين في المرحلة الراهنة. ويكمل هذا التحليل ببراعة تحسب للمؤلف، الفصل الحادي عشر المعنون «كيف فعلها الإخوان، الذي يتحدث عن الإدارة الفعلية للمعركة الانتخابية. لقد اشتملت هذه الإدارة - بحسب المؤلف - على التنسيق مع الحزب الوطني في بعض الدوائر، وعلى التنسيق مع الجبهة الوطنية للتغيير في دوائر أخرى وعلى المواجهة حيث لم يكن التنسيق ممكناً.

ولا يستقيم فهم رؤية المؤلف لسانة نجاح الإخوان الكبير في انتخابات ٢٠٠٥ إلا بقراءة الفصلين الثاني عشر والثالث عشر من كتابه. ويوجه خاص الوقوف على ما رصد من نتائج ودلالات الصعود السياسي للإخوان المسلمين بالنسبة للجماعة، وبالنسبة للنظام، وبالنسبة للمشهد الإصلاحي في مصر.

وفي الكتاب دراسة ممتعة عن العلاقة بين الإخوان وقوى المعارضة منذ أوائل السبعينيات من القرن العشرين حتى الآن. إن الرسالة النهائية التي يقدمها

**كاتب هذا التقديم يعجز عن فهم السبب الذي يدعو عاقلاً يعرف طبيعة الإسلام، وحقيقة الرابطة بينه من حيث هو دين وفلسفة حياة وبين المؤمنين به، إلى محاولة التخلص من المرجعية الدينية**

المؤلف هو ما احتوى عليه فصله الأخير من وصفه الإخوان، بأنها جماعة عجوز على مفترق طرق في تاريخها النضالي. إمام القيام طوعاً بشورة إصلاحيه داخيه بحسب الجماعة من عيوبها التاريخية.. وإما أن تقصر لنوع من الانفجار الداخلي ربما يكون بداية الاندثار لطبيعة الكلاسيكية للجماعة. بما قد يهدد الأرض لبروز تيار إسلامي جديد ينعم بالجدّة والحيوية..

والمؤلف يستعرض في هذا الفصل بعض ما يراه أمراً شديداً تختلج جماعة الإخوان المسلمين وتبقى عقيمة في طريق تطورها التاريخي. ولا يملك القارئ عندما يصل إلى هذه النتيجة من حديث المؤلف أن لا يقرر بينه وبين تقريره في مطلع الفصل الثاني أن «الجماعة تبحث في تطوير خطابها السياسي بأساناه المختلفة وأساليب عملها البدائي. كي تتماشى مع طبيعة التحولات التي حدثت في البيئة المصرية طيلة الفترة المذكورة (يقصد فترة حكم الرئيس محمد حسني مبارك)!!

كما لا يملك القارئ أن سيما إن كان من أمثالي الذي يغوث بأعمال مع الناس وينهم - أن يشغل الاحتمال الذي يورده المؤلف في فصله الثاني. أيضاً. من احتياجنا إلى سمية الأف عام (١) لإزالة أثر الهيمنة المروغونية المروغية وترسيخ أقدام فكرة الحرية في العقل المصري.

والواقع أن مثل هذا القول لا يقبل إلا على سبيل الدعوة إلى عمل فعال منتج. في مجال أحياء الوعي السياسي والشعاعي. لتخلص من تعانجه جبهة المصريين من قبول للاستبداد وحضوع له واستكانة لطرائقه في حكم البلاد واستطراد على مقدرات العباد أما أن يكون انتظار سمية الأف سبب دعوة جادة من المؤلف للمصريين فهو أمر لا يتصوره وأظن كثيرين لا يتصوره على احتمال. #

# توفيق الحكيم "اللباننى" !

## جهاد فاضل



■ مات الرئيس اللبناني الأسبق سليمان فرنجية ومات معه سر يتعلق بلبنانية، الكاتب المصري الكبير الراحل توفيق الحكيم، ووثائق هذه اللبنانية وأسبابها القتعة.. فبعد وفاة توفيق الحكيم بعدة أيام، عقد الرئيس سليمان فرنجية مؤتمراً صحفياً كان يعقده كل أسبوع في زغرّتا ويتناول فيه قضايا سياسية مختلفة، ولكن المفاجأة في المؤتمر الذي عقده بعد وفاة الحكيم كانت مذهلة، فقد أعلن فرنجية أن توفيق الحكيم من أصل لبنانى، وفي مدينة زغرّتا بالذات (أي مدينة فرنجية نفسه)، وهذا ما يجعله بعضهم، كما أشار.. وكان ما قاله فرنجية بالحرف الواحد: «خسر العالم العربي، وخسرنا في لبنان، وبشكل خاص في زغرّتا، الكاتب الصحفي الكبير توفيق الحكيم، وما يجعله بعضهم عن هذا الكاتب الفكري الذي عمت شهرته العالم العربي أنه مواطن زغرّتاوى.. إنني أقدم بتعازي الحارة من ذوى الفقد ومن أبنائه، أبناء وطنه الأول لبنان ووطنه الثاني مصر، ضارباً إليه تعالى أن يتقبله بواسع رحمته».

وقد حار الجميع فيما قاله الرئيس عن توفيق الحكيم وأخذوا يتساءلون عما توفر لديه من أدلة عن اللبنانية الحكيم، وبخاصة عن «زغرّتاويته» بالذات، إذ المعروف أن أهل زغرّتا أنهم من حملة السيوف لا من حملة الأقلام.. ولم يعرف أحد يوماً أن توفيق الحكيم في جملة «الشوام» أو اللبنانيين الذين هاجروا إلى مصر، كما هاجر جرجي زيدان ويعقوب صروف وهذا الرعي، أو أنه سليل أسرة لبنانية نزحت إلى بلاد الكنانة، فال معروف والمؤكد، أن توفيق الحكيم مصري صميم تصرب أصوله في ريف مصر، وكان والده قاضياً في المحاكم المصرية كما كان جده من أعيان الريف، فما هي مستندات فرنجية في ترى حول لبنانية الحكيم وزغرّتاويته؟

طرح بعض من المثقّين فرنجه في تلك الفترة السؤال عليه، فكان يجيب أنه سيبحث بالتفصيل عن هذا الأمر فيما بعد، وفي مؤتمره الصحفي الأسبوعي، ولكنه أمسك بهدئ ذلك عن كل قول، إلى أن توفي وأخذ سره معه

وفي غياب أي دليل آخر على أصول

الحكيم اللبنانية، تبارى كثيرون من المثقفين اللبنانيين في الشرح والتعليق، لعلهم يهتدون إلى خليات السر الذي يباح به فرنجية في مؤتمره الصحفي

ذكر بعضهم أن كلمة فرنجية لا تستند إلى أي أساس ولعلها كلمة عابرة سمعها فرنجية ولم يصدق فيها، فظن أنها حقيقية، فرددتها، ومن الأدلة على صحة هذا الرأي أن فرنجية لم يكن أصلاً معنياً بالثقافة، إذ لم يكن متصفاً أصلاً، ومما يؤيد ذلك إشارته إلى أن الحكيم كان صحفياً، وهو لم يكن يوماً كذلك..

وذكر آخرون أنه ربما تناسى إلى فرنجية أن نضراً واسماً من أدياء مصر في بداية القرن الماضي كانوا من أصول لبنانية، وعندما سمع، أو قرأ، أن أديباً كبيراً في مصر قد توفي، اسمه توفيق الحكيم، الحقه بجرجي زيدان ويعقوب صروف ومي زيادة وفرح أطول، عن ظن منه أن كل كاتب صحفي هو لبنانى، وذلك لكثرة الكتاب اللبنانيين المتصرين، أو أنه أحب، ولغاية في نفس يعقوب، أو في نفسه، أن «يلين» الحكيم، فلبنته، وأكثر من ذلك لقد منحه المواطنة الزغرّتاوية أيضاً، وهذا ما أراد فرنجية بالضحك، أي أنه بسبب العداء التقليدي بين أهل زغرّتا وأهل بشرى، أراد أن يقول لهؤلاء الآخرين: أن زغرّتا، وليست بشرى فقط، تطلع أيضاً أدياء كباراً..

قال هؤلاء إن أهل بشرى يتباهون على أهل زغرّتا بأن بشرى قدمت في تاريخها الحديث أديباً كبيراً عالمياً هو جبران خليل جبران، فماداً قدمت زغرّتا غير «القبضيات»، وعلى رأسهم الرئيس سليمان فرنجية نفسه؟ وينظر أهل بشرى، فإن الثقافة جزء من تاريخهم، في حين أن الثقافة غريبة الدار في زغرّتا.. والرئيس فرنجية نفسه، وقبل أن يصل إلى سدة الرئاسة بفترة، شارك في موقعة حربية في قرية مزرية المجاورة لزغرّتا، ذهب ضحيتها عشرات القتلى والجرحى، وكانت ساحة المعركة يومها هي كنيسة مزرية وصاحة الكنيسة!

مع أن توفيق الحكيم  
سافر كثيراً إلى الخارج،  
سواء في شبابه أو في كهولته وحتى  
في شيخوخته، إلا أنه  
لم يطمأ يوماً أرض لبنان

## يبدو أن الرئيس فرنجية، رحمه الله، أحب أن يضع حداً لتباهي أهل بشري بجبران، فأعلن «زغرتاوية» توفيق الحكيم

٢٠٠٨

ويبدو أن الرئيس فرنجية، رحمه الله، أحب أن يضع حداً لتباهي أهل بشري بجبران، فأعلن «زغرتاوية» توفيق الحكيم: منكم أديب كبير اسمه جبران خليل جبران، ومنا أديب كبير اسمه توفيق الحكيم.. هل تشكون بذلك؟ حقوا إن.. ألم يفادر لبنان على مدى القرن العشرين آلاف مؤلفة إلى مصر؟ من هذه الأسر التي غادرت إلى مصر أسرة الحكيم..

على أن ما ورد في المؤتمر الصحفي للرئيس فرنجية حول اللبنانية الحكيم لم يعتمد على أحد من الباحثين اللبنانيين أو غير اللبنانيين، فكل من عرف بكلمة فرنجية اعتبر أنها تناقص تناقضاً جدياً مع كل ما يعرفه الناس عن أصل وفصل توفيق الحكيم، فالحكيم كان من أهل القلم فقط لا غير، في حين أن أهل زغرتا - وبلا استثناء يذكر - من أهل السيف؛ وتوفيق الحكيم أديب وفنان كبير ساهم مساهمة جليلة في نهضة المسرح في مصر، في حين أن أهل زغرتا لا يعرفون التمثيل أبداً.. كما لا يعرفون المرح.. فإليه سرعان ما تمتد إلى الوسط الاستبدادي بمسند، أو إلى أي مكان قريب للاستبداد برشاش أو أية آلة حربية أخرى!

وتوفيق الحكيم، على عكس أهل زغرتا المتوقفي الذئبي، الخفاف الخطي إلى آلات الحرب، كان رجلاً قليل النشاط والحركة. وكانت قلة نشاطه وحركته داء العضال. وقد أضاع عليه هذا الداء الكثير من المنع والفرص في الحياة والفن. يعمل ولكنه يتقعد عن العمل لإنجاز العمل. ينشد إلى العمل ويكسل عن النجاح، وهو في أغلب الأحيان قاعد هامد في حوار دائم مع نفسه، وفي حركة دائمة داخل عقله، يملك الكون ويركبه. كل شيء في العالم يهيم ويهزه ويحركه، ولكن جسمه لا يتحرك كثيراً، وكل هذا على عكس صفات أهل زغرتا.

بعض الأخفاء، تساءلوا عما إذا كان فرنجية قصد في كلمته حول زغرتاوية ولبنانية الحكيم، أنه كانت هناك صلة ما لأحد اللبنانيين الجاهلين، من مصر بإسرة الحكيم، وكان الجواب، استناداً إلى ما ذكره الحكيم في «زهره العصر»، وفي «سجن العمر»، هو التقي الصارم. فتوفيق الحكيم كان يشبه والده

إسماعيل الحكيم، القاضي في الحاكم المصرية. شبيهاً شديداً، في كتابه «سجن العمر»، يذكر الحكيم أنه عندما ولد كان والده متعباً في عمله في بلدة صغيرة في ريف مصر، بينما كانت زوجته في مدينة الإسكندرية عند شقيقاتها تنتظر لتضع طفلها، وعندما وضعته بعث زوج هذه الشقيقة إلى عديله والد الحكيم، بحجاب في البرد، يقول فيه بالحرف الواحد:

«ارسلنا إليك اليوم لتغرلغا تفتشيراً»  
بقدمون نجلكم السيد.. وتقصيل الخبر أنه في الساعة العاشرة مساءً شعرت السيدة حرمكم بأنم يشبه الطلق. فأرادت إرسال الخدام إلى القابلة، فاستمعت بأمور الرضا، ربما لا يكون الأمر كذلك.. ولم نزل مترقبين حالها إلى الساعة الثانية بعد منتصف الليل، حيث اشتد الألم. ولم يعد هناك شك في اقتراب الوضع، وعندما أرسلنا الخدام وفي الساعة الثالثة حضرت القابلة وبأشتر أعماها إلى أن كانت الرابطة قبل، أخيراً، مصحوباً بسلامه الوصول، وقد رأيته صباح اليوم فوجدته مثل أبيه، ولكن بدون شواوب؛

وعبارة «وجدته مثل أبيه»، تعني أن توفيق الحكيم يشبه والده، وقد ظل يشبهه طيلة حياته، وكل هذا يستبعد أي سوء ظن حول سيرة الأم ونسبة الولد إلى الوالد.. ثم إن والدة توفيق الحكيم روت فيما بعد، كما يقول توفيق الحكيم، إن ابنها توفيق هبط إلى الدنيا، في صمت، دون بكاء أو صخب أو عويل.. وهذا يقطع بأن الحكيم لم يكن زغرتاويًا أو حتى لبنانيًا، على الإطلاق. ذلك أن الزغرتاويين، واللبنانيين أيضاً، لا يحبون الصمت، ويصطلون عليه الصخب؛

ولم تكن أسرة الحكيم بالأسرة القاهرة الطارئة على مصر، أو ذات الجذور البشوية في قريتها. حتى يستمدت المرح هذه الجهة، أو تلك، كأهل أسرة الحكيم، فألحقت مصرية صميعة تنحدر بجورها في أعماق الريف المصري. جد توفيق الحكيم كان من قرية في مديرية البحيرة اسمها

صفط الملوك، وفيها كان يمتلك نحو ثمانين فدناً. كان اسمه هو الشيخ أحمد الحكيم وكان رجلاً متوتراً جاور في الأزهر وزامل الشيخ محمد عبده في مبدأ الدراسة ثم عاد إلى قريته يزرع الأرض التي ورثها عن أبائه. يقول الحكيم في «سجن العمر»: ولقد أدركت جدي هذا في أواخر حياته، فرأيت فيه شيئاً جليلاً مهيب الطلعة. يرتدى الجبة والقضبان والعمامة، ويضع على عينيه نظارة سمكة، وكانت هيئته حقاً اقرب إلى صورة الشيخ محمد عبده التي نعرفها جميعاً..

والمعروف أن زغرتا مدينة لبنانية مسيحية أو مارونية عن بكرة أبيها، وليس فيها، وحتى في ضواحيها، مسلمون البتة، حتى يجوز الظن أن أسرة الحكيم فرحت منها في يوم من الأيام؛

كما لا يجوز الظن أن الحكيم كان تبادياً عن طريق والدة، فوالدته لم تكن لبنانية على الإطلاق. كانت أسرة والدته من أهل البحر، ممن أطلق عليهم اسم «الجوزانية». أما أصل الأسرة فمن الترك أو العرس أو الأنبا. ويقول الحكيم حول هذه النقطة في «سجن العمر»: لا أدري بالضبط هل كان أصل أسرة والدي من الترك أو العرس أو الأنبا. إن سحنة والدي وجدتي وجدتي، وما لهما من عيون زرقاء تمتع من أصل غريب على حال. ولم أرَ أنا، ولا شقيقه، هذه الزرقاة ولا ما يقرب منها. لأن سحنة والدي الفلاح كانت فيما يبدو قديمة على صمغ بحر أزرق بكامله، وكان جد والدي تاجراً يمحى، كلاً يوسف، وقيل إنه من «قولة» وجدها لأبيها كان يسمى الحاج ميلا البسطامي، وابنه، وهو أبوها، اسمه سليمان البسطامي المعروف. وقيل إنه كانت لديه شجرة نسب تلحقه بأبي يزيد البسطامي، الصوفي المعروف.

ومصيف الحكيم: «وقد ذكرت لي والدي أن أصلهم من فارس، ولكن أهمهم نزحوا إلى تركيا ثم وفدوا بعد ذلك إلى مصر.. وكان رجال البوغاز

هؤلاء يتوارثون المهنة أبا عن جد، ويحدقونها بالممارسة، وكانت لهم قواربه البخارية التي يقودون بها السفن إلى البوغاز..» والحديث كله ينمى نضياً فاقطعا عن أن يكون لأسرة الحكيم أدنى صلة بلبنان، لا عن طريق الأب ولا عن طريق الأم. فلا البسطامي من عائلات زغرتا، ولا أهل زغرتا، المدينة البعيدة عن ساحل البحر، تعاطوا يوماً مهناً بحرية، ناهيك عن أن التصوف، سواء تصوف البسطامي أو أي تصوف آخر، عرف طريقه يوماً إلى زغرتا، المدينة اللبنانية المتأهية للبدوام لإطلاق الرصاص؛

ومع أن توفيق الحكيم ساهر كثيراً إلى الخليل، سواء في شبيبته أو في كهولته وحتى في شيخوخته، إلا أنه لم يطمأ يوماً أرض لبنان، كما أنه عند حديثه عن أصول والدته، لم يضع لبنان في عداد الأصول المتحضرة لهذه العائلة، مع أنه ذكر تركيا وفارس واليابان؛ فما الذي دعا الرئيس فرنجية إذن إلى اعتبار توفيق الحكيم من أصول لبنانية؟

ثمة افتراضات شتى كما اشربا. ثم يكن سليمان فرنجية شخصاً مثقفاً على الإطلاق، بل كان معروفاً بأنه زعيم عشائري محلي في منطقة زغرتا. له انصار مستعدون على الدوام للدهاب معه إلى الحرب.. ويبدو أنه سمع أن أديباً مصرياً كبيراً بلغ من العمر متناً، اسمه توفيق الحكيم، فطن أنه في عداد أذياء لبنان الذين نزحوا إلى مصر، ولأنه رئيس جمهورية سابق، فقد منحه إلى الفجر الجنسية اللبنانية ونسبه إلى مدينة زغرتا سعيداً متبجحاً إلى يومنا هذا. ولم يشركه بقوله لهم: «منكم جبران خليل جبران، ومنا توفيق الحكيم». وأبلغ دليل على أن فرنجية لم يكن يعرف شيئاً دا شأن عن توفيق الحكيم أنه حشره في زمرة «المصحفين، والعلماء، وفكرنا، في الخطوط العامة لبسرتة، ومكراً، كما لم يكن صحيحاً البتة». ومكراً، ينهض دليلاً على أن فرنجية تسرع وأخطأ في كل ما قاله، ولم يكن إليه بعد ذلك أدنى لأتاه لم يتكلم لديه من يقول هو التقي الصارم، فأتى ليجأ إليها، ويصطوي بالتالي الموضوع طيباً نهائياً! ■

٢٧ وجهات نظر



## متى يأكل الكلب؟!

د. ح

محمد روف حامد

من ٥ حتى عام ونصف العام بعد دخرجي من كلية الصيدلة (عام ١٩٧٠) لم أكن أعرف بوجود نوع من التفكير يطلق عليه التفكير العلمي ذلك على رغم أنني كنت منذ الصبا معروفاً بالقراءة وبممارسة الأنشطة تعاقبية متسوسة في مراحل التعليم ما قبل الجامعي والجامعي، بل وكنت - أحياناً - من المتميزين جداً في مقررات العلوم والرياضيات

صحيح أن والدي كان يريسي على ألا أتعامل مع الأشياء أو الأحداث دون فهم، وكان شديد الاهتمام بهذا التوجه حتى إنني صدرت رسالتي للكتاتورة بعبارة أشير فيها إلى فضله في هذا الخصوص، وصحيح أيضاً أنني كنت لاحظ اهتماماً بطريقة تفكير اساتذتي في كلية الصيدلة أثناء لقاءاتهم معنا سواء داخل قاعة المحاضرات أو خارجها، وكنت أحرص على أن اتعلم من ملاحظاتي عنهم في طريقة التفكير. وصحيح كذلك أنني كنت قد تأثرت بالقدره العاليه لأحد اساتذتي على التفكير المتسلسل الهادئ أ. د. حسين الشيبيني، وكذلك بخرس اساذ جليل المرحوم أ. د. يوسف عز الدين حمودة على دفعا باستمرار للاهتمام بمتابع أسرار التفاعلات والإضافات الكيميائية والصيدلية من خلال التساؤل، فإذ...

كما أنه من الصحيح أيضاً أنني كنت أضرع بعد تحرجي من كلية الصيدلة بتحسين في إمكانيات تفكيري كأنعكاس تراكمي لجمال ما تلقيت من معارف في التحليل والتركيب والتجريب أثناء الدراسة، لكنني على رغم كل ذلك - وللأسف الشديد - لم أكن حتى ديسمبر ١٩٧١ قد تقابلت بعد حق مع التفكير العلمي

ماذا حدث في ديسمبر ١٩٧١؟ كنت باحثاً ناشئاً في مركز بحوث ورقابة الدواء، وكان هذا المركز وقتها أشبه بخلية نحل.. زيارات الخبراء والأساتذة من خارج مصر لا تنقطع.. المحاضرات الراقية في أحدث التطورات العلمية تنتاب يوماً بعد يوم.. بحوث جديدة باستمرار.. مناقشات ودونوات ومؤتمرات.. شحنات وطردود مواد كيميائية وأجهزة (بل وحتى قردة من نوع خاص للتجارب) تأتي

التفكير العلمي  
محمد روف حامد  
القاهرة، دار المعارف - ٢٠٠٧

مبهجة سارة.. نتبادل في نهاياتها الشكر والامتنان والتعاضف.

غير أن الأمر لم يكن كذلك بالمره. فوجئنا بأن كبار الباحثين، والذين قد بدأ الرجل لقاءاته بهم، يخرجون من حجرة الاجتماع واحداً لآخر بوجوده مكفهره.. فهنا غضاب يتوهو بكلمات غيبه مسموعة لكن يفهم أن به موجة استنكار أو سب، وآخر خجول.. منطو... صامت... وجهه إلى الأرض، تنش حالته بأن حياه قد جرح.

الجميع يتصطب عرفاً على رغم برودة جو ديسمبر. ترى ماذا كان يجري داخل حجرة البروفيسور؟.. كنا نحن صغار الباحثين نتسائل.. ويشعر إشفاقنا على رؤسنا وزملائنا من الباحثين الكبار كنا نحن الصغار في اضطراب وتخوف.. ورويدا وريداً.. بدأت المسألة تتضح. كان الأستاذ ويلسون يتفاعل مع الباحثين بجديده شديده طبقاً لمعايير معينة في ذهنه. كانت استفساراته تتناول كافة جوانب البحث من زوايا محدده. دقة عنوان البحث.. الهدف الرئيسي للبحث.. الأهداف الجزئية للبحث.. الأسس التي تم على أساسها اتخاذ قرار القيام بالبحث.. الوقت الذي يتوقع أن يستغرقه البحث.. كافة الطرق والملايسات الخاصة بالتفكير... الأخرون، الذين يشتركون في البحث من هم وما هو الدور المحدد لكل منهم... إلخ؟

مظم هذه الأسئلة لم تكن متواعة عند الباحثين.. لكن أكثر ما اندهشوا له أمران. الأمر الأول، أن الرجل كان يسأل كل باحث عن مكونات طعام حيوانات تجربته، وكذلك كمياته وموعد تقديمه للحيوانات، سواء هي حيوانات صغيره (مثل الفار) أم كبيرة (مثل الكلب).



في هذا الشأن حدث في أثناء حوار مع أحد كبار الباحثين (وكان باحثاً متميزاً) أن عرف منه (البروفيسور) أن موعد تناول كلاب التجارب لطعامها هو العاشرة صباحاً.. كان الوقت عشدها بالصدفه.. تمام العاشرة. أراد الأستاذ أن يرى تغذيه الكلاب على الطبعيه فصعد مع الباحث إلى بيت الحيوان. طبقاً للباحث لم يكن يقصد الفاشرة صباحاً بالضببط.. لكن البروفيسور كان يسأل الباحث ويعرف في قرارة نفسه أن تناول

من أكبرهم (رئيس القسم) إلى أصغرهم (كاتب هذه السطور). كان يناقش كلا منهم في البحث الذي يقوم به أو يزمع أن يقوم به.

كنا قبل هذه الجلسات نتصور أن لقاءاتنا مع الخواجه ستكون فرصه للتعرف إليه كخواجه.. أن نمارس معه الحوار بالإنجليزية.. أن نطلعه على علموحاتنا البحثية العريضة.. أن نتبادل الملاحظات والكلمات الطبعيه.. وربما المناوين أيضاً، وأن نستقبل منه بعض النصائح. هكذا كان التصور العام عند كافة أعضاء القسم. أن اللقاءات المنمردة للبروفيسور معنا ستكون لقاءات

يومياً إلى المركز من شتي أنحاء العالم.. أهم وأغلى الكتب والمؤريبات العلميه تصل بمجرد صدورها.. في سياق هذا المناخ وصل لزيارتنا في القسم الذي أعمل به (قسم الفارماكولوجي) خير دولي مرموق هو الأستاذ ويلسون Cedric W. Wilson M. والذي كان يعمل أستاذاً ورئيساً لقسم الفارماكولوجي في جامعه دبلو كانت مهمه دروفيسور ويلسون تقويم القسم كانشطه وكأفراد وذلك خلال فترة زيارته والتي استغرقت شهراً كاملاً.

كان الرجل يقوم بمهمته بجديده وعنايه.. يلتقي مع كل باحث على أفراد،

تلاؤ الآخر بوجود مكفهره.. فهذا غاضب يتفوه بكلمات غير مسموعة لكن يفهم ان به موجة استنكار أو سب. وأخر خجول.. متحلو.. صامت

الصدا لم تتحرل من مكانها ولم ترد  
تسعت حديثي لها قائلاً لجديفة  
هاستمة مشحة مكالكت ان دوريش  
في كمتي تشرحي لي ريك وماناكيد  
واسميد منه. ثم انصرفت خارجا من  
قاعة المحاضرات  
وما لي الا ثول وفوجنت بالطالبا  
تجرى ورائي منادية بينما المدوع تنهمر  
من عينيه.

دكتور ارجو ان تعذرني..  
انا لم اقصدا مطلقا اقول . لقد اردت  
ان اثبت لنفسى شيئا لكنني كنت مخطئة  
.خير. اردت ان تثبت ماذا ؟

يقول عنك مزالني في الستين  
الثانية والخالفة لهنم قد اجروا اعمالا  
محبة معك واثبتت تحسنتهم بطرق  
مختلفة غير تقليدية. ولهنم يتعلمون في  
محاضراتك التكسير ولا يصطرون  
للفظ. لقد كنت لا اذ بكلامهم وارى  
هنم مخطوون لهنم لان كل الابائفة مثل  
بعض واثبتت لست لا استاذنا مثل بنية  
الاستاذة.. لقد ذكرت ترميلتي هذه  
واشارت لي طالبة ترافقتها انني  
سأحفظك وابين لك اني لافعل مانهج  
العلمي الذي تشرحه لنا وان المسألة  
مجرد كلام. لذا كتبت هذه الورقة  
ولدمتها لك مثقولة لك ستستخرج  
وستتور وتوبخني. وتسنسي ترتيب  
افكارك في التعامل معي. وعندها  
اكون قد نجحت في اثبات وجهته  
نظري

كانت البنت وهي تبكي مختلفة تماما  
عن الشدة والحدة التي ارسمتا على  
وجهها اثناء تقديم الورقة لي. كنت على  
رغم بكائها ارى في طابعها قوة اخرى  
دائما ان اراها عند طالبا الجامعات.  
التي تنكث في الترام استاهدا. كإسان.  
بالتوجه العلمي الذي يطرحه على  
طلابه ويتعامل مع مهمه. لقد اعطت  
لنفسها حقا ان تنكث في الاستاذ. وان  
تصمم تجربة تختبره بها. وان تمارس  
بعضها التجريبية.

الحقيقة انني فرحت جدا بها. لقد  
اعتبرت ان قيامها باقتراض عدم تطابق  
الحطاب العلمي للاستاذ مع ممارساته  
العملية. ثم محاولتي لإثبات صحة هذا  
الفرص. ليس مجرد اجتهدا كإسان.  
ممارسة المنهج العلمي. بل. هي تقديري.  
هو رمز محاولتي لإحيائه لتعليم الطلاب  
بمور إحيائي في العملية التعليمية وقد  
كان ذلك. من الحقيقة. من اعمد ما أسعى  
إليه أثناء تجرعتي التدريسية في  
الحامدة من أكثر من ربع قرن (١٩٧٨/١٩٧٩  
إلى ١٩٨٢). ١٩

افهم الآن ان قدرتهم على فهم وممارسة  
المنهج العلمي كانت مربطبة بمدى  
رغبتهم هم أنفسهم في فهمه وممارسته  
كانوا متباينين في اقتسابهم لهياد  
استخدام المنهج العلمي بنفس تباينهم  
في درجة الإقبال على اعمالهم. لم يكن  
فهم المنهج العلمي يحتاج الى ذكاء كان.  
فقط. يحتاج الى الالتزام بترتيب الأفكار  
بخطام

وعند ذكر الالتزام مقرونا بالمنهج  
العلمي ترد لي ذكريتي فورا حادثة  
طريقة اوقت لي في قاعة محاضرات  
السنة الأولى بكلية صيدلة جامعة  
الفتاح في ليبيا منذ حوالي ربع قرن. كان  
عميد الكلية قد طلب مني ان اقوم  
بتدريس مقرر خاص بالمعرفة الإنسانية  
يعمل لطلاب السنة الأولى. كان هذا  
المقرر يتناول مادة موضوع. الكتاب  
الاحمر.. وسعدت بموافقة العميد على  
اقتراحي بان تكون محاضراتي في  
موضوع آخر أكثر مناسبة لي وللطلبة  
وهو المنهج العلمي..

لم تكن لي معرفة بطلاب وطالبات  
السنة الأولى. فقد كانت مقررات علم  
الادوية والتي اسهم انا في تدريسها مقررة  
على الفرقة الثانية وما بعدها حتى  
البكالوريوس. كنت قد اعضيت عامي  
دراسيين في الكلية. وكنت سعيدا ان  
احاضر لأصغر طالبا الكلية (الفرقة  
الأولى) في موضوع مهم احيه واحترمه  
وهو المنهج العلمي. استمرت المحاضرة  
ساعاتي تتوسطها استراحة قصيرة  
في نهاية المحاضرة ومجرد ان شرت  
الطلبة والطالبات على حضورهم وحسن  
تفاعلهم مع الموضوع اطروح. وبينما لم  
ايرح المصصة بعد. إذ يطالبة تنهض من  
الصف الأول مسرعة تجاوي وتعتصني  
ورقة وتقول لي بحدثة: من فضلك يا دكتور  
اقرأ المكتوب هنا.

كان تصرف هذا الفتاة (الجريئة)  
أمرا لا يمكن نسيانه. لقد كتبت العبارة  
التالية: يا دكتور.. انت تكلمنا عن المنهج  
العلمي وانت لا تعرف المنهج العلمي  
ونحن لا نهم منك اى شيء...  
البنت طلقت واثبتت تاملتي وثابتا كنت  
اقرا ما كتبتة واثبتا مازالت وايضا امام  
السبورة. لقد اجتهدت مباشرة. أشكر.  
واود ان تكوني على حق في رايك او هي  
جزء منه. وسأكون سعيدا لو ذكرت لي  
تفاصيل وأملته شذا هذا الراى المهم

بعد ان عشنا اياما في الثور هوجنا  
ذات صباح بالرجل يوزع بنفسه على كل  
واحد من ورقة من صفحة واحدة بعنوان  
Scientific Method in Pharmacology  
او المنهج العلمي في علم الادوية.  
بعدها. طلب من كل منا ان يحدد  
كتابة مشروعه البحثي طبقا للطريقة  
Method الموضحة في الورقة. واهلها  
يومين.

وبينما كان البعض يجتهد في  
التواصل مع محتوى ورقة الأستاذ  
والبعض الآخر يستعمر منها ولا يرى  
فيها ما يدفع الى الاهتمام غير العادي.  
كنت احس بالرضا. فقد شعرت بانني  
قد حصلت على شيء كنت ابحت عنه  
نقشرة طويلة. لقد كنت في ورقة الأستاذ  
من ترتيب ذهني وتصوراتي وواجباتي  
بخصوص البحث. وبالصعل اعدنا  
جميعا كتابة بروتوكولات (او خطط)  
مشروعاتنا البحثية. وفي صباح اليوم  
المحدد تتسلمهم جميعا بروتوكولات  
فوجئنا بالأساتذ يتسلم من قاعة  
المحاضرات برئيس القسم ويطلب مني  
الحضور إلى القاعة ومعه باقي  
الباحثين ليقوم كل منهم بعرض  
بروتوكول بحثه حيث ستجرى المناقشة  
في حضور الجميع.

اذكر هنا ان رئيس القسم طلب من  
اصفر ثلاثة باحثين (وكنت اصفرهم) ان  
تلتزم بلباقه في القسم. ذلك بينما دعا  
الزملاء الكبار للالتقاء مع الأستاذ في  
قاعة المحاضرات. اطفأنا الأمر نحن  
الثلاثة. لكننا كنا قلقين. كان القلق ينشأ  
بسبب الخوف على الزملاء من تزداد  
الأستاذ. وبين الرغبة في المشاركة.  
والاستياء من بقائنا في القسم وجيب  
هذا اللقاء عنا. وما لي الا دقائق حتى  
سمعنا رلين التلكوين. كان المتحدث هو  
رئيس القسم شخصيا والذي اخبرنا.  
الأستاذ بريدكم انتم الثلاثة معنا في  
قاعة المحاضرات.

وهناك. في قاعة محاضرات مركز  
الأبحاث والرقابة الدوائية في منطقة  
الهزم (ديسمبر ١٩٧١). كانت البداية  
الأساسية لي في ممارسة التفكير العلمي  
من خلال تطبيق المنهج العلمي على  
مجال علم الادوية (الغارماكولوجي).  
لنني لا أنسى أبدا تأسيس تلك الورقة  
في ذهني من خلال مناقشات بروفيسور  
ولسن. كما أنني لا أنسى ابدا استغرابي  
من عدم تساوى الحاضرين بشأن كمعتهن  
من اكتساب معرفة المنهج العلمي من  
خلال شروح ومناقشات ولسن على رغم  
بساطة المنهج ووصو المناقشات. لنني

الكلاب لغداها ليس له وقت محدد بدقة.  
حيث يمكن ان يكون في التاسعة او  
العاشرة او حتى عند منتصف اليوم او  
حتى بعد ذلك ولم يتصور الباحث ان  
الخواجة سيصعد إلى بيت الحيوان  
ويتنظر لبيري الكلاب وهي تأكل في  
موعدة المعتاد.

لم يكن هناك اى أثر للطعام امام  
الكلاب. اعتقد الأستاذ ان هناك تأخيرا  
عدة دقائق لامر طائر الباحث حاول ان  
يلتص الأستاذ عن الانتظار وان يشعه  
بالنزل إلى العمل لتناول الشاي. لكن  
الأستاذ فضل الانتظار خمس دقائق  
تصر. عشر دقائق. نصف ساعة. الباحث  
يجتهد في إقناع الأستاذ بأن هناك شيئا  
خطيرا لابد ان يكون قد حدث وان الطعام  
سيأتي حالاً. وانه ما عليه الا ان يطمئن  
لذلك وان يعود إلى العمل. وبعد ان نزل  
الأستاذ إلى حجرته بالعمل فوجئ  
الباحث بان الأستاذ يصعد إلى بيت  
الحيوان كل ربع ساعة للأطمئنان على  
قدوم طعام الكلاب.

طبعا الطعام الخاص بالكلاب وصل.  
لكن قرب الساعة الواحدة بعد الظهر  
وليس تمام العاشرة كما ذكر الباحث. لأن  
المعدة لم تكن في وقتها وفيها موعد  
الحجوز كان ربع ساعة للأطمئنان على  
قدوم الطعام. تتناول فيه الكلاب  
طعامها ولم تكن تترك علاقة ذلك  
بنتائج التجارب. تجهم وجه الخواجة  
وزاد غضبه في المقابل استغرب الباحث  
وحاول إقناع الأستاذ بأن هناك أسبابا  
كانت خارجة عن الإرادة. المفاجأة التي  
لم يتوقعها الباحث انه بينما كان  
البروفيسور يتناقل في اليوم التالي  
مع باحث آخر انه يصعد في تمام  
العاشرة للأطمئنان على وصول طعام  
الكلاب في موعدة هذه المرة. وطبعاً  
النتيجة كانت سلبية وكان استياءه دون  
حدود.

اما الأمر الثاني الذي سبب الدهاشا  
كبير لدى جميع الباحثين فكان سؤال  
الأستاذ لكل باحث عن التوقعات الممكنة  
بخصوص نتائج البحث الذي يقوم (او  
يخطط ان يقوم به)  
كانت وجهة نظر الباحثين. كل على  
حدة. ان الانتاج سيكون بعد اكتمال  
البحث. وعليه فلم يكن اى منهم قد قام  
بجهد من قبل توقعها وكتابتها مع يتوقع  
من ذلك. بينما كان الأستاذ في المقابل  
غاية في الاستغراب. كيف يتقدم هؤلاء  
الباحثون بإجراء موهوم دون ان تتضمن  
بروتوكولات هذه البحوث الدوافع المعرفية  
المؤدية إلى إجراء البحث. وكذلك النتائج  
الكيمية المتوقع الحصول عليها.

# السيناريات: ذلك

محمد جبريل

■ لنتمق بداية، على أنه من الصعب أن يتوافر في موليد فترة زمنية محددة عشر سنوات مثلاً، توافق بيولوجي، وفناعات ثقافية وسياسية واجتماعية، بحيث نطلق عليهم تسمية الجيل، أذكر قول ميلان كوندرا، «ككاتب مبتدئ، كنت امقت كلمة «جيل» التي تصيبني بالرحمة القطيع المنبعث منها بالتفوق، مع ذلك، فإن المحايلة موجودة، وهي تخسئ لاستمرار والتواصل، وليس القطيعة، كمة شروط يجب أن تتوافر في ما يمكن أن نطلق عليه صفة «الجيل». ومنها الشروط البيولوجية، وتقارب المشارب الثقافية، والهموم المشتركة التي تصهر مجموعة من الأدياء في بوتقة واحدة، من الصعب تجاوز تلك الشروط، إلا إذا نسبنا الجيل، كما أسلفنا، إلى الحدث، أو مجموعة الأحداث المهمة التي أسقطت تأثيرها على أدياء الفترة، وتعتبر آخر، فإن صفة الجيل تطلق على الحدث، أو مجموعة الأحداث، وليس على الفرد، أو مجموعة الأفراد. كانت أعوام الحرب العالمية الأولى، وما أحدثته من نتائج، مبعثاً لإحساس الكثير من الشعراء الشباب، على مستوى العالم بالانتماء إلى أوطانهم، ومحاولة التعبير عن ذلك الانتماء في قصائدهم شجداً للوطن، وتشيد بتاريخه وعظلمته..

وقد ظهرت العداية في أعقاب الحرب العالمية الأولى، تغييراً من كمر بعض المفكرين والعلماء بالمثل المعكبة والقيم الأخلاقية السائدة، بعد أن أحدثت شروخاً عميقة في بنية المجتمع الأوروبي، وارتكزت العداية إلى حتمية الخلاص من الأزمات التي تعانيتها مجتمعاتهم، بهدم القديم، وتنحية العقل، في تحقيق أهدافها التوضؤية وخرجت السوريالية من رحم العداية، في محاولة للانتقال من مرحلة الهم إلى مرحلة البناء، ووضع مفاهيم جديدة لشكل العمل الفني ومضمونه، السوريالية ليست وسيلة لتعريف الحروف، لكنها وسيلة لكتيب المجهول، إنها تعني الممكن والمتصور، ولا يشعلها الواقع أما أشهر اعلام السوريالية فهم أندريه بريتون وبول إيلوار ولويس أراجون والبنفانان التشكيليان بيكاسو وسلفادور دالي وعشرات غيرهم تحولوا، فيما بعد، إلى الإيمان بالاشتراكية، وإلى الالتزام انطلاقاً من الذاتية، وقدموا إبداعات مميزة في مقاومة الاحتلال النازي في



# الجيل الأدبي

أعوام الحرب العالمية الثانية، جمعت بين الشكل المني والمصور الثوري ومن أهم أدباء الحرب العالمية الثانية، أو ما يبعدها، هي ألمانيا، هولمسانج يورشرت الذي ركز في إبداءاته على صور الدمار الذي حاق بالأرض، وبالبشر، وحتى بتفسيات البشر، وإيريس كستندر الذي تفرغ أعماله بالنقد اللاذع، والأسى، وثمة جماعة ٤٧ التي ضمت العديد من الشعراء والأدباء، ولقيت دعماً جوازها أدباء كبار مثل هنريش بول وجوتنر جراس الذين حصلوا، فيما بعد، على جائزة نوبل.

ولعلنا نستطيع أن نطلق صفة الجيل الأدبي في روسيا، على الفترة ما بين عامي ١٨٠٠ وقيام الثورة البلشفية في ١٩١٧، كانت فترة مخاض مائلة، شعور جمعي بالهزاع والمرارة، وحروب، وثورات، وظهر العديد من الأسماء المهمة مثل تولستوي وسوشكين وديستوفسكي وتشخوف، وعشرات غيرهم، ثمة ملائح لما يمكن أن يكتسب تسمية الجيل في الأدب الروسي؛ هي روسيا القيصرية، وجيل ما بعد الثورة الشيوعية، وجيل الحرب العالمية الثانية، وجيل البريستوتسكا، وجيل ما بعد انهيار الاتحاد السوفيتي.

وفي ١٩٦٩ قسم الناقد المكسيكي خوسيه لويس مارتينيث أدباء أمريكا اللاتينية إلى خمسة أجيال، هي مدى زمني أقل من خمسين عاماً، بينما قسمهم الروائي ماريو فارغاس يوسا (بيرو) إلى جيلين، جيل الرواد، وجيل الأدباء المحدثين، وثمة من ذهب إلى أن مبدعي أمريكا اللاتينية يمثلون جيلاً واحداً، يتفرع إلى عدة تيارات، أما الناقد رود ريغيث من ميجال فقد رفض فكرة المجالية، ووضع عمليات التجديد في محور رئيس تطور حوله مجموعة من الاتجاهات، أهمها الواقعية الاجتماعية، الواقعية النفسية، الواقعية السحرية، الواقعية البنائية (حامد أبو أحمد، تقديم رواية من قتل موليرو).

ثمة جيل ١٩٨٨ في إسبانيا، وليس جيل العقد الأخير من القرن التاسع عشر، وقد بلغت الواقعية في ذلك الجيل، حداً في الرواية يصعب تجاوزه، ويعد الروائي دون بيو باروخا أهم الروائيين الإسبان في القرن العشرين من مبدعي جيل ١٩٨٨ الإسباني، وثمة جيل ١٩٩٧ وليس جيل الثلاثينيات، وفي ١٩٣٦

بدأت الحرب الأهلية الإسبانية بين الماركسيين والجمهوريين، ضمت القوى الأولى الجيش والكتائب والقوى اليمينية بعامه، وضمت القوى الثانية الاشتراكيين والانفصاليين وهضائل الألوية الدولية وأحزاب اليسار، وقد فقدت إسبانيا في تلك الحرب عدداً كبيراً من أهم مبدعيها، سواء بالقتل أم بالنفي الاختياري فراراً بالحياء، وكان الشاعر أندلسي الجميل فريكو جاريثا لوركا واحداً من الذين اغتالهم يد الأحداث، سكبت صوت طائما لغني بالحق والخير والحرية، وإن لم يواصل صوت لوركا في الأعوام التالية، وإلى الآن، حتى بعد أن رحل كل الناسة والعسكريين الذين شاركوا في تلك الحرب، ظل صوت لوركا نقياً ومؤثراً.

وإذا كان عام ١٩٣٦ هو بداية جيل الحرب الأهلية الإسبانية، فإن ١٩٣٩ هو العام الذي شهد نهاية تلك الحرب، وهو في الوقت نفسه، العام الذي بدأت فيه أحداث الحرب العالمية الثانية، وبتمتصير آخر: بداية جيل الحرب العالمية الثانية في أوروبا والولايات المتحدة، أفرزت الحرب العالمية الثانية، جيلاً جديداً من الروائيين، تأثر بأحداثها، وبغير عنها، كما فعل بيكاسو في لوحته الخالدة «جرونيكا»، ما إن انتهت الحرب حتى بدأ عهد جديد من تاريخ الرواية، يهلب عليه هاجس خلق ثقافة خاصة، تلبس الطروحات الأدبية ولوجية الجديدة، ومقتلعة من جذور التقاليد السائدة. (أيوب، دورية، العدد الثلاثون).

وبعتبر عدد كبير من النقاد عام ١٩٦٦ هو العام الذي شمر مجرى الرواية الإسبانية، عندما صدرت رواية «زمن الصمت» لثوبس مارتين ساتنوس، ومنه حدث تطور عميقاً في الفنية والحبكة

ولغة السرد، وأرست ما يعد في تقدير الكثيرين تقاليد روائية جديدة في تاريخ الرواية الإسبانية، وتوالت الروايات التي أحاطها النقد إلى الواقعية الحديثة، ووجد فيها وسيلة لتبيين الواقع التاريخي والواقع المجتمعي في آن .. وثمة جيل ما بعد الفرائكفوية، نسبة إلى الحنرال فرانكو، وهو جيل عاش تغيرات سياسية واجتماعية وثقافية مهمة.

ذلك كله، يجد مشابهاً له، بالضرورة، في الأحداث العامة التي شهدتها هذه المنطقة من العالم، ومصر، كما نعلم، في موضع القلب منها.

## جيل الستينيات

لعله يمكن تقسيم الأجيال الأدبية، والسياسية بالطبع، في تاريخنا المعاصر، إلى:

١. جيل دشواي (أعنى الجيل الذي عاش اللابسات القاسية لتلك الحداثة وما رافقتها، وأسفر عنها، بحيث مثلت دافعاً لقيام المصريين بثورتهم في ١٩١٩).
٢. جيل ثورة ١٩٥٢ ومعاهدة ١٩٣٦.
٣. جيل الحرب العالمية الثانية (تحقق انتماء مصر العربي بصورة فعلية).
٤. جيل ١٩٥٢ (الثورة، ومواجهة الإقطاع والراسمالية والاحتكارات وسقوط الملكية وإعلان النظام الجمهوري وتأميم القناة، ومواجهة الإمبريالية العربية وإسرائيل).
٥. جيل الستينيات (المشروع القومي ونكسة ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف).
٦. جيل ١٩٧٣ (حرب أكتوبر).

٨. جيل الانصاح (في أعقاب ١٩٧٣).
٩. جيل الفوارق الطبقية وديوان الصلحة الوسطى منذ أواسط ١٩٨٥ حتى الآن ..

طنى أن جيل الحرب العالمية الثانية، أو ما يسمى بجيل الأربعينيات، هو الأب الحقيقي للأجيال التالية (أذكره بكتاني، آباء الستينيات). يقول شكرى عياد عن ظروف الحرب العالمية الثانية أياً إلى أن استقطب الفقر، واستقطب الشراء، وقد أصبح السواد الأعظم من المثقفين المصريين في أثناء الحرب، وفي أعقابها، يشعرون أنهم ينتمون وواقعهم إلى الطبقات الكادحة من شعبهم الفقير، لكنهم لم يستطعوا، للوهلة الأولى أن يقيموا أزمعتهم من خلال الأزمات الطاحنة التي تعانيتها الطبقات الدنيا ..

وقد شهدت الستونيات التي أعقبت الحرب العالمية الثانية سعيًا واضحاً إلى التغيير، وهو ما قُيدَ في معظم كتابات منطلقاتها الأدبية، ولوجية الفكر، بكتابات خالد محمد خالد وحليمي سلام وفنهي رضوان وحسان عبد القدوس وجيبي محفوظ وعزيز أحمد فهمي وأحمد أبو الفتح وعبد الرحمن الشراوى وطه حسين وعشرات غيرهم أدباء وسليبات الفتر، وتطلعت إلى التغيير، أما عن الإبداعات الروائية والنصصية والشعرية وغيرها، فإن يوسف إدريس ويوسف الشاروني وعبد الله الخلوخي وغير نشأت وإدوار الخراط وكمال نشأت وحسن فتح الباب وفاروق منيب وغيرهم ممن تناولتها إبداعاتهم غنيت بال أحداث والمشكلات والتحارب العنية التي عانيت بها تلك الفترة.

وبعد قيام ثورة ٢٣ يوليو، كنت سعد مكاوى عن، المحاول الصبيدة التي تحتاجها لبناء مجتمع جديد على نقاض المجتمع القديم، (المصري ١٠/٥/١٩٥٢).

من هنا، يمكن القول إن عقد الستينيات يمثل جيلاً كاملاً إرصاصته في أحداث ما قبل ١٩٥٢، وبداياته في ثورة يوليو ١٩٥٢، وانتماءه الهلقة إلى هزيمة يونيو ١٩٦٧، ثمة من وجد في الستينيات ساحة للحكم الشمولي، والمحتلات، وجرائم التعذيب، وقصد الحرية سماها صديقنا عبد

## زوال الهزيمة قوض كل

ما شيد في أعوام ما قبل ١٩٦٧.

تلاشت كل الطموحات والتطلعات والتوقعات،

كانها لم تكن احترق

الفيلم، فأصبح ذكرى

العزيم الدسوقي عند الهزيمة البعير  
سماها مصطفى سويلف عقد الكوارث  
تسميات أخرى تشواخ بين التأسيس  
والإدانة لكن الذي استطيع أن أقرره:  
ثقة أن الفترة حركت، مدنيانيتها،  
مؤيدي النظام ومعارضيه على السواء  
وكما يقول صلاح عيسى، فهم منتصفت  
الخمسينيات، وحتى منتصف الستينيات.  
ندا وكان حركة التحرر العرسي سائرة  
بخطى ثابتة في طريق الانصاف القومي  
من نير الإمبريالية، بل وساد الظن أننا  
طرقنا أبواب الاشتراكية، وهو ما كان  
يعنى في بعض وجوهه، أن الفكر القومي  
والعلماني قد أزاح الثيوقراطية إلى غير  
رجعة (صلاح عيسى: الكارثة التي نهدنا  
مكتبة مدبولي، ٥).

داخله. وربطها بمصالحه. فتحولت من  
طليعة ثورية إلى جزء من طبقة لها  
مصالحها وتطلعاتها التي قد لا تكون  
مشروقة في بعض الأحيان. وجد ماركيز  
في الالتجسما ( فئة المحققين ) وفي  
مقدمتها الطلاب، بديلا ثوريا عن  
الطبقة العاملة. وجد في الطبقة ورثة  
شرعيين لروح الثورة في العالم، وإن عدل  
فوجد في الطبقة مظهرا من مظاهر نفس  
الجمتمع الاستهلاكي .  
عمت مظاهرات الطلبة الكثير من  
دول العالم، في أوروبا والولايات المتحدة  
لكل مظاهرة بأغراض وأهدافها، وتوحدت  
جهود حركات الممارسة الطلابية في عدد  
كثير من دول العالم ضد استمرار حرب  
فيتنام. وتصاعدت الحركات الطلابية في  
أوروبا فيما بين عامي ١٩٦٤ - ١٩٦٨. وكان  
قتل تشي جيفارا، داخل بوليفيا في  
يونيو ١٩٦٧، ذروة أخرى في النضال ضد  
الإمبريالية العالمية رسمت صورة جيمارا  
قوى الصور. ورفعت شعارات ضد الحرب  
في فيتنام، وضد القواعد الأمريكية في  
اليابان والمكسيك.

والحق أن حرب فيتنام كانت هي  
الشرارة التي اندلعت بها الأحداث  
الطلابية في فرنسا. ففي ١٩٦٨ كانت  
الغفلة الأمريكية تنهال على يد  
الثورة الفيتنامية. وشملت الثورة بلدان  
أمريكا اللاتينية، وكان الشعار هو: أكثر  
من فيتنام واحدة، وفي فرنسا، اشترك  
ثلاثمائة طالب ينتمون إلى تنظيمات  
طلابية يسارية صغيرة، في مظاهرات  
احتجاج ضد القبض على عدد كبير من  
أعضاء لجنة فيتنام الوطنية، واقترب  
ذلك، في اليوم نفسه، بشعارات ترفض  
الحرب العالمية في جامعات فرنسا،  
وتطالب بتغييرها، وتردد، للمرة الأولى،  
شعار: لا نريد جامعة بورجوازية، وأمدت  
الشعارات والمطالب بالثبات، لتصل إلى  
شق آخر راسمالي، وآخر بيروقراطي  
والاشترار في الثورة العالمية.... الخ.  
ولأن الاضطرابات جرت في ١٩٦٨، فقد سعى  
الحيل باسم العام نفسه، فهو جيل ١٩٦٨.  
جرت الأحداث في الأسبوع الأول من مايو  
١٩٦٨، وصفتها ألسون جيريرو وفرة  
الثقافة الفرنسية فيما بدأها هزّت  
فرنسا كلها شهدت شوارع العاصمة  
الفرنسية معارك عنيفة لم تشهد لها  
الحرب العالمية الثانية. وواجه ثلاثون  
ألف طالب داخل أسوار الحرم الجامعي  
حصاراً من رجال الشرطة، فاضاوا  
المتاريس، والقوا الزجاجات الحارقة  
وقطع الحجارة، وكان الطلاب يرفعون  
شعارات مثل: أيتها الثورة إلى أين،  
والخمر ممنوع، وغريها، وامتدت  
المظاهرات إلى الحي اللاتيني، وميدان  
سان جيرمان. وفي توالى الأيام، ساند  
بالش. وأعلن ديجول أنه لن يقبل رئيس  
وزراء جورج موميويد.

وكما أشرنا، فقد كان من يواكب قيام  
حركة الطلاب في فرنسا إعلان  
احتجاجهم على سوء الأوضاع داخل  
الجامعات من ناحية، وضد التثقيبات  
الرسمانية، للجنة الفرنسية من ناحية  
ثانية، فضلاً عن غياب محاولات الإصلاح  
الاقتصادي والاجتماعي. وفي حين رحب  
برادة إلى أن هبة صيف ١٩٦٨ في فرنسا،  
نشرت على نطاق واسع أفكار جورج باتاي  
وفوكو وماركيز في صا، وجد جنبه  
ألف الشباب والطلبة والعمال تداولوا  
أياماً وثلاثي متواصلة في موضوعات  
الجنس والسلطة وغالبية الحياة، ولهذا  
الاستمرار في القبول بلاغقة حتمية  
تنقسم المذهب والزعراء  
والإيديولوجيات على حسب الإنسان  
البسيط الذي يريد أن يسمع بحياته  
على الأرض، وأن يصنع مصيره هناك،  
والآن بعيداً عن الأناجيل والصحاف

## شمة شروط يجب أن تتوافر في ما يمكن أن نطلق عليه صفة "الجيل"، ومنها الشروط البيولوجية، وتقارب المشارب الثقافية

واللاحظ أن المؤاجهة الدولية لم  
تكن الفلية فيها، دوماً، لتلاقف، فقد  
دخلت القوات السوفيتية تشيكوسلوفاكيا  
والبحر، بينما تراجعت الولايات المتحدة  
عن تهديدها لكوبا، وتوهرطت واشنطن في  
الاستمراع الفيتنامية، وادخر الستينيات،  
وأوان الفيتنامية، وواحد بلادهم لعملاء  
الاستعمار (العري) وتأكدت سياسة عدم  
الانحياز كانت فترة ذهبية، هبت فيها  
على حد تشهير إدوار الخراط، رباح  
التعبير العارضة على أفريقيا، حاملة  
مها بهجة الاستقلال، ونشوة ظهور  
الامم الفتية الجديدة (عمرها الذاكرة،  
كتاب العربي، ٤٣).



بترخيص من الاستعمار،  
كان رأى هيربرت ماركيز أن الطبقة  
العاملة قنبت دورها في قيادة المجتمع.  
بعد أن استوعبها المجتمع الصناعي في

والتعاليم التي تغسل دماغه، وتشل  
مخيئه، لتجعل منه مجرد مسامير  
في ترسانة ضخمة تسحق البشر لتتحقق  
أربابا وسلطة تستفيد منها فئة ليبرالية  
أو شيوعية أو اشتراكية أو قروسطوية  
متعصنة، (مثل صيف لى يتكرر، ١٢٧).  
إن أسئلة مايو ١٩٦٨، على حد تعبير برادة  
كانت، توسع مفهوم الثورة، وتدعو إلى  
ربطه بالحياة اليومية للإنسان وافضة  
التقديس والطقق وحواجز المرنيات،  
لذلك لا يمكن الاكتفاء بالقل، وموذاً  
العقل الذي انحدرت منه الضائفة  
والنانية، مفصولاً عن الإحساس والخيلة  
والجسد (المصدر السابق، ١٢٨). ويذهب  
الفين كير إلى أن ما حدث في شتاء  
١٩٦٨ في فرنسا كان ثورة فكرية وكبرى  
ثورة شوارع، وقد أسقطت هذه الثورة  
المفهوم الأدبي القديم، وكان النقد الأدبي  
في السلاح الرئيسي لهذه الثورة (موت  
الأدي، ٧٨).

أما في الولايات المتحدة فقد اندلعت  
المظاهرات وحركات الاحتجاج بين  
الشباب في الولايات المتحدة ضد الرئيس  
ليكون استعمار الحرب الفيتنامية،  
وتأييداً لفتح الزواج الحقوق المدنية،  
ومساواتهم بالبيض، وسقط من جامعة  
باركلي وحدها حوالي خمسة وسبعين  
طالباً، يصف جابريل جارثيا ماركيز  
جيل ٦٨ في الولايات المتحدة، بأنه الجيل  
الذي دخل الجامعات، وفنسى أغنيات  
البيترز من الذاكرة، وخرج إلى الشوارع  
متظاهراً ضد الحرب الفيتنامية، ففي  
١٩٦٨ وقعت معارك في منتهى العنف بين  
قوات الأمن الأمريكية وجسموع  
المتظاهرين من الشباب في مدينة  
شيكاغو، احتجاجاً على الحرب  
الفيتنامية كان الشبان يحرقون بطاقات  
التجنيد، بينما كانت الفتيات يحرقن  
مشدات الصدور.

شملت المظاهرات مدن العالم في  
سويسرا وبلجيكا وإسبانيا وإيطاليا  
والنمسا واليابان وهولندا وبريطانيا،  
قارها أنصار ما نسى تونج وهوتشي منه  
وفيدل كاسترو وتشى جيفارا،  
والناضون للحرب الأمريكية في فيتنام،  
والعاون إلى التطبيع الاشتراكي، وإلى  
حصول الشباب على الفرص التي  
يستحقها.  
وفي الجزائر، كان غالبية القيادات  
الطلابية في السجن، بعد أحداث العنف  
خلال أعوام ١٩٦٨، ١٩٧١، وقد حولوا، بعد  
الإفراج عنهم، إلى مسكرات الجيش  
لأداء الخدمة العسكرية.

وبصرف النظر عن اتجاه الثورة  
الثقافية في الصين إلى الإيجاب أو إلى  
السلبي، فإنها أحدثت تغييراً كاملاً في  
العدد المائة وتسعة، فبراير ٢٠٠٨ م

معظم الإبداعات بداعات الشباب تحديدًا

أذكر مقالة مبتدئة لتطبيع الريات اجادت فيها التعبير عن المارق الذي كان يجادل الآداب العربية منذ أواخر الستينيات وأزعم أن المارق كان قائما قبل ذلك بفضيلة أعوام أقول، منذ أواخر الستينيات والآداب العربية بوعلى في مسالك محتملة. محاذيا للكاتبون على عالمه الخارجى، مسجلا حالة الاغتراب والحصار الشمس، وعجز العبد عن التعامل مع الحياة، وإبعاد لجدوى والمعنى الذى يستشعره العبد، وسعى الأدب حين، وتحت وطأة الأحداث، إلى تسجيل شهادة عن هذا الواقع عمدا إلى الأبد المجردة، ومختلزا الواقع الحى إلى علاقات أشبه بملكات الجبر، وشاوريا بالمتطلبات الفنية عرض الحائط، وهو يخرج بأشكال هندسية متقدمة الصنعة والحبكة والصناعة، وضاع الأدب أحيانا في متاهات التجريب والتعريب، تركيزا لا يجترب الفنان، هذا في حين نجح الآداب أجنبية وعلى يد صفوف من الكتاب، الخسيس من الأجيال الجديدة، في الوصول إلى نوع من الواقعية الزمرية، توحى إحياء مكثما وبلا بطبيعة الواقع الفنية لفتنه، (أدب وفند، أبريل ١٩٨٤) هذا هو المعنى الذى كتبه، أو ما يقرب منه، في رسائله المستعرة للأدب الجديدة المصرية دورى إيرينييل، ولأنها كانت غارقة لشوشتها في الابدولوية وسياسة الحزب، فقد فضلت أن تنهى صداقتها الجميلة من طرف واحد، وتوقفت رسائلها فحاة، وحين بحثت رسالة تستهدف إزالة ما قد تكون الحقنة رسائلها إلى إيرينييل صداقتها الجميلة، فبها طلت على صفتها، فاصططرت إلى الشنسا، فاستنصت، حتى تكبرتها في أخبار صحفية نشرت في الشسعينيات، بالتحديد: بعد زوال الشيوعية من ألمانيا الشرقية، وإعادة توحيدها من نصمها العربي، وتساءلت: هل ما تزال إيرينييل تعنى بالاد بغير ما يقرب عن النظريات الأدبية المتمدة في الماركسية اللينينية لكن تلك دكرات قديمة، وسنوات مضت، فلا يسبل إلى استغاثتها!

## الهزيمة

في ١٨ مايو ١٩٦٧ كان انسحاب قوات الطوارى الدولية من الحدود المصرية الإسرائيلية، بناء على طلب عبد الناصر، وبموافقة

فقد معطياته دون قراءة، دون أن يتأخر الإبداعات السابقة باعتبار أنها تمثل رصدا يصعب إهماله من خبراته الفنية فقد واجهت الواقعية الجديدة، منذ بداية الستينيات ملاحظات سلبية نقدية عميقة أهمها إفقارها إلى الحبال والتحليل التلقائى، وأخذت عليها استاتيكيته، وعدم قطعها إلى أفاق أرحس وضعت اداعات شباب الجيل لتأثيرات أعمال سارتر ومحموط وكامى وفرجينيا وولف وإدريس والشارونى وساروت وجويس وتشيكوف وغيرهم يستمد المدارس الفنية التى يهرون عنها، وإن كنت أوافق على الرأى بأنه كان للقصرات التعبيرية جدور جنينية تمتد إلى أعماق القصة المصرية لسنوات بعيدة، إلا أن ما تميشه الأقصوصة المصرية اليوم ليس مجرد استمرار عادى لهذه البذور الجنينية، لكنه في الحقيقة تجاوز ونخط لكل ما أرحمت به هذه البذور من تغييرات، ولكل ما تنابت به من أشكال وأساليب تعبيرية. (صبرى حافظ جالري ١٨ أكتوبر ١٩٩٦) صرى أصبحت الذات في المحور الأهم في

عقد الستينيات  
مثل جيلا كاملا  
إرهاصاته قبل ١٩٥٢،  
ويداياته في ١٩٥٢،  
وامتداد أفاقه إلى  
هزيمة يونيو



## إزدهار ثقافى

يقول جمال حمدان، «الستينيات كانت أكثر الفترات ازدهارا لثقافة هده حقيقة لا مبر لها، والسبب في السياسة أولا وأخيرا، والثقافة أخص ما تكون بالسياسة، والستينيات كانت قمة الثقافة، والسياسيات قاعها، (آخر ساعة ١٩٨٦/٨/٢٠)

من إصدارات الفترة سلسلة الألب كتاب، وروائع المسرح العالى، والمكتبة الثقافية، وأعلام العرب، وثورات الإنسانية، ومجلات المجلد والكتاب والفكر المعاصر والطبعة والفنون الشعبية، وغيرها وقد سلت بالفضل فراغا معربيا، وقدم الكونسير عروشه، بأسعار مخفضة كل يوم جمعة، للطلاب، وأرج الثلاثى جاهين والطويل وعبد الحكيم للثورة بأغنيات رددتها الجماهير في امتداد الوطنى العربى، وألقى شعر العامية المصرية في إبداعات الأودى وجبال وقاعد ومجدى نجيب، وأبسط صالح رضا وحامد ندا وجنادية سرى وجمال المسحنى وعمر النجدي وثنية وليد سعيد عبد الرسول وصالح عبد الكريم وعبد القادر مختار وغيرهم، أروع إبداعات السن الستينى حتى الثبوت الأدبى شكلت ظاهرة إيجابية، ندوة الأمان، ندوة نجيب محفوظ، ندوة العقاد، نادى القصة، جمعية الأدباء، الجمعية الأدبية المصرية، وغيرها. وسعى الشباب إلى قراءة، ومناهضة، أعمال بيكيت ويونيسكو وناظم حكمت وبريست وإيلوار، كانت أعمالا تجريبية، ومتقدمة، وتعنى بالهم الإنسانى في أبعاد المخيلة، وشبه كذلك مسرحيات نعمان عاشوريات الأجداد الواقعة الرئاسى ومسرحيات الفريد فى الفن وظفت التراث والتاريخ، ومحاولات يوسف إدريس لإيجاد مسرح مصرى يحكى المسامر، والإشراقى وعبد الصبور فى المسرح الشعرى، ومحمود دياب بمسرحياته التى اجادت مزج المحمة البريتية والواقع المصرى والحداثة الفنية، ومسرحيات نجيب سرور لاستلهام الموروث الشعبى في صياغة شعرية، وحاول توفيق الحكيم التجريب في، با طالع الشجرة، ورحلة قطار، ومنك القلق، وغيرها، وبدا نجيب محفوظ مرحلة الرواية الثالثة، واختلط محمد حافظ رجب مساررا جديدا وألعا للقصة القصيرة المصرية، وعاد يوسف إدريس إلى صورته الحقيقية في الفرار، والنداهة، وصحوق المهمل، الزحام، ولأنه من المستحيل تصور أن مبدعا

الحياة الصينية، أحرق الكثير من الكتب والمصور القديمة والحديثة كما دمر ما سعى بالسلع البرجوازية، والأزياء المشابهة لأزياء الغرب، وأزيل الشعر الذى قلد أصحابه نجوم السياسة والفن العربيين، ومقرت البطولات الصبقة من أسفل، ودمر كل ما يمكن نسبته إلى البدع الغربية.

وهي تقديري أن مواقف المثقفين المصريين من الثورة، الشباب بخاصة، كانت تعبر عن اتجاهين متضادين، تنازعت الجديا، هي كل من الصين والغرب، إمكانية الوصول، فالمهمة والصورة، إلى الرأى العام العالى، وواجه ما أعلنه الصين من منجزات للثورة الثقافية، نقل الإعلام الغربى عمليات الاشتغال والسجن والإعدام للأصوات التى قدمت بأنها وطنية تماما، لكنها كانت ديكتاتورية ماو، وحزبه الشيوعى، وكتابه الامحور. وإذا تجاوزنا ملاحظات الانشقاق والاختلاف مع قرارات التأميم (١٩٦٢) فلا نأمن أنها كانت كائدا للامح الشروع القومى التى بدأت تتوضع في العديد من المجالات

كانت عملية إنشاء البند العالى، وما صاحبها من محاولات للتطوير في المجال الصناعى، تستهدف تحويل مصر من صورتها التقليدية كمجتمع زراعى إلى مجتمع صناعى متقدم تكنولوجيا وعمرت وسائل الإعلام، للمرة الأولى، مسميات مثل: القطاع العام، العمل، الاشتراكى، التعاون، العدالة الاجتماعية، إلخ. وبلغت عملية التنمية الاقتصادية نسبة تصل إلى ٧٥ ٪ سنويا، وهي أعلى نسبة للتنمية الاقتصادية في العالم آنذاك، لم يكن ثمة تخصص، أو زيادة في الأسعار، وكانت مصر بعامه على رأس قائمة الدول الأقل اسأرا في العالم، وكما يقول الاقتصادى الكبير حسى عباس زكى، فقد حققت مصر، في الستينيات، أقل عجز في ميزان المدفوعات عبر تاريخها المعاصر كله، وكان هناك فائض في ميزان المدفوعات في بعض السنوات، كما تحقق أقل معدل في الدينون الخارجية، إلى حد عدم وجود ديون خارجية أحيانا

ولاشك أن الكثير من حملة الشهادات العليا يدينون للمجانية التى هزتها الثورة، وبدأت تؤتى ثمارها في أعوام الثينيات، وبالدات فيما يتصل بالبعثات العلمية إلى الخارج، كانت تأميمات الستينيات خطوه تالية لتمصيرات الستينيات، واختيرت أول امرأة للنصب الويرية، عينت حكمت أبو زيد وزيرة للشئون الاجتماعية في سبتمبر ١٩٦٦

## كتاب الزاوية

مصر صنعت المصريين

حسين مؤنس

إن الله خلق مصر وسواها على الهيئة التي هي عليها من قبل أن يدخلها أجدادنا الأولون. وهذه الأرض هي التي صنعت المصريين. أو هي التي صنعت لهم كل شيء. هذا النهر المبارك الفيض الذي لا يشبه في الفيض والوفرة والجمال إلا نهر أو اثنان. وهذه التربة الزكية التي تزيد على الذهب قيمة. حقيقة لا مجازاً.. فإن الذهب يباع مرة واحدة. أما هذه الأرض فقد أنبتت الوف السنين سنة بعد سنة. بل أنبتت في بعض السنين مرتين. فأحسب قدر ذلك كله تدرك قيمة الأرض التي تسير عليها!

وهذا الموقع الجغرافي الفريد هو في ذاته رأس مال ضخّم لو وجد من يعرف كيف يستخذه. فإننا في أهم ملتقى طرق على هذه الأرض. والممر بأرضنا ضرورة لا يستغنى عنها البشر. ومجرد المرور له ثم. وحسبك أن تلقى نظرة على إيراد قناة السويس من ضريبة المرور وحدها لتكون لنفسك فكرة عن «القيمة» الحقيقية لهذا الموقع. ولتقدر خسارتنا إذا لم نحسن استغلاله فيما مضى. ولتدرك أيضاً أن حسن القيام عليه والانتفاع به ضرورة يستلزمها وجودنا. ورسالة مرسومة علينا لخير البشر أجمعين.

ومن نعم الله على المرء أن يكون لديه شيء يحتاج إليه الناس فيسحق وينتفع. فإذا لم يفعل هو ذلك فعله غيره قسراً عنه وشقاً هو بالذل والحرمان. كرجل يقوم على عين ماء لا مفر للناس من أن يشربوا منها. فإذا هو قام على الماء حق القيام وأحسن الانتفاع به وسر للناس ورود باع الماء بالذهب. وإذا لم يفعل اقتحم الناس عليه الموضع وشربوا. وباء هو بالخسار.

سريعة من يوثانت سكرتير عام الأمم المتحدة. خطوة أولى نحو هزيمة ١٩٦٧ التي أجهضت المشروع القومي. وأفرغته من محتواه تماماً..

خطب عبد الناصر في جنود تحدث عن نظرة الغرب إلى الشعب المصري. شبهها بنظرة المستعمرين البيض للهنود الحمر. ووصف إيدن رئيس الوزراء البريطاني آنذاك. فرط ثقلاً. بأنه «خرع». وأتاح لي اشتغالي بالصحافة أن أناقش تحليلات انتهى غالبيتها إلى أن الحرب المدمرة قد تستعيد فلسطين في أربع وعشرين ساعة. أما الحرب التي تحرص على تقليل الخسائر. فقد تمتد إلى سبعة أيام.

ردد الناس أعنيات أم كلثوم وعبد الحليم حافظ وقابضة كمال وردة وغيرهم: خلى الصفوف الجارحة تنهش لحمهم.. خلى الرمال العطشى تشرب دمهم. وراجعين بقوة السلاح.. وراجعين بقوة الحمى.. وراجعين كسا رجوع الصباح.. من ألق ليلة مظلمة. أحلف بسماها وترايبها.. أحلف بدرونها وأبوابها.. ما تقبب الشمس العربية.. طول ما أنا عايش.. فوق الدنيا. يا بركان العنضب.. يا موجد العرب. أيتك يقول لك: يا بطل هات لي نهار... إلخ..

لكن رزائل الهزيمة قوض كل ما شيد في أعوام ما قبل ١٩٦٧. تلاشت كل الطموحات والتطلعات والتوقّعات. كأنها لم تكن. احترق الفيلم. فاصبح ذكرى صعب علينا الرجوع بقوة السلاح. ولم يتح للصفوف الجارحة أن تنهش لحم الأعداء. ولا لرمال الصحراء أن ترتوى بدمانهم. العكس هو ما حدث. تلبس القاتل المصري ضربة لم يتح له ردها حالاً.

غيبت الهزيمة ما كان مطروحاً من شعارات في ضوء الواقع. وأحدثت انكساراً في الروح المصرية. وكان الوضع دلائل ذلك الانكسار توقف تيار الإبداع لاستيعاب الدروس. والإفادة منها. ولقاء أسئلة الدهشة والغربة. وحل مخاض الانكسار على كل المستويات السياسية والاجتماعية. وحدث تطاحن وخيبة أمل وأحساس بالذل جدي. واتجهت التسميات إلى القناتة والياس والتشاؤم. فهو عصر الهزيمة. والتعبير لكوني ولس وهو عصر الاستشهاد في تسمية تجيب محفوظ. وهو عصر الرداءة في تسميات أخرى. وإذا كانت صدمة الهزيمة قد أخرجت العديد من الأقلام. فإن نجيب محفوظ زاد من إيقاع كتاباته. كتب المبالوج الذي يتوهج درامية المسرح. وصار حتى أنه لم يعد يشغله حتى الكتابة

بلعة المفامة لأن الوصول إلى الناس هو ما يشغله!

فرضت هزيمة ١٩٦٧ واقعاً جديداً. وأقيمت أسئلة حول الانتماء والكتيونة والمصير. فضلاً عن محاولة رد المصممة الفادرة بدا التغيير ضرورة ملحة. عبرت عنها مظاهرات التاسع والعشرين يوليو التي لم تقتصر على المادة بعودة عبد الناصر. وإنما دعت إلى المحاسبة مظاهرات في الإسكندرية. وفي غيرها من المدن. وقد ارتفع شعار محمل بكلمات قاسية. تعيب على عبد الناصر إعلان تنحيه بعد أن فترت البلاد. على حد تعبير كلمات الشاعر. على يديه!

كانت تقديرات الخبراء العسكريين أن مصر تحتاج إلى فترة طويلة كي تستعيد تماسكها. وحدد موسى ديان أمير عام حتى تعود العسكرية المصرية. لكن رعاية جمال عبد الناصر. كثير الجهد والأخطاء على حد تعبير الجواهرى. صرفت معظم جهدها إلى إعادة البناء. ومواجهة التحدي. تكونات متعلّمة سينا العربية. وبدأت حرب الاستنزاف. واستؤنفت المعارك على امتداد ضفتي القناة الغربية والشرقية. واستشهد عبد المصم رياض. وسط جنوده. في ٩ مارس ١٩٦٩.

وكم كان مؤلراً أن يشهد عقد الستينيات المصرية نهايتها بجموت جمال عبد الناصر في ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ (رحل ديجول. رمز الإرادة الفرنسية في العام نفسه). كنا نتابع أخبار مرضه. وسفره للعلاج في تسخاطوط. لكن الموت لم يكن يشغله. ولا تصورناه!

### أحلام وانكسارات

لا أذكر من وصف جيل الستينيات بأنه جيل الأحلام العظيمة والانكسارات العظيمة.

التسمية. في تقديرى. صحيحة تماماً! الشعب العربي يواجه اتهاماً بأنه غير مشارك. ويستبعد الإحساس بالانتماء. وقد ردت فترة الستينيات على ذلك الاتهام بصورة عملية. حين التفت حول زعامة رفعت شعارات القومية والوحدة والعدالة الاجتماعية. تبينت الجماهير أنها لم تكن مجرد شعارات جوهاء. وإن عبد الناصر يشعل. بالفعل. أن تجد شعاراته سبيلها إلى التحقيق. وامتدت شعارات «الناصرية». كما سميت مبادئ عبد الناصر. من المحيط إلى الخليج. وحتى الآن. فإن معظم الأقطار العربية بها أحزاب أو تنظيمات ناصرية. جعلت من الناصرية تسمية لها. ■



# الحارس .. العائلة .. أمراض السلطة

شيرين أبو النجا

لا يختلف الأمر مع النساء وإن كان أسوأ.  
إن كان الرجال من حقهم حرية ظاهرية فإن النساء  
ليس من حقهن ذلك مطلقاً

رواية البطران، يوميات ضابط في الأرياف، بمثابة إشارة على انهيار هيبة السلطة. وهو الانهيار الذي تم تداركه سريعاً بتحويل البطران إلى التحقيق إلا أنه في يوم ٧ سبتمبر عام ٢٠٠٥ (قرار التمديد لفترة رئاسية خاصة) انتهت أحلام هذا الحيل في امتلاك مقدرات ما يحدث في الشارع والوطن. فقرر أن يمتلك واقعاً افتراضياً وقصصاً مفتوحاً على الإنترنت الذي لا يخضع لأي سيطرة (هكذا كان الوهم الذي انتهى باعتقال المدون عبد المنعم محمود ومن بعده كريم عامر) وبذلك انطلقت النوات التي بدأت مؤخراً لتؤرق السلطة بشدة من حدة إصاحتها بكل ما يسمى «الثوابت»، وبالتكشف الهائل الذي تقدمه في شكل لغة متحيلة عن قواعد اللياقة تجاه السلطة والصور الماصحة لكل ما جاهدت تلك السلطة في إخفائه في كل تلك الأوبة لم تكن الكتابة الأدبية مشغولة بتدوين ما يحدث من قمع وربما لم يكن القمع ضاعفاً وملموساً حينها. فقد كان هناك النظر إلى الأمام ومحاولة استشراف آفاق جديدة حملتها رياح التسبعية السطحية الزائفة، وظل الأدب يتعالى على تدوين اللحظة وتسجيلها. وذلك على الرغم من تعبير الشخص الأدبية المعتادة فظهرت كتابات تتناول ما يسمى «المهمشين» (على غرار، لصوص، حمدي أبو جليل). وتغير اللغة المستخدمة فيدا استخدام لغة الرسائل القصيرة المحمولة ولغة الإنترنت والسيمياء (أن تكون عباس العبد، لأحمد العمايدي). وتغير الرؤى العربية ورؤية العالم بسبب الإحباط الشديد والاحتجاج الفصائي المؤهل وبغير المسبوق. حتى تحول العالم إلى صورة سواء منفردة أو مركبة على غيرها أو غامضة

ص صوم. للحميس عبد البصير بكل تبعات الرواية وكتابتها القيم الآن بفرنسا. في أواخر عقد التسعينيات ظهر جيل جديد يقدم كتابات توظف الواقع تقنيته، فالصرد يبدو مهزوماً (أحمد الغواية، لعمرو عافية) أو وحيداً (سحر أسود، لعمري الجزار) أو مهلوساً أو فوضوياً عديمياً أو غارقاً في ذاته (متاهة مريم، لمنصورة عز الدين). واللغة عامية دارجة مغترية عن لغة أجيال تكبرها أو صعلوكية مباشرة صادمة (فاصل للهذه، لعمري الفخراني). كان هذا الجيل بالتحديد هو الجيل الذي رفض كل الأشكال الثقافية والسياسية ونعمر عليها، بل أعلن احتقاره للعمل السياسي المنظم وذلك في إعلان للتمرد على السلطة الأبوية بأشكالها. وبشكل مفارق كان هذا الجيل هو الذي شكل العمود الفقري لحركة «كفاية»، وخرج يجوب الشوارع ويهتف «باطل.. باطل.. باطل.. باطل» معتقداً أن كل هتاف يساهم في تقزيم السلطة وصمدت رواية حمدي البطران عن دار الهلال عام ٢٠٠٤ لتؤكد لهؤلاء الشباب صحة رأيهم في السلطة «العجوز»، كانت

التسعينيات، بامتياز. ساد الاعتقاد لدينا أننا صنعنا «العالم الجديد، المتخلص من كل ترهات الماضي، العجوز، عالم يصنع لغته ومصطلحاته. ويكتب عن الذات المنسية في السرديات الكبرى. ربما كان أشهر تلك المصطلحات الخلافية المثيرة للجدل والداعية للاستفزاز هو مصطلح «كتابة الجسد»، الذي وصلت أصدائه إلى العالم العربي من حركة ٦٨ الفرنسية، لكن المصطلح وصل لفظاً وليس معصوماً وفي ذلك الوقت أيضاً بدأت الحركة حول قصيدة النثر التي أعلنت العصيان الشعري الكامل على كافة القواعد الشعرية. وعندها انطلقت فقط أشكال الكتابة الجديدة هي التي شغلت الكاتب الفاعل ثقافياً بل ظهرت أيضاً مشكلة الترجمة، حين أغرقت شوارع القاهرة وبالتحديد منطقة وسط المدينة بشباب من الخواجات يقدمون أنفسهم كمترجمين، وعندها بدأت الحركة الساخنة التي اتخذت من اتهام الكتائب من أجل الترجمة سلاحاً قوياً. لم تخمد الحركة إلا بعد واقعة «البحث

■ ■ ■ في عام ١٩٩٠ صدرت رواية الموت عشقا، للكاتب على أسو المكارم وتبعها بالجزء الثاني وعنوانه «العاشق ينتظر». لم ينتبه أحد للروايتين ولم يقدم بعدهما الكاتب - على حد علمي - أي أعمال أخرى. كانت تلك الكتابات حين صدورها، وحتى الآن، من أهم الأعمال التي تلوح للجمهور التي وقعت بين السلطة وتيار الإسلام السياسي، وتؤكد «الموت عشقا»، أن الأحداث تدور في سبتمبر ١٩٨٠. وهو تاريخ يحمل الكثير من المركبات التي كانت تعلن عن نهاية حقبة وبداية أخرى. بل إنه تاريخ يشكل أحد الأسس التي تركز عليها الحقبة الحالية من ناحية التعامل بين السلطة والشر، سواء كان منفرداً لا واعياً ولا مبالياً بما يحدث أو منخرطاً في مجموع يحمل توجهاً سياسياً، فالأمر لم يقتصر بعد ذلك على التعامل بين «الإسلاميين، والسلطة بل امتد لتشمل كل من يقع تحت طائلة هذه السلطة. لم يرد أحد أن يقرأ في تلك الأوبة، بداية التسعينيات، عما حدث في بداية الثمانينيات. فقد كانت الذاكرة الجمعية تحاول نسيان ما حدث أملاً في طغيان أشكال الكتابة الجديدة التي انطلقت بقوة لتشغل الوسط الثقافي بالكثير من المصطلحات الجديدة الخلافية والتي أطلقها الشباب (إنذاك) حتى حصلوا (وربما يجب أن أقول حصلنا) صلي لافتة - جليل

العائلة «رواية»  
محمد الشارح

القاهرة، دار ميريت ٢٠٠٧

الحارس «رواية»  
عزت الصحاوي  
القاهرة، دار العين - ٢٠٠٧

أو مشوّهة. هي حلقة ما أصبح لكل كاتب شهرته الخاصة ورموزها الخاصة بواقعه المباشر (سبحو مؤلف، لعادة الحلواني)، وإرادات الموجهة إليه وبين فائره كان مفهوم البجاح المدوي الذي حققته، عمارة يعقوبيان، والتي أكدت لعموم الغراء التفسير الأوحد لظهور الأصولية الدينية، القصر والقمع، كتاب بيت الطماطية عبر ناكيد السائد لكن يبدو أن الاحلام التي كانت تراود ذلك الجيل حول اراحة السلطة وحول انتهازها الفعلي تبخرت تماماً حتى وجد البخار أن يخفق أصحاب الأحلام أنفسهم (ربما مخفقهم؟) ولأن القضاء صيق للعاية والمساحة محدودة كان لا بد من إيجاد صمام أمان ينفذ البخار قبل وقوع الانحجار كاملاً. كان لابد من طرح السؤال الأدبي حول طبيعة هذه السلطة نفسها، همدان أو تولع على أبو المكارم في عقل تلك السلطة في روايته عام ١٩٩٠ لم يطرح الأدب سؤالاً من نوعه لتلك السلطة لدلائل، لم تكن تشرميها هي شخص أو بإسقاطها على فترات أخرى أو بوصفها من الخارج، وكأنها أصبحت في غيابها النسيان، وكأنها ستر كل غدا، وكأنها لم تعد موجودة لكن السلطة بكل احتزال حركة كماية لها، وبمحاسنة الشخصيين، تراوخ وتشدير البخل ولتلقى بخصرات ترواح هنا وهناك، سلطة ماراثت تعمل عقلها وإن كان بشكل عجور لا يلائم عصر الحوادث التي لم تنتشر في مصر فقط ولكنها تملأ إلى وقتنا في ظهورها جبال وأفكار جديدة في العالم العربي بأكمله،

٢٠٠٧

مع حلول واستقرار ٢٠٠٧ تم نهايته بيد التساؤل عن السلطة وطبيعتها قد أصبح من الأمور الحتمية في المنطق العربية بأكملها، ولم يعد السؤال مقصور على الأجيال الحبيدة بل امتد ليشمل أدهان كافة الأجيال، وذلك بعمل توحش السلطة على نتاجاتها، قد يختلف مسار السؤال ونقطة انطلاقه لكن بالتأكيد تبدو النهايات متشابهة بشكل ما، تحمل أدات متشابهة التي اغلب للسلطة، فعل الكوب اصبر محمد الشارح روايته «العائلة»، عن دار ميريت للنشر، تلك الدار القاهرة التي تحولت كقصص للمعارضة والعائلة في حد ذاتها.. بكل مترادفاتهما - سلطه: العائلة في هذه الرواية لا تقتصر على العائلة الكويتية، بل هي صورة للعائلة المنددة في أي مكان، هي صورة الجنيتو

طاهرية زائفه، والحقيقة أن العائلة هي الجبتي والمتشبه، لا حياة لأحد خارجها، لا يخلف الأمر مع النساء وإن كان أسوأ. إن كان الرجال من حقوق حرية طاهرية، فإن النساء ليس من حقهن حصه معلقة، تتعلل كل الرضا لدى حصه التي لم تتزوج واختارت أن تحتسني بالجميع على حد سواء، بمن في ذلك متفق الصفات، هي البديلة للأمر التي ترعى وتصحى وتبدل في نفسها لأخريين، وتقف على النقيض منها «هنو»، التي لم تدرس بالجامعة ووقعت في حب شاب مصري وتزوجته رغم أن أهلها ضاربة عرض الحائط بكل التقاليد المبكلة للتحقق الشخصي الحقيقي، ويتجلى ذلك في الخطاب الطويل الذي أرسلته لأخيها ليرتكبها وشأنها، لكن أخاها حاول نكل الوسائل أيضا أن يعيدها إلى «العائلة»، فكان حينها لزوجها ولحياة أقوى رفضت أعراف العائلة للكملة برفضتها العائلة إسبانيا دون أن يظهر ألم الفراق، عدم إظهار الألم هو جزء من تقاليد العائلة، هو بالأحرى أساس القمع، عدم الإصباح، بزيادة إلى فرض الانفصال الصارم عن مجربا العالم الذي يتبع خارج نطاق سيطرة العائلة، كل من يخرج عن العائلة يخفى سوءه في وطنه (فيصل وابنه) أو في جوارتنا (أحمد وناصر) أو من هضاه (العائلة (هنوف)



في ٢٠٠٧ يعيد عزت القصصاوى طرح السؤال الموجه عن عقل هذه السلطة في رواية «الحارس» (دار العين). كيف يجمع صابط في الحرس الرئاسي بين كونه قائما ومعتقداً على أن تتسلل منظومة القمع والقهر بخفية داخل النفس البشرية كيف تصيب جزءاً أساسياً منها؟ كيف تحافظ السلطة على موقعها حتى يتكلس جلدها ويكون طبقة عازلة عن المحيط الخارجى؟ كيف تدفع السلطة في تحويل الضباط إلى أداة طبيعة مطيعة بحيث لا يمكنه العيش من المدنيين مرة أخرى؟ أسئلة يطرحها عزت القصصاوى في «الحارس»، عبر تتبع المسار أو بالأحرى الصعود المهني لل ملازمين سلاح الذي نجح بانخراطه التام في المنظومة في الوصول إلى منصب نائب قائد سلاح الفرسان. يسيطر على الرواية مبدأ البداية أجواء ضبابية غائمة سواء فيما يخص المكان أو الأشخاص. وهي تقنية مفعمة لتلك المنظومة العسكرية التي لا تسمح بأي بشيء خارج السيطرة.

الذي يطلب من أفراد الولاء التام لكل المعتقدات الجمعية المتوارثة. هي العائلة التي توفر الحماية لأبنائها وتتوقع منهم الطاعة كتمن للحماية، وهي التي تيسر الحياة على المستوى المادى تستهجنه الخروج على الأعراف والتقاليد، وهي التي تؤازر السلطة (الأمير) فتتربص على توقيع أبنائها لتلك السلطة، وهي التي تعرف، وهي تصعب فتصعب أفرادها بالتوقيع، وهي التي تراقب الأفكار فيدفع الأبناء أثماناً باهظة للتفكير والنشأ، وهي العائلة التي تتماشى مع السلطة على مدار الرواية حتى ليصبح من الصعب التفرقة بينها وبين السلطة، العائلة هي السلطة تحاول رواية «العائلة» تحليل الأسباب التي أوصلت الابنيس أحمد وناصر إلى معتقل جوارتنا.وهم ربما من أول الأعمال التي تحاول أن تلهم أسباب اندفاع الشباب إلى «الجهاد.. وهو التحليل الذي يستدعي جسم حيوات عشرة أولاد وتسع بنات، هو مجتمع معلق على أفكار، الوسطية، التي يحرص عبد الطيف كبير العائلة على حراستها حتى وإن اقتضى الأمر تفتيش الدوايب، متحجج صامد لا يتصل بالعالم الخارجى إلا عبر «الصفقات، المنظمة.. مجتمع قبلي يرسل رجاله لأمريكا ويساهم لصر، في أمريكا.. بلد الحرية.. يعلن فيصل الأسفصر من التزامه، ويخوض رحلته الجاهدين هيستيك في الجامعة مع الأستاذ اليهودي حول طبيعة «الحرق»، ويذهب إلى حمل لملصكين ويسخر منهم، ليدر أن كل كلمة مرافية في أمريكا وهي وطنه، كيف يراقب لأسبابه، بعد عودته يتشدد فيصل أكثر كره فعل على التضيق الذي يمارس عليه حتى أنه يخفى هو وابنه مباشرة بعد الخطية انثارية التي ألقاها بأبجد، فالسلطة الممنعة في الوزر لا تتحمل أن يواجهها فيصل بمواطن ضفها، وعبد الطيف كبير العائلة يؤنب فيصل لذلك، أما أحمد ورغم انتمائه الكامل في أمريكا إلا أنه يسافر إلى كوسوفو وغوروني من أجل «الجهاد، تأثراً بالفقراء الجاهدين الذين يستمدون وجودهم، بشكل مفرد من وجود تيار يميني أمريكي محافظ، ويتبنى الرواية بأحمد في جوارتنا.وهم ليلقى أشد صفوف العذاب، وجمع أخوه ناصر، وكان صنف الثلاثة أشقاء في المراسد لكل من يخرج عن الخط، العالي المرسوم من إرث الماضي، هاجريه الموجهة لكل شقيق هي حرية

هالكان طوال الرواية هو العيب الخاص بالحرس الرئاسي الذي يقبع بحوار العصر مباشرة، تدور الرواية بشكل يشبه الهمس خوفاً من وصول أي كلمة غير لائقة للقصير، والهمس يصاحبه الخوف والتربص العائلي يصلان إلى حد الهستيريا في حماية صور المسكر من الدخلاء لينتهي الأمر بإطلاق كم هائل من الرصاص على طائرة ورفبه: في ظل هذا التشنج الدائم تتقدم الحوارات بين أفراد المسكر ونختمها بالتالي من الشكل الروائي، الحوار الوحيد الموجود بالرواية هو الحوار الداخلي لوحيد من نمسه والذي يتكلم لبدا في الظهور هي الأحلام التي تتحول إلى جزء من الواقع، حتى هذه الأحلام لا تأخذ شكل تحقيق رغبات مكبوتة أو استرجاع ذكريات ما، بل هي أحلام غرائبية موحشة مختلفة بصاوت حجمة على سلاح المسكر وظلمة قامة ورعب إنساني، تساهم الأحلام في تكثيف الإحساس بالوحدة، لكنها ليست تلك الوحدة الإنسانية أو الوجودية، بل هي الوحدة في التوحش ومحاولة الصعود، العصور الذي يبدأ بتواطؤ السلطة معه، إذ تتم تراقبته، أحداث إطلاق النار شبه التي أدى إلى استنفار المسكر بدون داع، وشجع ذلك ترقية أخرى لدرجاة في القضاء على قتلتين متبعتين حاولتا مهاجمة موكب الرئيس، وهكذا، ينتهي الأمر بوحيد مثل قطعة الطرطرج التي يتم تحريكها من مكان لآخر بدون إتياء أسباب، مع التنبية على ضرورة عدم التفكير وهو ما يتجلى في التحذير الصادق في المسكر بصورة تجنب المبكية، تتحول الرواية إلى المسكر إلى استعداد دائم لخروج موكب الرئيس أو عودة موكب الرئيس، تتكرر المشهد ولا يحلم ووحيد لا ينظره إثنان من الرئيس فلا يجد سوى سكار سواد مسدلة على رجاء التماسا، المشهد مصمت ليس به أي شغاف الحياة كالألوان التي يسيطر على المسكر كل شيء يدور همسا وفي الخفاء، بما في ذلك إعدام ضباط في الخفاء، لشدة وطأة الأوامر القامعة تتشاور من حين لآخر أسئلة تخص الوجود الفعلي للرئيس، إن كان حقيقة أم وهماً، ينبج الصابط في إيجام تلك الاختبارات الناجحة من يتلقى على الآخرين بالصدرة على الطاعة والتواطؤ، بيسمر الوضع على نفس الوتيرة حتى تبدأ أشياء لم تكن موجودة من قبل من

الظهور. فقد بدأ «الشعب» يأتي بأفعال غير معتادة، أفعال تهيب السلطة والرئيس، من قبيل اقتحام فرد يحمل حذاءه للموكب الرئاسي، ظهور أشخاص يديهم مكيلة بالسلاسل علامة على الاحتجاج، نظرات غاضبية حادة من راكبي السيارات، بالإضافة إلى انتشار العبارات البديئة على الجدران، تؤثر هذه الكتل في التساؤل عن حقيقة وجود الرئيس، «ماذا نحرس؟» وتكون الغلبة في ذلك لاكتئاب عظيم.

لا تستسلم السلطة لحالة الاكتئاب والتهزل ولا تحاول تغيير أسباب الاكتئاب بل تبحث تقريبات جديدة تلهي بها الجميع عن السؤال الجوهرى، «هى السلطة المرافضة التى تتعامل مع الصدمات بشكل يولد المزيد من التبدل والتكلس». ثم تظهر حركة أخرى تساهم فى المزيد من العزل بين المسكر والعالم الخارجى، تقر السلطة العليا أنه لا داعى للتعامل مع الشعب الحقيقي فتأتى ببعضهم وتدرجهم على مهن وحرف مختلفة وتحولهم إلى جزء من المسكر

ليقوموا بالتلويح للرئيس وليتقدموا الشروحات المعتادة فى افتتاح مصنع أو مشروع، تحمل كتاب الشعب، محل الشعب الحقيقي الذى أصبح وجوده مزعجا بدرجة ما للقيادة، وسحابتها تستقر، كتاب المحو، التى تنطع الجدران ليلا من كل عبارات الاحتجاج مع هذا العزل تتفاقم حالة الصابغ فى أحاسيس بعد القدرة على التعامل مع مراحل الشيب والضعف، والأذى أنه لم يعد يرى من برج الحراسة ما كان يراه وهو لا يزال ملارما، الملامات المتهزلة فوق أشباح، لأعيب الورق، ومشاهدو التلميزيون، وحلقات الشرقة، وهيبى الطائرة الورقية الذى أثار غرور وعرضه للمحنة الأولى فى خدمته، الآن لا شيء من هذا يمكن أن يرى على الأسطح ذاتها لا شيء بالمرة سوى النفايات التى كانت هناك دائما، سواء كان ذلك عمى ناتجا عن التبدل أو كان المشهد قد تغير بالفعل، لا فرق، سيبقى الحارس دائما وحيدا ومهزوما بأوهامه وهواجسه، ومنذ بداية

الرواية وحسب نهايتها هناك الساقص التدريجى المخطط، لأن حيوات أخرى تتألا المشهد وتعمل على سد ثغراته وباتدرج أيضا بحثنى اسم الحارس، وحيد، وتحلل الرتبة محل التعريف الأساسى تختمنى كل العلامات الإنسانية حتى أنه يستدعى الحلاق ليغير بلصة اليد الإنسانية التى غابت ميكرا هى الرواية منذ أن استعنى عن حبيبته نوال، لا يبقى فى النهاية سوى الفند والتائب، القائد الذى يحاول الحفاظ على حياة دانيه لسفى الوهم حيا لبقى المقوم المطيع الذى يمد السلطة بوجودها

القاص المزهوم الذى لا تتوقف أعلامه بالحصول على القوة المطلقة وتحقيق المجد بالسيطرة التامة، فكما كان اللواء سليم فى «الموت عشقا» (١٩٩٠) يحلم بالسيطرة على العاصمة ويخطط لعملية كبيرة تخضع كل هؤلاء الرعايا لسلطته، يحلم عبد لطيف، كبير العاقلة، (٢٠٠٧)، (ومعه الوزارة) بحساب أنفاس العاقلة والتأكد من سيرها على الخط المرسوم بدقة، ويحلم الصابغ

وحيد فى الحارس، ٢٠٠٦، ساجار محطط، اسمى نكولوجى لتأمين موكب الرئيس محطط يستخدم فيه جهاز التحكم عن بعد، ويحقق به نصرا ما بعد نصر هو حلم السيطرة المطلقة وهو الحلم الذى يصمم على السسطة سلطانها سيدد الاحلام و لطموحات تتحلل الرعة الحمقة للسلطة، سلطة، فى تكيم الاقواء وإسكات الراى المحتل، ناهيك عن المعارض، هى الرغبة فى اختزال اللغة إلى «صام يا اسدم»، وحاصريا افندم، والله الخير، بقدر تناقص اللغة فى الواقع الخارجى فى روايات السلطة تقدر ما ينصاع عدد الوولوج الداخلى الذى يكشف مناطق الوعى والملاوضى المطلقة، وتدرجها يتحول الحلم بالقوة إلى مرض، وهو مرض معد ينتقل من الأعلى إلى الأسفل، مرض يشبه الهوس وهوس يعازل الجبوت وفى نوبات الجبوت يقع التبدل والتكلس ومن بعده... لا بد من الانهيار، أيهما كان فى البدء... لعائلة أم الحارس؟ وأيها أقوى؟ أم أنهما وجهان لعملة واحدة؟

إبحث...  
إبحث...  
استمتع!



إبحث موبايل Nseries كل أسبوع

مزيد من المعلومات... قم بزيارة YellowPages.com.eg



YellowPages.com.eg

موقع البحث الرسمى للاعمال فى مصر

# عن الاقتصاد والشعر ونهضة مصر

## محمود محيي الدين



للأثرة، وحب الذات ... فمكارم الأخلاق. وفق هذا الكتاب، وفي تقديري فصائل اقتصادية وأمثلة ذلك، حب العمل والسلطان على النفس، والجلد والمثابرة والإفراط والتبصر. فرد حافظ إبراهيم: لعلمك يا صاحب المعالي بما ذكرت، وكأنك تحفظ مقدمة هذا الكتاب عن طهر قلبك، وقد جرى في هذا الكتاب، فيما احترت فيه ... لماذا أسماء صاحبه الموجز في علم الاقتصاد، فلقد دعا كتابه هذا بالموجز رغم ضخامته، فهو يقع في أربعة أجزاء وكان تعريبي وخليل له في ٧٦٤ صفحة...

فأكمل خليل مطران، وكان رقيق الطبع ودوداً؛ إنك لم تحسن الصنع يا صاحب المعالي باختيار الموضوع والعلم الذي نصرت له أول كتاب شامل من الفرنسية إلى العربية فحسب، ولكنك أحسنت اختيار المؤلف الذي ينقل عنه، فهو «من الثمة منه في بلاده، وله في الاقتصاد تأليف جمة، ما بين مطول ومختصر». والقراء يؤثرون تصانيفه وكتبه لأنها منزهة عن الغرض، وأبعد في الغرض، وإن لم تكن أقرب إلى التناول ... والكتاب لروا وبليو ولد في عام ١٨٤٣ في فرنسا، وله إسهامات كبرى، ومن أشد المعاصرين للمذاهب الاشتراكية، ومن أئمة الاقتصاد السياسي. وقد تعلم في كلية الحقوق في باريس، ودرس بعد ذلك في بون وبرلين في ألمانيا. وقد اطلع على مذهب كارل ماركس أثناء دراسته في ألمانيا وتكونت لديه أفكار معادية لفكره، «مجموعة بايزس، وأخذ في النشر هو ومجموعته مؤلفات عدة وصحف يومية، وأخلص ومن معه في التصدي إلى اعتباره تخريباً في دولاب الاقتصاد وأسس إدارته بتدخل الحكومة فيما لا يجب أن يتدخل فيه، مما يبعدها عن أولويتها الواجبة ولها: الكتاب إسهامات أخرى في علم المالية والدولة الحديثة وظوائفها وعمل المرأة في القرن التاسع عشر...

فتدخل أحمد حشمت باشا سائلاً، «لم تجيبنا عن سؤالى... هل انتهيتما من عملكما أم هو لقاء ختارتي فيه يطلب مهلة لإتمامه؟» رد حافظ إبراهيم: قد تقدمت إلينا يا صاحب العطفة بتعريض هذا الكتاب فأمضينا أمرك وقعدت وخليل إلى التعريض وفي أنفسنا من الأمر السرف جليل... وإن المقصد نبيل... وإن الشرق في حاجة إلى علم الاقتصاد... وإن ساكنيه على ظمأ إلى الإزدهار.

وأكمل خليل مطران: وما كنا نمتح العدد المائة وتسعة... فبراير ٢٠٠٨ م

فيما أذكر ارتباطاً قوياً بين علم الاقتصاد وعلوم أخرى، فهو ذو ارتباط مما سن الفلسفة من حيث إنها علم، تستخرج به التصورات الشاملة من الوقائع الفردية.

ويسترسل أحمد حشمت باشا إعجاباً بالكتاب وموضوعه...

«ونجد علم الاقتصاد أخذاً بيدي التاريخ من حيث إن التاريخ يعيد على الناس عظمت الماضي ليحكموا سيرهم ويجهل للأمام التالية رشداً من عبر الأمم الخالية، كما نجد أن هذا العلم لئلا يمس إلا حصصاً... من حيث إن الإحصاء وسيلة تحصر بها جميع الوقائع الاجتماعية وتفصل تفصيلاً يعين أهل العلم على استخلاص النتائج والقواعد... وكذلك علم الحقوق فلاقتصاد به روابط أوثق، فلنكنيها أساساً واحد هو المسؤولية الذاتية المتصلة بمبادئ الحرية والملكية... علمكما لا حظتها وانتما تعريان هذا الكتاب أنه لا ينحى إلى الاقتصاد أنه منافع لمكارم الأخلاق يدعو اقتصاده على البحث في إنتاج الأرزاق وحركة تداولها، ولا صحة لما قيل من أنه مذهب

على أهمية الكتاب وكتبه محسب، ولكن على أهمية هذا العلم الذي يدرس اليوم في الجامعات والمعاهد الكبرى في البلاد الأوروبية...

وهذه البلاد الجديدة المسماة أمريكا لا تنشئ اليوم جامعة أو مدرسة علياً إلا وكان في تخصصاتها قسم يوجه إلى تعليم الاقتصاد وما يرتبط به من علوم. وقد رأيت ونحن نبنى هذه النهضة في عصر أفتدينا الخديو عباس، أطال الله عمره، أن تعلم النشر - من طلبه العلم أسس هذا الحق الجديد من العلوم. خاصة بعدما تصفحت هذا الكتاب ووجدت فيه تعريفاً لعلم الاقتصاد بأنه يصمم بين فئتي جميع السنن العامة التي يجري عليها إنتاج الأرزاق وتوزيعها وتداولها واستهلاكها<sup>(١)</sup> وأنه لا يمكننا في يومنا هذا، ونحن في سنة ١٩١٣، أن نكون بمعاني عن علم يبور حول أمور في بحقيقتها من أعقد الأمور التي تعرض في هذه الحياة، وقد أظهر هذا الكتاب

■ ■ ■ منذ نحو قرن من الزمان في نظارة المعارف العمومية (وزارة التعليم الآن) وتحديدًا في عام ١٩١٣ حدث هذا...

تقدم سكرتير المعارف العمومية بأدب وخطى سريعة إلى مكتب أحمد حشمت باشا - وزير المعارف العمومية - ليخاطبه بضموم حافظ وخليل، رجلاً في بداية العقد الرابع من العمر، وعليهما علامات السعادة والنشرب بإنحارهما المحمول في لثافة أليفة تليق بصاحب المعالي.

أما حافظ، فهو محمد حافظ إبراهيم - فهدى المهتمس - الشهير بحافظ إبراهيم - المولود في ديروط بصعيد مصر في عام ١٨٧١، نشأ يتيمًا بعد موت أبيه وأمه من بعده، والتحق بالمدرسة الحربية وسافر مع حملة السودان فألف فيها خلية سرية وطنية ضد الإنجليز. اكتشفها المحتل فأحيل إلى الاستبعاد بعد محاكمة سريعة، ولكنه خدم في البوليس بعد ذلك بعون من راعيه الشيخ الإمام محمد عبيد، وانتهى به الأمر محرراً في جريدة الأهرام واشتهر بأشعاره الوطنية وكان شعره نجم المناسبات الكبرى إذ جرس قوى مشدق وإبداع متميز وحرارة تستنسخ قوى الأمة المصرية فلقب بشاعر النيل.

أما خليل، فهو خليل عبيد يوسف مطران، المولود في نفس عام مولد شاعر النيل، في بعلبك بلبنان، وتعلم فيها في المدرسة البطريركية، ورحل إلى مصر ليتولى تحرير جريدة الأهرام ثم أنشأ صحفاً كان منها الجوائب المصرية التي كانت مناصرة لمصطفى كامل باشا في حركته الوطنية ضد المحتل. وترجم عدة كتب وألح الشعر فلقب بشاعر القطرين. كان ينشبه بالاحطل وابن الرومي في أسلوبه الشعري.

ولكن سبب لقاء الشاعرين الأدبيين بورير المعارف المصرية لم يكن له علاقة بالشعر، فاللغة كانت محور كتابي في علم الاقتصاد قاما بتعريبه عن اللغة الفرنسية بتكليف من الوزير الذي وصاه في تقديم الكتاب بالعالم العامل. انتظاماً أحمد حشمت باشا بحفاوة وحية سائلاً: هل انتهيتما مما بدأتاه منذ عامين؟ لقد أحترتكما بعد هذا الكتاب في علم الاقتصاد مؤلف بارع هو بول لروا وبليو Beaulieu Paul Leroy. فقد رأيت أن علم الاقتصاد من العلوم البارغة حديثة المشاة، وسوف يكون له وللشعوب في شأن في الأمم الناضجة. ويستمر أحمد حشمت باشا وصاحب هذا الكتاب ذائع الصيت في بلادنا والطبعة التي طلبت منكم ترجمتها هي الثالثة عشرة بما لا يدل





وعند الانتهاء من الاطلاع على هذا الكتاب ستبين لطلاب علم الاقتصاد أن كثيرا ما يتداوله اليوم يصحح بما أطلعه عليه كتاب العدد الثماني من مجلة الاقتصاد، الصادرة عن الجمعية الملكية الاقتصادية في إنجلترا، إنها أفكار قديمة في أوعية جديدة، فما كان يشغل صاحب علم الاقتصاد منذ مائة عام، هو ما يشغل طلبة ولشغلتهم به اليوم... معضلات قديمة بأساليب تحليل جديدة ولعلكم تستال كما سألت عند الاطلاع على الكتاب العرب عن حال اللغة وحال تدريس الاقتصاد بها بعد ثورة مائة عام من صدور هذا الكتاب، فلا أحسبني طمعا بيسر على كتاب يدرس في يومنا هذا يقدمه مصريه بشيم التواضع رغم فضل العلم وإن كان طفيفا، ولما نقول إننا أتينا بجماع الحكمة، ولا نحن من يدعي العصمة ولكنها خلوده خلوها على قدر. والصناعة تركنا بنية تحقيقها لى تولاه بعدنا وقدر.

هذا من اللغة وحالها.. وأدعى أن جهره من التلاميذ في المراحل النهائية من التعليم المدرسي وطلبة التعليم العالي سيجدون مندا شديدا في قراءة هذا الكتاب. أما عن الاقتصاد وتدرسه فنحن نصد كتاب، طلب وزير المعارف تدرسه معبرا لطلبة العلم في مصر، في عهد كانت تصدر طرح فيه تحت تير احتلال مستبد غاصب، يضيق على البلاد سبل التقدم، ومع ذلك لم يتوان الرواد النبيلة على الاستقلال وقتها أن ينشئوا جيلا يضارع أبنائه في تعليمهم وأسس تكوينهم، كن اتبعت له الفرصة منهم، أقرتهم في أوروبا، وبلطة مصرهم العريضة.

إن ما نعمت به مصر من نهضة تجاوزت بها سائر القطار الأمة العربية ولدان القارة الأفريقية يرجع إلى جاور غرست في حب التعلم، بإعداد إحياء واحد من فرض الدين ومقومات الدنيا على يد طائفة من المثابة والمتنورة أطلقوا في عوالمهم لنهضة على قدرهم منذ القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين وهذا ما جعل لعصر الحديث قدرا فريدا ما زال يعيش الجيل الحالي على ريعه وقبس من فيضه.

ولا يرجع الفضل في لأمله من رواد النهضة من مصريين عاشوا في القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين إلا

المعاصر بحوث أزمات اقتصادية سرده منها وحلها الاقتصادي، كندلبرجر، في كتابه المشهور والنشر في عام ١٩٧٨ تحت عنوان: جنون وهلع والتهيار. يشهد التاريخ أيضا بأن أزمات أخرى قد تم تداركها قبل وقوعها أو احتواؤها قبل جرسينها. أشار إلى بعض منها جرسينها في مذكراته المنشورة في عام ٢٠٠٧، تحت عنوان: زمن الاضطرابات،

يذكر المؤلف حقيقة قد تكون التجربة والخبرة، لا التحليل والاستنتاج. قد افادته في ذكرها عن أثر الأزمات الاقتصادية بما قد تحققه من نتائج نافعة بعد مرور الجائحة، حيث ينظر الناس في تقويم ما أعرج من نظامهم... ويتجربون طرائق أصح من الطرق الأولى للعمل وهذا ما لاحظته فعلا من متاعمة الأزمات سواء تجارية أو مالية. ولكن ما نذكره أيضا هو روع الناس إلى العود إلى سيرتهم الأولى بعد حين... وهو ما يوجب نقطة أجهزة الرقابة والإشراف على الأسواق ودفع قدراتها بما يجعلها قادرة على استنفاد أهل السوق من أنفسهم، خاصة إذا تفتحت في الأسواق عوامل القصور عن العمل بكفاءة. أما بعدم اكتمال الأركان أو ممانتها من أوجه الخلل أو لتدني هيكل المعلومات، أو لعدم ترسخ قواعد العمل بنظام كفاءته تسود المنافسة وتحكمه أعراف أهل التجارة والصناعة التي قد تضمر بقاها لروح من الزمن في ماء اسن من الساليب التداخل للثورة.

وهو ما عانت منه اقتصادات ادعت أنها تعمل وفقا لنظام للتخطيط وتهيمن على مجريات أمور الدولة. فلا هي خططت ودبرت، ولا هي تركت أمور الناس الاقتصادية تسير وفقا لقواعد تسنها التشريعات وتنظمها مؤسسات الرقابة الحصيفة، فتحسم بها الحقوق وتنظم من خلالها الأسواق وتطور من أدة الاقتصاد كما يكفي للناس حاجاتهم.

سرعان ما ينسونها بعد نهايتها. هتاتي بعدها أزمة أخرى لتذكرهم بسياستها فيشرع الناس في تحليل أسباب الأزمات وما هو مشترك في مسبباتها. ويندهشون ذات اندعاشهم السابقي. بأن العصر المشترك بين الأزمات الاقتصادية أنها كلها تزول بعد حين. ولكن يضار منها عادة ويدفع ثمنها من لم يكن سببا في حدوثها أو طرفا في تسخ خيوطها.

وينسرح الكتاب بعض الملاصح للأزمات الاقتصادية في عصره ويهدد السابقين عليه ويبدو أن الزمك المسيطر وقتها ما يتعلق من أزمات التجارة التي أرجعها بعض مصاصريه إلى الإفراط في الإنتاج. ويتسبى لهم الكتاب بتعميد الحجج، التي يروح من خلالها حول مفهوم وأليات المورث الاقتصادية بمضغونها المعاصر. وأنواع الخلل الذي قد يصيب الاقتصاد من هيكل أو موسمي أو نظامي على نحو ما تطور علمنا به خلال كتابات القرن العشرين. بعدما تطورت سبل التحليل التي تبناها علم الاقتصاد خاصة بعد الكساد الكبير في العقد الثاني والثالث من القرن المالت. ولكن في وقت كتابة هذا المؤلف لم يكن في وضع صلب إلا أن يقول: ليس في الأدوية ما تستأصل به شافة الأزمات الاقتصادية...

وهذه السوفلة بالقتل للمخترع جاكوار، الذي أنتج منوالا ميكانيكيا. وجرق مجلس حكماء، ليس كويس هذا المخترع الذي كان عضوا في مجلسهم. وعارضت الملكة إليزابيث (اليزابيث الأولى) إقامة محاكم للجوارب. وحطرت مدينة دنك إلى المانية استعمال الأنوال المنتجة لأوضحه المراد. وأغرق السوفلة منحتها. وعارض الرئيس المكسيكي سستانا مد خط السكك الحديدية لمصلحة أصحاب الأعمال. فهدد المؤلف بعدد في مزاي الآلات وفصلها على البشرية. فأى مصير كان مصيرنا لو لم تروشنا الإيجال هذه لبحرنا التي لا تقاوم.

ويقيم الكتاب بمحاولة لتبديد الأوهام القائمة حول نمو الإنتاج، فيبعد مزيا الإنتاج دى الحجم الكبير وعيوبه، كذلك الأمر بشأن مزيا الإنتاج دى الحجم الصغير ونقصانه. وإن كان يجدر من حظورة الطن أن النجاح في إيها ليس له حد. فكل عوامل نجاح وتطور إلى حين.

حتى تنتهى دورته ويستنفد قدرته على الاستمرار.. فالصالح الإنسانى هو فى حقيقته أقل من ظاهره... ولعلك ترى الناس فى يومنا هذا يركنون هذه الحقيقة إبان شهودهم للأزمات الاقتصادية. ولكن

الاقتصادى . وعلى أن يكون الأبحراف من المانول الاقتصادى استثناء مؤقتا.. لكن يجب أن يحذر من الممارسة المتكررة لهذا الأبحراف قد تجعل الأبحراف عادة لا استثناء... وقد يبرده البعض بأنه لطروف المرحلة وطبيعتها المؤقتة. فتقا ناأ الوقت يمتد لترسخ مقولة اعتقد أنها فرنسية مصادها، أنه لا يوجد أكثر دواما من الأمور المؤقتة! وتدير معنى ما فى الممارسة الاقتصادية فى جوابها المختلفة ما اكتسب استمراره دهرأ باعتبارها فى مبدئه أنه لوقت محدود، فيكاد يزول الوقت ولا يزول هذا الاستثناء أو يبالى أحد فى هذه الحاجة بحسب التكلف. فكل عندك ما يشله ويعني معنى شلون أشد.

وفى الكتاب بعض الأفكار التي تطورت على مدار القرون الماضية عن التخصص وتقسيم العمل، ودور النقابات وأسباب الإضرابات وعن العلاقة بين الجغرافيا والمزاي النسبية للتجارة والتطور الاقتصادى المرتبطة بها، فضل الابتكار والتطوير والاختراع على الإنتاج. حيث نجد من الآلات اليوم من التواور... يستحدث من المصنعيين والبيجارة يحطمون أول مركب سيره البخار لظنهم أنه سيبعد لهم البطالة.

وهذه السوفلة بالقتل للمخترع جاكوار، الذي أنتج منوالا ميكانيكيا. وجرق مجلس حكماء، ليس كويس هذا المخترع الذي كان عضوا في مجلسهم.

وعارضت الملكة إليزابيث (اليزابيث الأولى) إقامة محاكم للجوارب. وحطرت مدينة دنك إلى المانية استعمال الأنوال المنتجة لأوضحه المراد. وأغرق السوفلة منحتها. وعارض الرئيس المكسيكي سستانا مد خط السكك الحديدية لمصلحة أصحاب الأعمال. فهدد المؤلف بعدد في مزاي الآلات وفصلها على البشرية. فأى مصير كان مصيرنا لو لم تروشنا الإيجال هذه لبحرنا التي لا تقاوم.

ويقيم الكتاب بمحاولة لتبديد الأوهام القائمة حول نمو الإنتاج، فيبعد مزيا الإنتاج دى الحجم الكبير وعيوبه، كذلك الأمر بشأن مزيا الإنتاج دى الحجم الصغير ونقصانه. وإن كان يجدر من حظورة الطن أن النجاح في إيها ليس له حد. فكل عوامل نجاح وتطور إلى حين. حتى تنتهى دورته ويستنفد قدرته على الاستمرار.. فالصالح الإنسانى هو فى حقيقته أقل من ظاهره... ولعلك ترى الناس فى يومنا هذا يركنون هذه الحقيقة إبان شهودهم للأزمات الاقتصادية. ولكن

## ترك لنا العربان الشعاعن.فى

ملاحق هذا الكتاب، قاموساً بالمصطلحات

الاقتصادية لألفاظ عريها وأنشأها فى مواضعها

الجديدة بما تجعلنا نقدر بعد مائة عام

ما فعلا من أمر يشهد لها





## حسین مؤنس

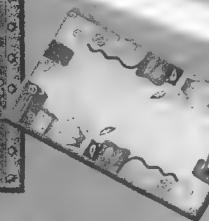
وهذا الفخر بالصعيد وأهله هو في ذاته فخر بانتميم الأفريقي  
 لثقافته وتكوينها، وهو الدليل الناطق على اتصال شعورنا بأفريقيتنا.  
 ولقد سخر الناس من أحد الخدييين. حينما قال إن مصر قطعة من  
 أوروبا لأن ذلك الرمح يحرمهم من موضع أكثر عميق في مؤسهم  
 هو الانتماء إلى تلك القارة المظلومة -أفريقيا.  
 ولقد فرضت الظروف على مصر أن تكون صاحبة النصيب  
 الأكبر في جهاد النهوض بشركائنا في هذه القارة. ولقد قامت  
 بواجبها نحو الوطن الأفريقي على طول التاريخ. قامت به من تلقاء  
 نفسها وبفطرتها التي برأها الله عليها.

ثم يوجه إلى سبيل النجاح بالتوجيه  
 إلى الكفاح والكبح والمثابرة،  
 جعلوا الحياة وصا الحيا  
 لا فخير كذا معاصر  
 يجتأب أجور الألفا  
 فيعطى من ثواب الزواجر  
 ثم يوجه كلامه لمتاب أوله الأمل

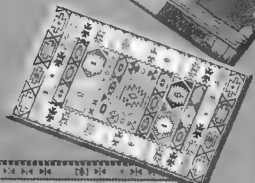
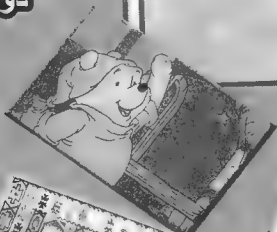
سارية بالقائدة مسرى النيل وغيره لأهله  
تصنعوا وقد جاءه رسالة عام ما يكتب  
إلى أبيه وأخيه...  
لقد كان حافظ ومصرطان من  
جبل من رواد الحضرة المصرية والعربية  
استعمل ما يجيده من أنواع القفون  
لإسنادة مقامه...  
وعاش حافظ ومصرطان من هذا الكتاب

٤١ و صحاح ابن عساکر

سجاد من كل الأنواع  
صالح النجدي



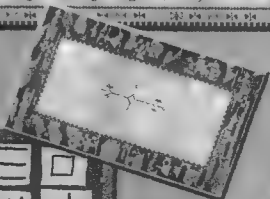
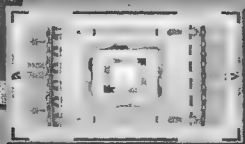
دواسات حمام



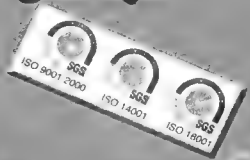
متواجد في مراكز بيع بواقى



قطع موكيت



سجاد أطفال



مدير المنتشرة في كل ارجاء مصر

شرقي

مطبوع

مشايات

لادة صلى

www.maccarini.com

# هل هي حقاً قاطرة التنمية

للكولونيلية والمنفذ لمفاهيم العولمة الأحادية والاتجاه من شمال إلى جنوب ومن غرب إلى شرق

## التحيز للذات السياحية

إن القطاع السياحي أصبح لا ماص منه على خارطة التنمية الاقتصادية والاجتماعية ومكون أساسي في برامج الإصلاح الاقتصادي لدول العالم خاصة النامية منها، وقد حرصت الحكومات على إنشاء وزارات خاصة بهذا القطاع والتعامل معه على أنه «قاطرة للتنمية، (على حد قول الحكومة المصرية)، وهذا

تتناهس دول العالم المتقدم منها والنامى على تبنى القطاع السياحي كقطاع تنموي، وتشير إحصائيات منظمة السياحة العالمية إلى أن القطاع السياحي بالنسبة لـ 4٩ من دول العالم الأقل نموًا هو ثاني القطاعات من حيث الأهمية الاقتصادية بعد النفط. ويساهم القطاع السياحي بحوالي ١٠ من إجمالي الناتج المحلي الإجمالي العالمي وفقًا لتقريريات المجلس العالمي للسياحة والسفر.

بدأ القطاع السياحي في الخمسينيات من القرن الماضي كقطاع مميز أتى بالترفيه والراحة والاستجمام بعد سنوات الحروب الطويلة وتفاقت

من شأنه العمل على إيجاد دوافع اقتصادية لتنشيط البنية التحتية التي تخدم الطاولات والسلاخ على حد سواء، الأمر الذي يساهم مباشرة في تحقيق التنمية الإقليمية وخلق مراكز عمرانية جديدة وتكامله تساعد على استقرار المجتمعات من خلال توفير فرص عمل وتقليل عملية نزوح المجتمعات للمدن التي تعد من أهم أسباب الفقر في العالم، إن القطاع السياحي من القطاعات الخدمية التي مارلت اعتماد بصورة كبيرة على العنصر البشري وبالتالي فهذا القطاع يتميز أكثر من غيره بقدرته على توفير فرص العمل، وتبدل إحصائيات المجلس العالمي للسفر

تحتضن ضفافا وحضارات ومتاحف، إلا أن ما يخفى على الكثيرون أن السياحة الثقافية، أي السياح الذين يرغبون في مشاهدة تلك المعالم بصفة خاصة، لا يزدهرون. وفقًا لإحصائيات منظمة السياحة العالمية، على ١٠ من إجمالي حركه السياحة العالمية. في حين يتحرك مئات الملايين من السياح بحثًا عن الشمس والرحل والبحر والجنس أو ما يعرف بالـ Sun, Sand, Sea +Sex.

من ثم يمكن اعتبار الغالبية العظمى من السياح نموذجًا لظهور آخر من مظاهر التحيز وهي حالة من التحيز للذات المنطقة ولاستهلاك، فتبدلت كينونة

الاهتمام الكبير بقطاع كالقطاع السياحي عادة ما يكون على حساب قطاعات اقتصادية أخرى. والقطاع السياحي على الرغم من مزياه العديدة يعتبر قطاعًا هشًا شديد التحيز، ليس فقط بسبب أحداث عالمية كارتفاع أسعار الوقود والإضراب وكيفية يتأثر بتغيرات أذواق السياح والعلاقات التي تربط شركات السياحة بعضها ببعض، وربما يكون السبب في الإقبال الشديد على السياحة هو ما يوفره القطاع السياحي من أوجهات خرسائية مزيئة وباء والخضرة ويمرقات تملأ موشرا في يفسر من قبل المعنيين على أنه شكل من أشكال النمو والتطور. إن القطاع السياحي قد يبدو وكأنه بمثابة معالج للنمو يجعل ببعض المظاهر التي ترتبط بالتنمية، ولكنه في واقع الأمر لا يمثل التنمية الحقيقية اجتماعية واقتصادية

واقعية. ومما لا شك فيه أن المزايا الاقتصادية للقطاع العمياع وعلى رأسها توفير فرص العمل لتوليد فرص العمل لا يمكن التشكيك فيها. إلا أن التحيز المفرط من قبل الحكومات لهذا القطاع أضفى بالفعل ظاهرة تسترعى الوصف

إن نجاح المقاصد السياحية في القطاع السياحي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بقدرتها على كسب أعداد كبيرة من السياح من الدول المصدرة للسياح. ولكنه تنافس من خلال منتج متشابه، فعلى الرغم من أن الدول تفتخر بكونها

نبته الموقوفة من هنادق ومنتجعات ومرافق ترفيهية مع قطاعات الزراعة والتعبين والصناعة، فينته الدول الغربية وعلى رأسها إسبانيا وأطلقا عليه صناعة بلاذخان، وشاهد هؤلاء الساسة والاقتصاديون بهذه الصناعة التي تولد فرصا لا محدودة للعمل والفرصة، فريدة، على تحريك السلام بين الشعوب والقضاء على الفقر، هذا على الصعيد الاجتماعي. وعلى الصعيد الاقتصادي نطُر للسياحة على أنها السبيل لتنويع مصادر الدخل وإيجاد فرص العمل ودعم ميزان المدفوعات، وأضحى هذا القطاع منذ ذلك العام أحد القطاعات الاقتصادية التي حققت نموًا مطردًا متنام ١٩٥٠ فيما دعا عام ٢٠٠١ نتيجة لأحداث الحادي عشر من سبتمبر.

في عام ٢٠٠١ انتقل دول العالم أكثر من ٨٤٢ مليون سائح انفقوا قرابة ٣٣٥ بليون دولار امريكي (وفقا لإحصائيات منظمة السياحة العالمية)، ويتقل ١٧٥ من هؤلاء السياح داخل حدود المنطقة الحفرافية الواحدة فيما يعرف بحركة السياحة الإقليمية. وبالنسبة للإنفاق السياحية تسير على خط سير الحركات الاستعمارية من الشمال إلى الجنوب ومن العرب إلى الشرق، بخصا من المعنى والقيمة والعدروس الضفوف، المناطق التي تنقسم بالاملاسة، فتأتي المانيا وبريطانيا على رأس الدول التي تصدر السياح إلى المناطق التي تسجل حائلا أعلى معدلات للنمو وهي افريقيا والشرق الاوسط واسيا والباسيفيك. ولذا فإن المدقق في القطاع السياحي لا يمكن إلا أن يلحظ ثمة تشابه بين السياحة من جهة والكولونيلية والعولمة من جهة أخرى، وكان السياحة هي الوجه الآخر

والسياحة على أن قرابة ٧٧ من الأيدي العاملة في العالم تعمل في القطاع السياحي، هذا بالإضافة إلى أن كل فرصة عمل مباشرة في القطاع السياحي توفر حوالي ٣ فرص عمل في قطاعات أخرى تدعم هذا القطاع مثل النقل والتشيد والترفيه وصناعات الأغذية والمشروبات وغيرها ومن ناحية أخرى تجد دول العالم النامية في القطاع السياحي فرصة لا تضاهي من ناحية التنافس في مجال التجارة الدولية خاصة ومع تضاؤل قدراتها على التنافس في المنتجات الصناعية. وتشير إحصائيات منظمة السياحة العالمية لعام ٢٠٠٦ إلى أن السياحة تمثل الآن أكثر من ٢٣ من إجمالي الصادرات الخدمية لدول العالم النامية.

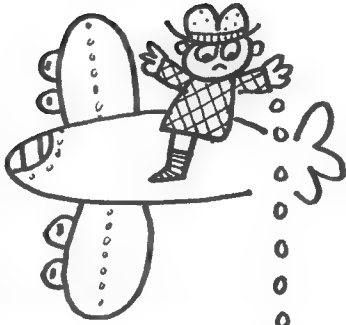
على حد فإن المبررات الاقتصادية لتبني هذا القطاع جلية ولا يمكن إنكارها. ولكن الأمر الذي يستوجب الترفيه وصناعات الأغذية والمشروبات من ناحية التنافس في القطاع السياحي هو حالة من خاضة التحيز في مجال التجارة الدولية خاصة ومع تضاؤل قدراتها على التنافس في المنتجات الصناعية. وتشير إحصائيات منظمة السياحة العالمية لعام ٢٠٠٦ إلى أن السياحة تمثل الآن أكثر من ٢٣ من إجمالي الصادرات الخدمية لدول العالم النامية.

على حد فإن المبررات الاقتصادية لتبني هذا القطاع جلية ولا يمكن إنكارها. ولكن الأمر الذي يستوجب الترفيه وصناعات الأغذية والمشروبات من ناحية التنافس في القطاع السياحي هو حالة من خاضة التحيز في مجال التجارة الدولية خاصة ومع تضاؤل قدراتها على التنافس في المنتجات الصناعية. وتشير إحصائيات منظمة السياحة العالمية لعام ٢٠٠٦ إلى أن السياحة تمثل الآن أكثر من ٢٣ من إجمالي الصادرات الخدمية لدول العالم النامية.

## التحيز ضد الذات المحلية

إن القطاع السياحي كقطاع يمكن أن يساهم بشكل ملحوظ في التنمية الاقتصادية والاجتماعية، أمر لا يمكن التقليل من شأنه وذلك إذا نظرنا إلى الأطروحات التي تناوأت دور السياحة في التنمية من حيث إنها تساهم في القضاء على الفقر وتحفظ استقرار المجتمعات، فمعظم مواقع الجذب السياحي توجد في مناطق غير حضرية، واختيار مثل تلك المواقع لمشروعات التنمية السياحية

## هبة الله مصطفى عبد العزيز



وللقطاع السياحي بدأت منذ فترة طويلة حتى على مستوى المقاطيع، فاصبح المصطلح «سياحي» مرادفاً للتميز. فميزات مثل «القطار السياحي، والخيز السياحي، تعني هي واقع الأمر، «القطار المتميز، والخيز المتميز» (وهناك بطليمة الحال «الأسعار السياحية، والتي تعنى «الأسعار المتميزة، بمعنى «الترجمة»، وهي الأسعار التي تستبعد عامة الشعب). ولعل أحد تجليات حالة التحيز ضد الذات بدا واضحاً عندما أغلقت الجهات الأمنية في مصر الشارع المقابل للمتحف المصري في فترة سابقة بزعم توفير الأمن والحماية للسياح. وكان على المصريين عبور ميدان التحرير من خلال مسيرة

قطاعات اقتصادية أخرى ضد الذات المحلية.

ويلاحظ عدم وجود أي قيود على المشروعات السياحية من ناحية اختيار المواقع والتعامل مع القرى السكنية التي تصادف وجودها في مواقع المشروع. كما تسعى الحكومات في سبيل تخفيض حجم الإنفاق الحكومي إلى تشجيع المستثمرين على توفير البنية التحتية لمشروعاتهم مثل رصف الطرق وإنووير المياه والكهرباء. ومن ثم فإن استمادة المجتمعات الموجودة بالقرب من هذه المشروعات، أن تتمكن من الاحتفاظ بمواقعها الأصلية ولم يتم تهجير سكانها، محدودة حيث إن المستثمر الذي

## و... الخ

يتولى عملية إمدادات طرق وتوفير مياه عادة ما يلتزم بحدود المشروع ولا يجهد دافعا لتوفير البنية التحتية لتلك القرى ويعتبر القطاع السياحي الآن ضمن ثالث قطاع مسئول عن تهجير السكان الأصليين بعد مشروعات المياه والمواصلات. وفي الماضي كانت عمليات التهجير تتم لإتاحة المجال لمشروعات بنية تحتية إلا أن عمليات التهجير تتم الآن لاستبدال مجتمعات مستقرة منتجة بمجتمعات ترفيهية تطلو على سطح المجتمعات. فيستبدل العمران بالعمارات والفارات. ومثل هذا التوجه من قبل الدول التي تسعى إلى أن تجعل من نفسها مقاصد سياحية وهو توجه ينطوي على أشكال عدة من التحيز فكيف يمكن أن يكون الهدف هو تنمية المجتمع في حين أن نتائج مثل هذا التوجه هو إلحاق ضرر واضح يمثل هذه المجتمعات، ولعل حالة جزيرة الأروسة التي يتعرض سكانها للتهجير الآن هي مثال واضح على ذلك وبدلاً من كون السياحة أداة للتنمية نجد أنها في كثير من الأحيان تصحى وسيلة لتعميق الضجوة الأخدة في الاتساع بين الأثرياء والفقراء، وأصبحت هناك حالة ترصد من أجل إنشاء تلك الضجوة وكأنها أحد مكونات الحد السياحي التي يبحث عنها السائح من جانيه. وتسعى الحكومات سواء بقصد أو بغير قصد لتوفيرها من جانب آخر فتجد أن هناك حالة لتخفيف المجتمعات (أي تحويلها إلى متاحف) وتسلب قضايتها.

إن نمط التنمية الشريطي (أي على الشريط الساحلي) من الظواهر التي تسترعى الانتباه، فالتنمية الشريطية التي حدثت في



طويلة، ويلاحظ أن التحيز للقطاع السياحي على حساب الذات المحلية يعنى أن احتمال أن يكون المواطن المصري هو نفسه زائراً للمتحف المصري على سبيل المثال، احتمال غير وارد إن جاذبية القطاع السياحي كقطاع تنموي، لحكومات الدول النامية، مقارنة بغيره من القطاعات الأخرى، تتمثل في كون بنيته التحتية الأساسية متوفرة بصورة تلقائية من شواطئ وأثار وصحارى وحيوانات وطيور، ومن ثم فإن حجم الاستثمار الحكومي المطلوب محدود إلى حد ما. فمستثمرو القطاع الخاص يقبلون حالياً على الاستثمار في القطاع السياحي، والحكومات المختلفة تبتازي في تقديم حزم استثمارية مغرية للقطاع الخاص، منها تقديم أسعار رمزية لاستئجار أو بيع الأراضي السياحية وغيرها من الإعفاءات الضريبية والجمركية. ونلاحظ أن معظم حزم حوافز الاستثمار السياحي لا ترتبط بأي قيود اجتماعية مثل ظاهرة تهجير المجتمعات على سبيل المثال وتشير المنظمات غير الحكومية إلى أن القطاع السياحي هو القطاع الثالث المسئول عن تهجير عدد قطاعي المياه والمواصلات، إلا أن وجه الاختلاف بين هذين القطاعين والقطاع السياحي هو أن القطاع السياحي يستبدل مجتمعات مستقرة تعمل في نشاط اقتصادي معين سواء كان زراعياً أو روائعاً أو صيداً بمجتمع آخر أغنى اقتصادياً منخرط في قطاع اقتصادي آخر هو السياحة. فمشروعات القطاع العذري المختلفة والموجودة في مختلف المقاصد السياحية غالباً ما تؤسس على حساب مجتمعات أخرى وهذه حالة أخرى من حالات التحيز ضد

سياء وهي الساحل الشمالي وعلى ساحل إسبانيا وغيرها كان من شأنها عزل السياحة كقطاع عن المجتمع المحيط بها ومحصنة الكثير من الشواطئ وتغيير البنية الاقتصادية للكثير من المجتمعات التي كانت تعتمد على الصيد مثلاً كشطاب رئيس. ونتاج مثل هذا التوجه التمشي في جنوب سياء واضح، فبدلاً من أن تأتي السياحة كشطاب اقتصادي ينتمي إلى النظام الرأسمالي بما يفترض أنه مواءم لهذا النظام من حرية تعكف وتحرير للمراة وغيرها، نجد، على سبيل المثال، أن أوضاع المراة البدوية بعد دخول القطاع السياحي قد تدهورت، فالتمسكة الشاطئية بكثافتها الخرسانية هي في واقع الأمر «جيتوات» يصعب على المراة اختراقها، في الوقت الذي كانت في يوم من الأيام تستطيع بالهاجم الاقتصادي في إطار النظام البدوي. وبالتالي انفصلت المراة تماماً عن جوهر النشاط الاقتصادي وانعزلت داخل البئر، الذي اصبح بمثابة عالم آخر بعيد اجتماعياً وثقافياً عن العالم، والظاهر.

ومطابق تميز المنظومة السياحية ضد الخلفية الطبيعية (لاندسكيب) أمر جدير بالتفصيل، إذ يلاحظ أن المخططات العامة للمنتجعات السياحية في الدول النامية والمقدمة، على حد سواء، تشابه إلى حد أنه من الصعب التعرف على موقع أي من هذه المنتجعات على الخريطة، إن التحولات التي حدثت في فلسفة الترحال تحولت مست والجوهر والفهم، واصبح من الواجب على الدول التي تريد أن تجعل من القطاع السياحي قطاعاً أساسياً في نشاطها الاقتصادي، وتريد أن تحدد أعداد أكبر من السياح، أن تقوم بعملية معقدة لإعادة تشكيل منتجعاتهم السياحية (بينتهم الثقافية والاجتماعية) بما يتناسب مع متطلبات السائح. وبما أن أكثر من ٨٥٪ من السياح يأتون من أوروبا الشمالية والحريرة بهدف البحث عن الاسترخاء والترفيه وعطشياتهم متشابهة بدرجة كبيرة، فقد أدى هذا إلى تشابه المنتج كجماة سياحية - ملاعب جولف - شواطئ - موانئ لليخوت. وهي دراسة أجرتها منظمة اعتبارات سياحية غير الحكومية إلى التقييمات السياحية التي تصدرها الشركات السياحية تستخدم نفس الصور للدلالة عن منتجعات سياحية في بلدان مختلفة. وبالتالي فالسفر والترحال كاد أن يكون الآن عديم الصلة بالمكان.

والتحيز للاندسكيب الذي تعطيه تلك المقاصد، تلبية لرغبة السياح، من مياه وخضرة، وعلى الرغم من التكلفة المالية والبينية الباهظة بصفة خاصة في الدول الصحراوية إنما هو تأكي مفهوم

التحيز ضد الذات. هارتياض السياحة كالحضرة والاستعداد تصاماً عن اللاندسكيب الصحراوي والتحكم بمكونات ثقافة الآخر. أمر واضح هي تصميم وبناء المجتمعات السياحية المحتلمة. وعلاقة القطاع السياحي بالمياه في الكثير من الدول التي أي مشاكل عديدة للسكان المحليين من حيث كميات المياه المتوفرة لهم. فاستخدام المياه الجوفية بكثرة يؤدي إلى احتلال كمياتها وإلى زيادة نسبة الملوحة فيها وتلوثها بسبب النشع الذي ينتج عن محطات جميع النفايات. وتشير تقارير منظمة الغذاء والزراعة التابعة للأمم المتحدة إلى أن استهلاك السائح في أحد الضانق الأخيرة يصل يومياً إلى قرابة ٢٧٢٠ لترًا من المياه في حين أن متوسط استهلاك الفرد في الدول النامية يصل تقريبا إلى ١٥ لترًا من المياه يومياً. وأشارت نفس المنظمة إلى أن ١٥٠ ألف لتر من المياه

تكفي لزراعة هكتار من الأرز عالي الجودة لمدة ثلاث سنوات. وتكفي كذلك للوفاة بمتطلبات أسرة ريفية خلال نفس الفترة. كما تكفي لإمداد ١٠٠ سائح في أحد الضانق الأخيرة لمدة ٥٥ يوماً بالاستخدام الشخصي للسائح يومياً. يزيد بأكثر من الثلث من استخدام المواطيل المحلي في أي مقصد سياحي. يشير تقرير منظمة الأمم المتحدة للبيئة بأن مساحة ملاعب الجولف، التي تتراوح ما بين ٥٠ إلى ١٥٠ هكتاراً، يتطلب زهاء ١٥ مليون متر مكعب من المياه (نفس كمية المياه التي تستهلكها مدينة يصل تعدادها ١٢٠٠٠ مواطيل). إن الأمثلة على تلك الحالات من التحيز ضد الذات والتحيز للقطاع السياحي عديدة. فمن جانب نجد أن صعيد مصر الذي يسكنه ٢٧٪ من السكان يعيش أكثر من ٧٥٪ منهم تحت خط الفقر على الرغم من كون صعيد مصر يضم أصعب تربة في مصر، وعلى الرغم من أنه انشئت فيه أكبر المصانع لتنظيم الاستدامة من القطاع الزراعي، وعلى الرغم من أنه يضم أهم عناصر الجذب للقطاع السياحي. ومن جانب آخر نجد أن مدينة الشيف التي لا تمتلك مكونات أساسية سواء من ناحية تواجد مجتمع مدني أو مظاهر العمران، يتم التعامل معها الآن وكأنها مقر للحكم. فتقام فيها الصلوات وتتقبل على وجود الوفود. كل هذا ما هو إلا دليل على وجود حالة من التحيز إلى بؤفورة القطاع السياحي من بؤفورة لاندسكيب اجتماعي وعمراني يعتبر هو الفضل من قبل أولى الأمر. والتبرير الذي يساق أحياناً هو أن توفير الأمن أسهل في مدينة مثل شرف الشيخ. ولكن هذا التناقض الاجتماعي والجيوپولتيكي إنما هو استمرار لقرارات حالة التحيز ضد الذات المحلية التي تنتهجها الحكومة.

## الحج المسلماني

يمش قطاع السياحة الجماهيرية حالة دائمة من التحيز للذة والاستهلاك كسبيل الوحيد للحصول إلى معنى الحياة. بل وإعادة اكتشاف الذات وصياغتها. ولذا يتحدث جماهير السياح أن تغيير حياتهم بعد الإجازة، ولذا يمكن أن تعتبر السياحة بمثابة حالة من الحج المسلماني.

فبعد انحصار دور الدين في الغرب وتخلي الكثيرين عن القيام بالحج كأحد المغائر الدينية التي تقصّل ما بين النفس والمقدس كأحد المقوس الحياتية المصالة في الحياة أو كما يبرّ في الأنثروبولوجي بـ Rite de Passage، حلت

السياحة محل الحج في حياة الكثيرين. فالصلطحات الرئيسية المستخدمة في عالم السياحة تشبه تلك المستخدمة في الحج. وخذ على سبيل المثال مصطلح الإجازة Holiday. فترجمتها الحرفية هي «الأيام المقدسة» لأن الذهاب للحج كان هو البر الوحيد للقيام بالإجازة. والصلطح الآخر المستخدم أيضاً «ريوتيج» Re-creation الذي يعني حرفياً «إعادة الخلق» أي إعادة خلق الذات.

ورتياب حركة السفر والسياحة في شكلها الحالي بالمقدس وبالسفر إلى المركز Center في محاولة لإعادة الخلق تشبه إلى حد كبير ظاهرة الحج، وفردات تشبه الطواهر تكاد تكون متشابهة من ناحية التجرد من الثياب البدوية إلى حد ما وتواجد المياه ومرحلة Limitality الاحدية حيث تسقط الحدود ويتصرف الفرد وفقاً لنسق قبلي واثق. وحدود. إن أوضح مثال على هذا هو تصرف مرتادي شواطئ العراة على سبيل المثال، حيث يضي النمط القبلي المنظم لتصرفات تلك المجموعات يمل عليهم أن يكونوا عراة على الشاطئ، ويصبح ارتداء الملابس العادية أو حتى لباس البحر أمراً غير مقبول تماماً. وحدود هذا المكان تكاد تكون حدواً وهمية يفصل الشاطئ عن الرصيف المجاور له. وبالأحد كيف يرتدي المرتاد أماكن العراة ملابس كاملة ليشرى قطعة من الأبريس كبري يفصله عنها أمتار معدودة أو أنها خارج إطار هذا الحد. فهو حين يخرج من حدود مكانه المقدس، يخلع ملابس الأحرار (عراة) ويرتدي ملابس العادية، وترتبط فكرة الحدود والمركز والمقدس مع ظاهرة عدة تحيط بنا مثل الموالد على سبيل المثال.

إن الأصل في الترحال هو السفر والتنقل من أجل التعرف على ثقافات الآخر، من أجل اكتشاف أماكن وثقافات تعمل على إثراء الفرد. ويرتبط تاريخ حركة السفر والسياحة بما يعرف بالرحلة الكبرى - Grand Tour والتي بدأت في القرن السادس عشر وكانت عبارة عن رحلة يقوم بها ارستقراطيو أوروبا من المفقزين والشباب، وخاصة من بريطانيا، إلى إيطاليا واليونان للتعرف على الثقافات والفنون وللحصول على العلم. وكان مرقادو الرحلة الكبرى هم أول من أطلق عليهم مصطلح «سائح». وكما كان السفر من أجل الحج من أهم مبررات حركة السفر الخلال تلك الفترة.

في الوقت الحالي نجد أن دوافع السفر أصبحت ذاتة وكلها مرتبطة بفكرة الهروب من الحدود سواء كانت تلك الحدود طبعية أو حدوداً أخلاقية واجتماعية - وليس لها أي علاقة بالمجتمع المحيط أو بدولة المقصد. فأليات اختيار المقصد أصبحت

القطاع السياحي  
يبدو وكأنه بمثابة  
مفاعل للنمو  
لكنه في واقع الأمر  
لا يمثل  
تسمية حقيقية



# كتاب الزاوية



## مصر والبحر الأبيض

### حسين مؤنس

خطر ببالي أن هذا السؤال قد يثير في ذهن القارئ سؤالاً أساسياً في دراستنا هذه: أنحن من الشرق أم من الغرب؟  
إن المفهوم الشائع أننا من الشرق، بل إننا درجنا في السنوات الأخيرة على أن نعتبر ذلك جزءاً من كياننا الذي يقرر مصائرنا، ورسماً جانبياً كبيراً من سياستنا على ذلك الأساس، واعتبرنا أنفسنا ممتئين للشرق، فإذا قيل: الشرق، صفت أذنانا وقلوبنا، والواقع أن ذلك الوضع في الشرق ليس «طبيعياً» بالدرجة التي نتصور. ولم يكن هو وضعنا دائماً على مدار التاريخ، وحضارتنا - إلى ما قبل الفتح العربي - لم تكن شرقية، واتجاهنا - من مطالع العصر الحديث - ليس اتجاهاً شرقياً خالصاً.

ونحب الآن أن نعضي مع حضارة مصر الأصلية، حضارتها قبل الرومان واليونان، لنرى أين تضعها هذه الحضارة، وإلى أي الحابيين تميل بها. إذا أنت تأملت آثار مصر القديمة لاحظت أنها تميل في روحها ودلالاتها عن المتعارف عليه من طبائع الشرق القديم المعروف، فإن مجتمع الشرق قام على أساس إبعاد المرأة عن الحياة العامة، واعتبارها جزءاً من البيت لا جزءاً من الحياة، وقام على أساس السماح للرجل بالاستكثار من النساء كما يستكثر الناس من المتاع، وفي مصر القديمة لم يقلع هذا إلا كبار الأغنياء، وهم يطمونوه في كل مكان وزمان.

الاستغلال تسعى لكي تتم محاكمة السياح المتورطين في عمليات الاستغلال الجنسي عند العودة إلى بلدانهم، ولعل هذا استمراراً لمفهوم الحدود حيث يرتبط النسق القيمي بالبحر الذي تحده مثل تلك الحدود - فما هو مقبول على الشاطئ لا يقبل في الداخل، وما هو غير مقبول في الوطن يعتبر مقبولاً في المقصد السياحي، وتبرير مثل هذه الأوضاع إنما هو تأكيد لفكرة التحيز للذات وللذة والاستهلاك، هالدة التي يشعر بها بعض السياح من جراء الاستغلال الجنسي للأطفال مشروعة لأنها لفعية وتتم وفقاً لقوانين استهلاكية، تخضع لديه سلعة وأخر لديه مادة يمكن توظيفها لشراء هذه السلعة في حالة غياب أي قوانين منظمة لعملية التبادل التجاري هذه.

ولا تقتصر عملية التسلسل على العلاقات الجنسية، فهناك أيضاً ضيوع طائفة التسلسل الثقافي، ففي القطاع النادى (بعض النظر عن أصالتها) إلى بعض قطع من حائط سور برلين التي يشتريها السياح الآن ليزينوا بها غرف العيش، وتجارب الموت والزفاف والخيلاء كلها يمكن أن يعاد تمثيلها في المكان والوعد المناسب للمجموعات السياحية.



هناك أشكال مختلفة من التحيز التي تلعب بوضوح في محيط القطاع السياحي، تحيز من جانب السياح للذة والاستهلاك تنفد معه المجتمعات ثقافتها وتعرض كل شيء للبيع، وتحيز من جانب الحكومات للقطاع الذي يضيء صيغة الحداثة على المدن والقرى وتعمل على استبدال القرى بمشاكلها المختلفة ومجتمعاتها بقرى سياحية ومجتمعات أخرى مؤقتة تنهت بالفجوة الثقافية والحضارية، وتلتقط الصور للظاهرة التي تسير أميالاً من أجل جرة مياه، ولكن لا ينبغي أن يفهم من هذا الطرح أن القطاع السياحي لا يقدم شيئاً للمجتمعات التي يعمل من خلالها، فعلى المستوى البرجماتي ما يوفره هذا القطاع من فرص عمل بحكم كونه يعتمد على الأيدي العاملة بصورة أكبر من أي قطاع آخر، يعتبر مساهمة فعالة في تحسين مستوى معيشة الأفراد وفي المساهمة بصورة إيجابية في التعامل مع بعض المشاكل المزمنة في اقتصاديات الدول النامية، ولكن يجب أن ندرك حسابات المكسب والخسارة، وهل ما تجنيه دولة من قطاع السياحة يفوق ما تخسره بسببها؟

غالباً ما يتم من خلال الكتيبات السياحية التي تصدرها شركات السياحة المنظمة للرحلات والتي تنطوي على صور تبصر عن وجود السائح في المكان وفي أوضاع معينة تغطي انطبعا عن حالات نفسية معينة معطسها مرتسب بالآسرخاء أو بالعلاقات الجنسية والعاطفية وغيرها، وإذا ما تأملنا نوعية الصور المتضمنة سواء في تلك الكتيبات أو على الإنترنت لا تسم أي إشارة إلى السكان المحليين (إلا باعتبارهم جرسونات أو واقصات أو شيئاً، فلكلوريا تعاد صياغته وتعليبه حتى يصبح مصدراً لمتعة السائح ولذته).

ولقد تجلت حالة التحيز للذات السياحية في تحول جموع السياح في حد ذاتهم إلى أحد أشكال المجتمعات المؤقتة. فقد لاحظ الأهلالي المحليون في مدينة دهب أن السياح يرتدون أشكالاً معينة من الأساور والقلايدات المصنوعة من الخيط والتي يقوم السياح بشرائها من كل مقصد سياحي يزورونه، فبدلت فتيات القرية تمثّل مبيعاتها المصدر الرئيس لدخل الأسرة في مدينة دهب، ومن ثم نجد أن التذكارات السياحية التي كان من المفروض أن تعبر عن المكان والثقافة التي يزورها السائح تصبح تذكارات ترمز إلى تلك الحالة من الثقافة المؤقتة التي يبتدعها ويعيشها السائح أثناء ترحاله. السياحية على حساب الذات المحلية ارتباط القطاع السياحي بالاستغلال الجنسي للأطفال، فقد ذكر تقرير صدر مؤخراً عن منظمة اليونيسيف (ديسمبر ٢٠٠٦) أن هناك أكثر من ١٥٠٠ طفل على السواحل الكينية متورطون في علاقات جنسية بصورة يومية مع السياح، كما أن هناك أكثر من ١٥٠٠٠ فتاة متورطة أيضاً بشكل روتيني في سياحة الجنس، هذا ويشير التقرير إلى أن هؤلاء الأطفال يضطرون إلى إقامة علاقات جنسية مع العاملين في الفنادق حتى يسمحوا لهم بالدخول إلى الفنادق لمزاولة «عملهم»، وتجد أن جنسيات ممثل الألمان والإيطاليين والسويسريين يسعون بشكل حيث إقامة علاقات جنسية مع أطفال أو مع فتيات تحت السن القانونية، وهذا فضلاً عن الكيبين أنفسهم، والمثير للفرابة أن حوالي ٧٥٪ ممن تضمنتهم الدراسة لم يسجلوا أي اعتراض على فكرة إخراج الأطفال إلى الجنس، ولا تقتصر مثل تلك الحالات على كينيا ولكن نعانى منطقة جنوب شرق آسيا مثل سريلانكا وتايلاند من نفس تلك الظواهر، وما زالت منظمات مثل إيكبات ECPAT التي تناهض هذا



■ يمكن فهم مقولات عدد كبير من باكورة مفكرى الحدادنة وعلى رأسهم سينوزا وتوماس هوز. فكل من سينوزا Theological Political Treatise هويز في Leviahan تحدثا عن أهمية تقليص الدين في المجال الخاص بكل فرد وعدم تجميعه في الحياة العامة لسبب رئيسي ألا وهو أن الإيمان بالدين أيا كان يستند في الاصل إلى الإيمان بمعجزة متجاوزة للتاريخ. ومن ثم فلا يستطيع الدين أن يؤسس لنظرية معرفية وميتافيزيقية يمكن على أساسها قيام نظرية لحل إشكالية المعنى سواء في إطار العلوم الاجتماعية أو الطبيعية. إذاً فالإشكال الأساسي الذي تواجهه الحدادنة مع الدين ينبع من ارتباطه بلحظة محددة تدخل فيها معجزة متجاوزة (transcendent) للتاريخ. والتاريخ - حسب تصور كاتب هذا المقال وغيره من الباحثين- الواقع الكاس (immanent) للإنسان بعديته الزماني والمكان، فالمعجزة المتجاوزة للتاريخ تحدث نوعا من الاضطراب في نسق هذا الواقع الكاس. بناء على هذا الاضطراب (أو الخرق لكون الواقع التاريخي) يؤمن الناس بالوحي أو بكلمة الله كما أثرت في اللحظة التاريخية التي حدث فيها هذا الاضطراب نتيجة لتأثرهم بهذه المعجزة. وعلى هذا لا يمكن أن يؤسس هذا الإيمان لتصوير شامل عن الحياة في المجال العام، كما لا يمكن أن يؤسس لنظرية معرفية تسعى عليها نظرية متكاملة في المعنى والدلالة. إذاً إشكالية الحدادنة مع الدين كأطار مرجعي تكمن في بعدين: أولهما البعد التاريخي وثانيهما البعد المتصل بإشكالية المعنى والدلالة أي البعد الهرمونيقي أو التأويلي

في سوء ما تقدم سيجاول هذا المقال أن يوضح ثلاثة عناصر: أولاً: أن البعد الأنثروبولوجي أو سؤال ما هو الإنسان، ومن ثم ماهية إنسانية هذا الإنسان هو المحتاج الأساسي لحل هذه الإشكالية ثانياً: أن سؤال الإنسانية مرتبط في الإطار الديني بسؤال النبوة وماهيتها ارتباطاً جذرياً ثالثاً: أن طبيعة اللاه كدين ومعجزته اللغوية المتمثلة في القرآن وطبيعة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، إذاً، همت على مستوى عميق، قادره على تجاوز الإشكالية التي سبق الإشارة إليها

## بين الإسلام والنسبية

# سؤال الإنسانية!

أحمد عبد الجيد

## الوجود الإنساني أو بشكل أدق إنسانية الإنسان دائماً تتجلى في مساحة الربط بين الجانب السببي الحتمي من العالم والمتمثل في الطبيعة وقوانينها السببية من جهة. ومن جهة أخرى قدرة العقل والفكر الإنساني على تجاوز هذه الحتمية

المفسر ظل سؤال الإنسانية مرتبطاً بشأنية الصورة والعقل (العقل من خلال تعريف كانط وأفلامون له باعتبارها الملكة الإنسانية والمجال الذي تتولد فيه أفكار متجاوزة للحتميات السببية التي تحكم العالم الطبيعي).

على خلفية هذه المقدمة الموجزة نستطيع أن نمضي قدماً إلى بعض الملاحظات عن تبلور تلك الإشكالية وصياغاتها المختلفة منذ ظهور الحداثة، والتي أوجع ظهورها بظهور الذاتية عند ديكارت. هذا العرص بالطبع لن يحل من احتمالية الاختلال، ولكن العذر الوحيد هو تحقيق الهدف الأهم وهو توضيح الفكرة.

لنبداً مع ديكارت وأهم أعماله على الإطلاق، تأملت في الفلسفة الأولى، لاحظ ديكارت في «تأمل السادس»، هناك هذه مسابقة بين تصور عن ماهية الذات بأنها ذات عاقلة مفكرة وبين الجسد، هينما لا يستطيع أحد أن ينكر الذات العاقلة بالبعد، يبدو كل منهما وكأنه جزيرة منفصلة، يجسد باعتباره موجوداً فزيقياً يتأثر بقوانين المادة ومن ثم يخضع لحتميات الطبيعة. أما العقل بالحركة عن الإرادة والكمال يتجاوز هذا الإطار الطبيعي الحتمي. من هنا نستنتج أن إشكالية الربط بين عالم الضرورة وعالم العقل بأفكاره المتجاوزة كانت هي بالتحديد أحد أهم إشكاليات قصة الذاتية. ومن ثم قضية ماهية الإنسان هي عقلانية ديكارت. تراجع الفكر الفلسفي بعد ديكارت ومع ظهور هوبز وسبينوزا نحو الفيزيقي الآخر هفرك كل منهما في شكلين مختلفين من الحولوية المادية، نفس الإشكالات ظهر مع المثالية الألمانية خاصة مع هيجل والذي سيطر في حولية ذاتية عقلانية "إذن فإشكالية العلاقة بين عالم الضرورة الطبيعية أدي دائماً إلى الاختلال نحو الحولوية المادية، التمرکز حول الذات العاقلة المتجاوزة. ومن ثم وبدلاً من حل الإشكالية يتم تجنبه أو طمسه واختزال الحتمية من جانب من

تجاوز هذه الحتمية من خلال أفكار عن الحرية، الإرادة الحرة، الواحد والكثير. الإله الخالق... إلخ. وبالرغم من تباعد الأفكار وتباعدتها من العصر الكلاسيكي الإغريقي وحتى العصر الحديث فإن القارئ المداق لتاريخ الفلسفة الحديثة يلاحظ أن هذه الإشكالية ظلت تشكل أو باخر تسير على أغلب النظم والبناءات الفلسفية التي حاولت التعامل مع قضية الإنسانية إما في إطار سؤال الماهية والجوهر (كما اعتادت الفلسفة الوسطية أن تفعل) وإما في إطار إشكالية الذاتية التي طغت على مشروع الحداثة منذ ظهور الكوجيتو (Cogito) الديكارتي مروراً بالتجريبية الأنجلية مع المثالية الألمانية وأخيراً التحول إلى ذات في الفلسفة الفيزيقي مع نيتشه والذي لم يصب ظهور الفينومينولوجيا مع هوسرل وتحولها نحو الهرمونوطيقا الوجودية مع هيدغر.

ولكن قبل الانتقال إلى هذه الإشكالية في الحداثة سأحاول أن أضع مالا أقصد بالصيغ بأن الوجود الإنساني يقع دائماً في المساحة ما بين حتمية القوانين الطبيعية ومجال الأفكار العقلية الحرة، إذ أخذنا بتصرف هيدغر في بداية عمله الأهم الوجود والزمن أن الإنسان بطبيعته كان تأويلي وأنه يتعامل مع الأشياء والعالم من حوله دائماً في إطار تأويلي. فإذنا نلاحظ أن الإشكالية التي دائماً واجهت الفكر الإنساني هي إدراكه أنه الكائن الوحيد الذي يستطيع أن يفرق بين حتميات الطبيعة من جهة وإطارها السببي وأفكاره المتجاوزة لهذه الحتمية والصورة الفيزيقي من جهة أخرى. من ثم فإن الوجود الإنساني إذا كان تأويلي كما قال هيدغر فإنه كذلك في إطار ربطه بين هذين العالمين أو الجانبين من حقيقة العالم، الإنسان إذ هو الموجود الوحيد الذي يربط بين هذين الجانبين من طبيعة العالم، وطبيعة الإنسان ذاته طبيعة هاتين الطبيعتين، فيعبر بحدوث كل منا أن الجانب الجسدي المادي هو وجوده يتأثر بحتميات الطبيعة الطبيعية، وقوانينها الفيزيقي، فإن في الوقت ذاته يلاحظ أن عنده أفكاراً عن إرادته الحرة وعن خالق أو كائن مطلق يتجاوز هذا العالم الفيزيقي كما لاحظ كل من ديكارت وكانط، إذا فمن بداية التفكير

المشروع الحداثي مع الدين يكمن في حل إشكالية تصوره عن الإنسانية. إن التصورات الفلسفية المختلفة عن مفهوم الإنسانية، وإن كانت قد تباينت ديباساً كبيراً عبر تاريخ الفلسفة، إلا أن هناك إشكالية تكاد تكون ثابتة وتلقى بظلالها متى وحسبما أثير سؤال الإنسانية. لهذا فلتراجع معاً إلى أحد أهم وأكثر الحوارات الأفلاطونية أهمية والتي كان له تأثير واسع على الثقافة الغربية والفلسفة الإسلامية هي المصير الوسطي: حوار الطيسيماسوس (Timaeus)، في هذا الحوار يطرح أفلاطون نظريته الشهيرة شديدة التركيب في حدوث العالم يقسمه أفلاطون خلق العالم إلى طوبين: خلق العالم كما اقتضت الضرورة وخلق العالم كما اقتضاه العقل. في هذا السياق وبدون الخوض في التفاصيل المركبة لعملية الخلق كما تصورها أفلاطون فإن ما يمتني هو المقابلة بين صورة الخلق ونظام الكون كما يتجلى من خلال كل من الضرورة الطبيعية وسبب السببية الذي يوجه بهار بناء النظرية الفيزيقي لتعلم من جهة، ومن جهة أخرى العالم كما يدركه ويتعامل معه العقل من خلال أفكاره المتجاوزة لهذه الضروريات والحتميات فكتفرت عن الواحد والكثير والإرادة والتحير والتصيير... إلخ.

اللائق للانتباه أن أفلاطون قد اختار لظهور الوجود الإنساني موقعاً وسطياً بين هاتين الصورتين، وإن شئت جانيين من طبيعة العالم، وإذا كان حكم الأفلاطونية الحديثة العظيم برقلس قد أكد في تعليقه الكبير على الطيسيماس أن ما يعنى أفلاطون في هذا الحوار ليس هو خلق العالم على المستوى الفيزيقي وإنما ما يعنيه هو طبيعة هذا العالم كما يتجلى للفكر الإنساني فإن هذا يقودنا إلى الإشكالية التي أكتبت أنها قديمة قدم الفكر الفلسفي فيما يتعلق بسؤال الإنسانية، إن الوجود الإنساني أو بشكل أدق إنسانية الإنسان دائماً تتجلى في مساحة الربط بين الجانب السببي الحتمي من العالم والمتمثل في الطبيعة وقوانينها السببية من جهة. ومن جهة أخرى قدرة العقل والفكر الإنساني على

### البعد الأنثروبولوجي في المعرفة

### والوجود في تاريخ الفلسفة

بغض النظر عن موقع ومركز الإنسان في أية فلسفة قديمة كانت أو حديثة فإن هم وتصور الإنسانية دائماً ما لعب الدور الأساسي في تكوين المناظير المختلفة لهذا النظام الفلسفي في مختلف القضايا الأساسية التي يتعامل معها. لنأخذ الفلسفة الأرسطية كمثال أي قارئ مدقق لكتاب اللام (الأمدا) في الميتافيزيقا لأرسطو - والذي كان ابن رشد على حق في اعتباره نهاية وخلاصة إلهيات أرسطو في تعليقاته على كتاب اللام - في شروحه الكبرى على ما بعد أرسطو له بأنه المحرك غير المتحرك، بيانه عقل ومعقول في ذات الوقت، إنما جاء لأن هذه هي أفضل صورة يمكن تخيلها عن الذات المطلقة لأنها الهسي ما يمكن تخيله، بالنسبة لأرسطو. من ماهية المطلق بناءً على تصوره من ماهية أرفع وأنبل الموجودات ألا وهو الإنسان. وبالرغم من اختلاف التصور عن الإنسان والإنسانية في خلال التحول من سؤال الحداثة في الفلسفة الأرسطية والأسكولاستية إلى سؤال الذات ودورها في التجربة مع نهاية الفلسفة الحديثة عند ديكارت، إلا أن سؤال الذات-دم من سؤال الإنسانية ظل هو السؤال المحوري على هذا فقد لاحظ هوسرل في (أزمة العلوم الأوروبية Crisis of the European Sciences) أن إشكالية الذاتية (subjectivity) هي لب مشكلة الحداثة. وعلى هذا فقد قال في مقدمة الكتاب أن إشكالية العلوم الأوروبية الحديثة هي في حقيقة الأمر إشكالية الإنسانية الأوروبية. في ضوء هذه المركزية لسؤال الإنسانية يمكننا أن نعود إلى إشكالية السؤال الديني بتعبير التحريضي والهرمونوطيقي. يمكن القول أن سؤال الذاتية هو السؤال المركزي لحداثة منذ ظهور ديكارت حتى الآن. وعلى هذا فإن الإشكالية التحريضية والهرمونوطيقي للدين تتصلان اتصالاً أساسياً ومحورياً بتصور الإنسانية والذاتية في الحداثة. وعلى هذا أيضاً فإن التوصل لحل أزمة

جوانبه أي كان الإطار المعرفي الذي يتم من خلاله هذا الاختزال.

التقليد الوحيد من وجهة نظري في الفكر العربي الذي حاول التعامل مع إشكالية التفاني الكونية في إطار حله لسؤال الإنسانانية هو المذهب الترانسندنتالي والذي أسس له إيمانويل كانط وهي رأي الشخص اكمل عليه و صاف إليه بعده لوجوده كل من هوسرل وهيديجر في المرحلة الأولى من حياته قبل تحوله في عام ١٩٣٠ .



لنقف لوهله مع كانط والفلسفة الترانسندنتالية، يشرح كانط بين مجالين مختلفين: المجال الترانسندنتالي (Transcendental) والذي تختص به ملكية الفهم (Verstand-Understanding) والمجال الترانسندنت (Transcendent) والذي يختص به العقل (Vernunft-Reason). المجال الأول يتعلق بشروط التجربة بالنسبة لأي كائن عاقل في الإطار المعرفي (٣) من هذه الشروط على سبيل المثال لا الحصر مفهوم السببية فكل كائن عاقل لا يفهم ويبني العلاقات بين الظواهر المختلفة المعطاة له من خلال البعد الزماني والكمي بناء على مفهوم السببية. ومن ثم هذه المفاهيم هي معاهيم بنيوية يتم في إطارها ومن خلال التجربة الموضوعية فقط وليس قبل التجربة بناء العلاقات بين الظواهر المختلفة من خلال العلاقة المتبادلة بين الدات والموضوع. أما المجال الثاني فهو المجال المتجاوز للتجربة الموضوعية والنظرية ويشمل كل المفاهيم والأفكار التي لا يمكن اختبارها أو تأصيلها في إطار التجربة الكامنة في هذا العالم (أي تجربة كل ما هو محدود في إطار الزمن والمكان) مثل فكرة الدات الإلهية المطلقة والإرادة . إلخ . وعلى هذا فقد جاء أول كتابين في الثلاثية الفلسفية لكانط: نقد العقل الخالص ونقد العقل العملي للتعامل مع هذين المجالين. فالأول يتعامل مع شروط المعرفة السطرية لأي كائن عاقل في إطار التحري الموضوعية ومن ثم فهو يؤسس لاصول النظرية المعرفية العلمية فيما يخص بكل الظواهر الكامنة في العالم والتي لا يمكن تصورها إلا من خلال معدى الزمن والمكان. أما الثاني فهو يتعامل مع معاهيم العقل وياتحديد مفهوم الحكم الذاتي للإرادة. الله.

الحرية. والتي تمثل بالنسبة لكانط حجر الزاوية بالنسبة لسؤال الأخلاق لأي كائن عاقل في إطار تعامله مع أي كائن عاقل آخر مثله.

لكن كانط أدرك أن هذين العالمين والذين مثلاً بالنسبة له ثوابت في تصور العالم بالنسبة لأي كائن عاقل لا يكفيان لفهم فعلية الوجود الإنساني كما يحدث ويتحقق في الحياة اليومية. من ثم كتب كانط ثالث وأهم أعماله بشهادة كل من الألبه والمثالية الألمانية فيشته وتلميذ كانط راند رايتهالها: نقد الحكم.

في مقدمة هذا العمل يعترف كانط بأن المجال الترانسندنتالي النظري الذي يحوي المفاهيم النبوية التي من خلالها

يمكن لمسئلت أن تتفاعل مع ال كون المحيط بها كمجموع ما نستقبله من ظواهر حسية يتم تركيبها في إطار البعد الزماني والمكاني ومجال العقل المتجاوز الذي يؤسس للأخلاق الإنسانية يبدون وكأنهما جزيرتان منفصلتان. وهكذا

جاءت فكرة الحكم عند كانط الذي يقول في مقدمة نقد الحكم أن فعلية الوجود الإنساني تتحقق في الحكم. أي لحظة تحديد المعنى. ومفتاح نظرية المعنى التي يمكن استنباطها من خلال قراءة تحليل كانط للحكم. مع مفهوم كانط عن دور الخيال (الرغم من أن كثيرين من دارسي كانط وقوا في خطأ عدم التمييز بين دور الخيال عند كانط في نقد العقل الخالص ودوره في نقد الحكم فإن عدداً من الدراسات بدأت في تغيير هذا التصور (اختزالاً). ودور الخيال في نقد العقل الخالص. كما هو هي أرسطو. دور



تجميعه (synthetic). بمعنى أن دور الخيال يتصور حول تجميع وتركيب ما تستقبله الحواس من ظواهر تعرضها من خلال بعدي الزمان والمكان. أما دور الخيال في نقد الحكم (كما لاحظ عدد من الدارسين منهم رودلف ماكيريل في Imagination and interpretation in Kant: the Hermeneutical import of the Critique of Judgment) فهو دور هرمونوتيقي. ملخص هذا الدور كما يلي يستطيع الخيال من خلال الوجهة العامة التي تصدها أفكار العقل المتجاوز والتي هي من صميم المتجاوز الداخلي (inner transcendence) (٤) لأي كائن عاقل. وخاصة فكرة الله ككائن

مطلق أن يفسر هذه المعاني التي تؤسس لقواعد الفعل الأخلاقي في كل ما يتم التعامل معه من ظواهر فيزيقية تخضع لقوانين الطبيعة الحتمية دون أن يطغى جانب على الآخر. وهكذا يأتى الخيال عند كانط لينسجد الإنسانية من

اختزالها في إطار الحتمية الطبيعية المادية أو إطار الحولية العقلية مثل ما فعل هيجل. فالوجود الإنساني يتحقق في قدرتنا على إبداع المعنى. وهذا المعنى لا يمكن أن يتحقق إلا من خلال دور الخيال في الربط بين فكرة الألوهية وتفسيرها في حتميات الطبيعة. إلا أن هذه الفكرة في حد ذاتها بحاجة إلى إيضاحات كثيرة. فكيف تحدث لحظة تكوين المعنى هذه؟ وإذا كان هذا هو أساس إنسانية الإنسان (كما قال كانط) ومن ثم فهو أساس الحس العام (sensus communis) وبالتالي فهو الذي يضع أساس الاتصال

في إطار الاجتماع البشري إلى أي مدى يرتبط هذا بسؤال التاريخ وإلى أي مدى يمكن أن يقدم الرد على هذه الأسئلة امتداداً وطوراً لفلسفة كانط يتجاوز فكرة تجميعه أو الترانسندنتالية البرجماتية التي يعتبرها البعض أهم تطوير لفلسفة كانط الأخلاقية بالرغم من تعاضد كانط وإشكالية الميتافيزيقا كما يصرح بها هيرمان نفسه؟ في هذا الإطار يمكن أن نتحول إلى هيديجر في الوجود والزمن وكانط وإشكالية الميتافيزيقا لتجد بعض الخيوط التي يمكن أن تحل هذه الأسئلة. سنجد أن فكرة هيديجر عن محدودة الوجود الإنساني والتي أكد في الميتافيزيقا كانط وإشكالية الميتافيزيقا أنها تؤسس للتجاوز الداخلي في الوجود الإنساني ومن ثم تؤسس لوجود الخيوط التي هي حياة الإنسان يمكن أن تأخذ كأساس لإعطاء تأصيل وجودي لرؤية كانط عن تحقق إنسانية الإنسان في فضاء تكوين المعنى.



وهكذا فسأدا كمان المشروعة الترانسندنتالي لكانط هو المخرج من أزمة الإنسانية والحداثة والسيول لتجنب الوقوع في الحولية المادية أو العقلية فإن هذا يعني أن المخرج من أزمة الإنسانية هي الحداثة أو استرجاع أو بمعنى آخر إعادة استئناف الحياة المتجاوز الداخلي لذات بالتحديد فيما يخص بفكرة الألوهية والتي لا يمكن أن يتحقق بدونها المعنى ومن ثم الوجود الإنساني ذاته. كما وصفناه. وهكذا فإن حل إشكالية الإنسانية للحداثة هو بشكل أو بآخر بحث عن انثروبولوجيا فلسفية جديدة تستطيع أن تؤسس لنظرية جديدة في المعنى لتستوعب دور المتجاوز الداخلي لذات وتواصله في الفكرة الجامعة عن الذات الإلهية ككائن متجاوز مطلق والقدرة والخبرة وفي ذات الوقت تستطيع أن تصير كيف يمكن أن تتجلى لحظة تكوين المعنى هذه في أشكال مختلفة ولكن بنفس الأصالة في السياقات التاريخية المختلفة.

عند هذا الحد يمكن التحول إلى سؤال الإنسانية وعلاقتها بمفهوم الألوهية في الإسلام. في هذه الجزء سأحاول أن أوضح كيف أن فكرة الألوهية في الإسلام دون أي فكرة مشابهة في أي دين أخرى يمكن أن تمثل حلاً لأزمة مفهوم الإنسانية والوجود الإنساني كما أظهر تحليلنا لفكرة الإنسانية في تاريخ

## معجزة الإسلام إذاً ليست فقط

في القرآن ولكن في طبيعة هذا النص وعلاقتها بمحمد الإنسان العادي. وهكذا يمكن أن يفهم المعنى الأعظم لمعجزة القرآن اللغوية ومعنى السنة في الإسلام



المفلسة وكما حاولنا أن نفرض حلاً لها من خلال دمج الفلسفة الأنثروبولوجية لتكامل وهيديجر.

## النبوة والإنسانية في الفكر الديني

بدون الرجوع لأي نظرية بعينها عن فكرة النبوة سأحاول أن أقدم تصوراً بسيطاً عن دلالة معنى النبوة وأربطه بمفهوم الوجود الإنساني كما تم طرحه فيما تقدم بشكل موجز وبسيط. النبوة باختصار يمكن تعريفها بأنها تقاطع المتجاوز للخلق مع الجمالي الكامن تاريخياً (أقصد بـالجمالي أو الاستطاعي كل ما يهيم في إطار الزمان والمكان). فالنبوة هي لحظة تلاقي مفهوم الله الكائن المنزه عن حدود الزمان والمكان من جهة ومن جهة أخرى الواقع التاريخي الذي هو مجموع الحياة الإنسانية بما يحويه من سياقات ومفاهيم يخضع أغلبها لقوانين المادة والطبيعة والأخر لمسيحات وظروف الاجتماع البشري.

وهكذا تأتي النبوة كتمثيل لمعنى تقاطع كلمة الله باعتباره المطلق المتجاوز للتاريخ مع الكون التاريخي، وتجلي هذا التقاطع هو تفسير معنى كلمة الله في الواقع أو الكون التاريخي بمعديه الزماني والمكاني. ولكن ليس هذا عين ما كنا نقول عن إشكالية الإنسان من حيث إن الإنسان يدرك أنه الكائن الذي لا يخضع تماماً لتحديدات الطبيعة ولا يتجاوزها تماماً أيضاً؟ إذن فالنبوة بشكل أو بآخر هي تجلي معنى النبوة في كمالها. فهي اللحظة التي يتحول فيها مفهوم الألوهي من فكرة في إطار التجاوز الداخلي للإنسان إلى تجاوز حقيقي لتلكم التاريخي في شكل الوحي الإلهي. وهكذا، ولكن نريد حديثنا عن النبوة بملاحظتنا السابقة عن إنسانية الإنسان يمكن أن نقول أن كل لحظة نبوة كل لحظة إنسانية كاملة هي الأساس إنما هي في جوهرها تجل لمعنى كلمة الله المتجاوزة للتاريخ في هذه اللحظة التاريخية المحددة.

لكننا إذا نظرنا إلى الأديان الثلاثة وارتباطهم بشكل عام نجد أن معنى كلمة الله في حياة كل نبى ارتبط في تأكيد معجزة متجاوزة للتاريخ. السؤال هو ما علاقة هذه المعجزة بما قلناه عن معنى النبوة بمسئلتها تمثيلاً لتحقيق الوجود الإنساني؟ لنأخذ اليهودية على سبيل المثال. نجد أن معنى كلمة الله تجلت في معجزة موسى المادية الممثلة في عصاه؛ وعلى هذا فقد جاءت

أغلب الفلسفات اليهودية متمركزة حول المادة والموضوع في محاولتها في استكشاف لوجوس (أو منطق) معنى الكون وكيفية تفسيره. على سبيل المثال نجد أن سيبورا قال إن الطبيعة هي الله، وإذا قرأت ماركس تجد الجد المادي. أما ليفيناس في إعادة صياغته لمفلسة الأخلاق فقد نادى بألوية الآخر بل قد تجاوز ذلك إلى الكلام على الذات (أو منطق) معنى الذات ومن التقيض من هذا نجد أن المسيحية كما لاحظ كانط في كتاباته الدينية تميل إلى الذات. السبب في تصوري هو أيضاً ارتباط لحظة تجلي كلمة الله المسيحية في المسيح ذاته. ومن ثم ارتبط لوجوس

التأويل في الإطار المسيحي بالذات إلى حد أن حل الحقيقة وإله في الذات كما يتجلي هذا بوضوح شديد في عدلية الوحي عند هيجل. فإذا كانت النبوة هي تمثيل للإنسانية تتحول فكرة الألوهي التابعة من المتجاوز الداخلي عند الإنسان إلى وحي من خلال الله. أي فهذا

التمثيل مرتبط بتجلي معنى كلمة الله في الواقع التاريخي المرتبط بلحظة النبوة هذه. وعلى هذا فقد ارتبط مفهوم التأويل واليهودية بلحظة تاريخية معينة وهي اللحظة التي جاءت فيها المعجزة المتجاوزة للتاريخ لتكلم معنى الإنسانية في هذه اللحظة من النبوة.

في مقابل هذا نجد أن الإسلام يختلف جذرياً إذ لم ترتبط معجزة بلحظة تاريخية معينة فهي أكثر من موضع يؤكد القرآن الكريم أن بشرية محمد بشرية عادية وأنه بشر مثل كل

البشر. معجزته هي القرآن والقراء هو كلمة الله. ولكن كلمة الله موجودة في أي دين من الأديان؛ فكل دين ارتبط بنص موحى. معجزة الإسلام إذاً ليست فقط هي القرآن ولكن في طبيعة هذا النص وعلاقتها بمحمد الإنسان العادي وهكذا يمكن أن يفهم المعنى الأعمق لمعجزة القرآن القوية ومعنى السنة في الإسلام (بمعنى أنها علاقة بين اللغة بمعناها الأعمق كمساحة تكون المعنى من جهة والوجود الإنساني العادي من جهة أخرى) تلك العلاقة الأساسية بين اللغة والوجود التي لاحظها الكثير من بينهم هيديجر. اختلاف معجزة الإسلام عن معجزة كل من المسيحية واليهودية إذ أنها كانت معجزة غير متجاوزة للتاريخ فتجلى معنى كلمة الله في التاريخ بينما تتطلب أي خلق لقوانين الطبيعة وإنما تجل في قدرة محمد الإنسان العادي على تحقيق هذا المعنى في حياته. وعلى هذا لم يرتبط لوجوس التفسيري في الإسلام بلحظة تاريخية معينة أو شعب معين أو سبطاً لاهوتية



محددة. على العكس إذا كان هذا الطرح سليماً فإن جوهر تأكيد القرآن على أن الإسلام خاتم الرسالات ومن ثم فهو متجاوز للتاريخ. ينبع من حقيقة أن معجزة الإسلام هي في الأصل معجزة تاريخية ومن ثم يمكن تكرارها - بمعنى آخر إن معنى كلمة الله والقرآن مرتبط ارتباطاً وثيقاً بهذا الإنسان الإنسانيته بمعناها الكامل وهذا هو سر اصطفاء محمد صلى الله عليه وسلم - فمعجزته أنه تمكن من تحقيق إنسانيته بشكل كامل في إطار عادي وبدون الحاجة إلى أي معجزة متجاوزة لهذه الإنسانية. وعلى

هذا كان النص في حد ذاته كافياً ليتجلى معنى كلمة الله لكل إنسان يتراءى إذا أدرك أبعاد إنسانيته ومعنى وجوده بالشكل الذي أشرنا إليه من قبل. في ضوء هذا يمكن أن نربط بين عدد من الجوانب في الفكر والنبوة الإنسانية. لنبدأ بإيجاز شديد بالنبوة الأشعرية. عند الأشعرية دته وكل من الجوانب والعرالي. هالفارز المذوق للنبوة الأشعرية. أصول المديانة وتهاافت الصلاصة للعرالي يلاحظ أن الأشعرين يعارضان السببية بشكل مطلق وإنما لأنها في تطبيقها على الذات الإلهية تؤدي إلى الانزلاق في الحلولية العقلية أو المادية (كما وقع بعض المعتزلة). وعلى هذا فمن رأي ابن أعم موروث التراث الأشعري هو تحديد العقل من خلال التجربة. وهذا يتسبب أيضاً في فكر العزالي في تصوره للعقل الإنساني والذاتي في التجربة (ويعتبر ذلك بوضوح في تحليله للعقل الزماني والمكاني في تهاافت الفلاسفة). فإذا أخذنا هذه النزعة في تحديد العلاقة بين المتجاوز والمكاني ومن خلال ذلك اكتشاف الذات في التراث الأشعري ومحمداً ذلك مع البعد الوجودي والتأويل للذات الإنسانية عند ابن سينا (كما لاحظ هنري كوربان) فإننا يمكن أن نصل إلى صورة ليست بعيدة عن رؤية الشيخ الأكبر الحادي الدين بن عربي عن مفهوم الإنسانية الذي عبر عنه بمفهوم الحقيقة المحمدية في أهم أعماله على الإطلاق في نظري. فصوص الحكم.

وبما أن المقام لا يتسع لعرض وتقييم مشروع ابن عربي الإنساني المصمم بأسره أحضاراً للمحتاج من النص الأدبي، لعلنا لأوضح كيف توصل إلى ذات التصور عن الإنسانية الذي نشأه بن عبد الله بن عربي فصوص الحكم بالحديث القدسي: «كنت كنزاً مخفياً فأردت أن أعرف خلقت الخلق. لكن ما الدافع الذي يجعل إنساناً صفته أنه الكامل المطلق في خيريته وقدرته أن يبريد أن يعرف من قبل موجود معايير لداته؟ ولكن ابن عربي. وهو القارئ المتمكن لفكر أهل الطون وأهلوطين. يقول أن ما أراد أن يعرف ليس ذات الله على مستوى فهمها كدين ثابته أو جوهر ماهية عقلية. تلك كما أشرنا منذ قليل منزلة من الحاجة لعرفة أي من مخلوقاتها. وإنما ما أراد أن يعرف هو معاني أسماء الله. ولكن أسماء الله بالنسبة لابن عربي هي التي تجعل

جوهراً تأكيد القرآن على أن الإسلام خاتم الرسالات ومن ثم فهو متجاوز للتاريخ. ينبع من حقيقة أن معجزة الإسلام هي في الأصل معجزة تاريخية ومن ثم يمكن تكرارها

## كتاب الزاوية

### الفخر بالماضي

### حسين مؤنس

نحن إذا ذهبنا نقول إن العالم لم يستحدث بعدنا شيئاً، وأن الطائفة أشار إلى فكرتها ابن هلال. والقاطرة ذكرها أبوعلان، والنظرية الذرية نجدها بصورها عند الفلاسفة، ثم بلبث الناس أن يتخذوا من ذلك المذهب منا عادة فكافة، وخير من ذلك أن نصل بالأمور إلى مداها المقول، وبدعها هي تدعو لنفسها بنفسها.

ومن مخاطر الدعوات أن يلما أصحابها إلى ما يلجا إليه محدث الممة الذي يملك القليل، فلا يكف من الحديث عنه، فيركبه الناس بالسخرية، أو المقتون بأبيه أو جده، فلا يزال يتحدث عنه حتى يسأم الناس حديثه، أو الشكاك في أصالة نفسه، فلا يزال يفتنم لنفسه الأحساب ينمقها ويروفها، على مثال شجرات الأنساب التي كانت تباع وتشترى، أما صاحب النسب الصريح فقلما يتحدث عنه، وهو إذا ذكره لم يحاول إنكار ما عسى أن يؤخذ على بعض أجداده، ثقة منه هي نفسه وفيهم

ونحن لا يصدها أحد إذا قلنا إن أحدًا لم يصف إلى ما وصل إليه أجدادنا شيئاً، لأن الناس كلهم يرون أن البشر أضاقوا بعدنا كثيراً، وما نحن نأخذ عنهم العلم ومذاهب الفكر، ثم إن الناس يرون أن الدين أتوا من بعدنا لم يفسدوا شيئاً من نواحي حضارتنا الماضية، وإنما هي بلغت الحد الذي قدر لها أن تبلغه، ثم قلت قواها، شأنها هي ذلك شأن غيرها من حضارات البشر، وتلك سنة البشر مع العمران منذ بدء الخليقة، فلا يقلل من شأننا أننا وقفنا عند حد بعينه، وليس لغربنا أن يفخر علينا بأنه سار في حيث وقفنا.

الوجود موجوداً فلا وجود بدون الأسماء ومن ثم فمعاني الأسماء هي معاني الوجود، هنا يقول ابن عربي أن مرة الخلق التي تتجلى فيها معاني أسماء الله ظلت غير مصقولة حتى خلق آدم، معنى هذا أيضاً وهو ما لم يعلق عليه أي من شراح ابن عربي أن إنسانية الإنسان والتي تجعل الإنسان هو بما هو متصلاً اتصالاً جوهرياً بفضاء المعنى أو بشكل أدق بفضاء معنى الوجود، ولكن ما السبيل لتجلى هذا المعنى؟ إنها أعلى ملكة للإنسان بالنسبة لابن عربي والتي بها يتحقق الإنسان الكامل في نظريته وهي ملكة الخيال، وملكة الخيال هذه إنما تؤدي دورها بربط عالم الشهود أو العالم الكامن بعالم المثال أو عالم الأفكار المتجاوز لكون الزمان والمكان. وبذلك يتحقق لكل إنسان على قدر اجتهاده كمال إنسانيته وبذلك أيضاً يقترب من الحقيقة المحمدية.

يمكن لنا أن نعيد فهم الحقيقة المحمدية في ضوء هذا التحليل ونعبر عنها بالتعبير الكائن في أنها شروط تجلي الوجود الإنساني في الحياة العادية باعتبارها أنه الكائن الموصّل بين ما هو متجاوز من أفكار مطلقة وما هو كامن في التاريخ ومرتبطة بحدود الزمان والمكان، وعلى هذا أيضاً يمكن أن نفسر فصوص الحكم على أنه كتاب في جدلية (أو تدافع) الوجود الإنساني التي حاول فيها كل نبي أن يحقق إنسانيته ومن ثم يصل إلى الحقبة المحمدية ولكنه حقق جزءاً منها ثم جاءت معجزة متجاوزة للتاريخ لتكتمل هذه الإنسانية فيجلّي معنى كلمة الله في الكون التاريخي من خلالها، في هذا الإطار أيضاً يمكن أن نفهم السبب وراء تكرار ابن عربي لحديث «كنت نبياً وادم بين الطين والماء»، فهي إطار الفهم الجديد الذي ننادي به للحقيقة المحمدية يمكن فهم هذا الحديث بأنه يشير إلى محمد بصفته مثلاً لتحقيق الإنسان لإنسانيته في أكمل صورة في الإطار العادي اليومي، من ثم فإن وصف ابن عربي في آخر الفصوص لمحمد صلى الله عليه وسلم بأنه الفرد لا يعني التفرد فقط وإنما يعنى في الأساس أنه لم يكن إلا محمد الفرد العادي الذي يمكن التفاعل مع معجزته الإنسانية في كل لحظة تاريخية جديدة من خلال فهم حقائق الوجود الإنساني الثابتة

التي لا تتغير، وعلى هذا فإن المعجزة المحمدية يمكن تكرارها في التاريخ باستكشاف كيفية تحقيق هذه المصادرات الأساسية للوجود الإنساني في كل لحظة تاريخية جديدة، وهذا في رأيي هو المعنى الأعمق لنظرية تحديد الدين في الإسلام، كيف يقوم الخيال بهذا الدور وكيف يتعامل مع سؤال التاريخية، وكيف يمكن لهذا التصور أن يؤسس لأنثروبولوجيا فلسفية جديدة ونظرية جديدة أيضاً للمعنى والتأويل بشكل عام؟ أيضاً إلى أي مدى يمكن أن يتجنب هذا الطرح خطر الوقوع في إشكالية المادية بمعناها الكلاسيكي ويتعامل أيضاً مع متغيرات الأنساق التاريخية المختلفة؟ كل هذه الأسئلة يمكن أن يجيب عنها البحث الفلسفي الجاد.

خبراً وليس آخراً يجب الأخذ في الاعتبار أن المقصد من وراء هذا المشروع ليس هدفاً توفيقياً بين الحداثة والإسلام إنما هي محاولة فلسفية لحل إشكالية الإنسانية بجمع روافد فكرية من كل من التراث الإسلامي والغربي باعتبارهما في الأساس زاويتي من حقيقة إنسانية واحدة، في ذات الوقت يساهم هذا الحل في استرجاع دور تصور الذات الإلهية في تحقيق إنسانية الإنسان من خلال قراءة فلسفية محكمة للإسلام ومفهومه المتفرد عن الإنسانية.

...تسهأت أسطورة الإنسان الرومانتيكي وصاح نبي الصدم الألماني نيتشه: مات الإله... فرد شيخ مرسية الأندلس المعجزة متيكمياً: من مات هو الإنسان الإله، هايبان يولد الإنسان...إنسان...أفهمت أخا الإسلام... ربما... نعل! ١ ١

### هوامش:

١. يقصد بالحوالية المادية اختزال الحقيقة بكل جوانبها في إطار المادة أو الموضوع بشكل عام
٢. يقصد بالحوالية الداتية اختزال الحقيقة في الذات وبالتحديد في العقل باعتباره جوهر الذات
٣. يقصد بشروط المعجزة في الإطار التطوري الشروط التي تحدد معرفة الذات لعاقلة ناي موضوع يتم استقباله كظاهرة من خلال معدي الزمان والمكان، ومن ثم فإن الحال التريستانتالي مختص بكل ما هو كامن في التجربة وغير متجاوز لها
٤. يقصد بالتجاوز الداحلي درجة العقل في إطار تفرعه السابق لتجاوز كون التجربة بعينها الروابي والمكاني من خلال أفكاره عن الأنووية وغيرها من المطلقات التي لا تخضع لشروط ومتطلبات التجربة الكاسية

# العربية لغة النهضة

أحمد بن محمد الضبيب



■ عندما نتحدث عن اللغة العربية بوصفها عاملاً مهماً من عوامل النهضة عند العرب المعاصرين، فإننا لا نطلق من موقف عاطفي، ولا من الحيار لتقافى نحو هذه اللغة العربية، ولا من نظرة تبجيلية ترتكز على استنساخ ماضى هذه اللغة وما حققته من نقل لمعطيات النهضة والتقدم في العالم القديم، أو سرود لإمكاناتها الدائرية وخصائصها المعرفية التي تثيرها عن غيرها من لغات العالم، فقد كتب في ذلك الكثير وليس من همنا هنا أن نعيد ما قيل في ذلك.

إننا ننظر إلى اللغة - في هذا المقام - بوصفها أداة عملية يمكن الاستعانة منها نوعياً (إبراهيميًّا) لتحقيق نهضة عربية في المجتمع العربي.

إن التنبيه إلى أن الثقافة في المرحلة الأولى - لا السياسية ولا الاقتصادية - هي العربية المحركة التي يمكن أن تقود إلى التقدم أمر لم يدره، لألس، كثير من المخططين والمصممين الذين يمسكون بزمام الأمور في البلاد العربية.

وليس معنى ما نقوله الآن أن يترك أولئك المخططون أسرار السياسة والاقتصاد ويصرفوا إلى الثقافة وحسب، ولكننا نريد القول إنهم أصلاً لم يضعوا الثقافة في حساباتهم لا على مستوى بلدانهم ولا على مستوى الأمة عند التخطيط والتنفيذ. وبدلاً من ذلك أن الخطط الثقافية لا تأخذ ما تستحقه من العناية والاهتمام عند الإعداد سواء على مستوى الأفراد أو على مستوى الأمة، وإن صادقت شيئاً من الجمان عند التخطيط فإنها لا تثبت أن يستطاع الأخذ بكثير من مفردها عند التنفيذ.

وعندما نتكلم عن الثقافة، فإننا نتكلم بطبيعة الأمر عن مكوناتها الرئيسية التي تشكل الهوية، وتصنع الشخصية المستقلة للأمة، وتضع الأهداف الكبرى لها، وترسخ الوعي لدى الفرد بوصفه مكوناً من مكونات المجتمع الكبير، وتضع أكبر قدر ممكن من أسباب التماسك والتلاحق بين أفرادها، وتحقيق أكبر قدر ممكن من الوحدة في الرؤية

محاضرة أقيمت في ندوة «مجلة العرب ولغتها العربية» نصف قرن من المعرفة والاستشارة» من ١٤ يناير - ١٦ يناير ٢٠٠٨

العق والافصالات السياسية التي عاش فيها العرب وما زالوا يعانون

لقد قامت العربية على العصرية وعلى الإقليمية، وعلى الطائفية والعنصرية والعرقية. لتجعل من العرب أمة واحدة عبر التاريخ العربي، ولتجعل التراث العربي والإبداع العربي في أي قطر عربي إبداعاً لكل العرب، لا تقطر مصر، فكما كان اميرق، لقيس وروبير وحسان وجريير والمردني والأخطل والمثنبي وغيرهم من رموزنا الإبداعية شعراء لكل العرب من المحيط إلى الخليج، فكل ذلك أصبح أحمد شوقي وإيليا أسوامي وعمر أبو ريشة وأبو القاسم الشابي وغيرهم من رموز الإبداع الفصحح العربي المعاصر. ملكاً لتعريب كلهم، يشرون إبداعهم ويدرسونها ويقترون بها دور لغوي في المواقع الجغرافية أو الانتماء المحلي

والأمر نفسه ينسحب على علماء التاريخ الذين وصلتنا أخبارهم من خلال التراث فانطالنا التاريخيون هم أبطال لكل العرب على امتداد العالم العربي، لا أحد يحتكر امتدادهم إليه، ولم تلتصق الحدود المصطنعة في تحجيم هؤلاء الأبطال، وعصرهم في محيط البيئة المحرافية التي نشأوا فيها، بل هم أبطال العرب جميعاً في جميع أقطارهم، وما ذلك إلا لأن المعصي هي لغة الثقافة، وترانها هو ثراث العرب في كل مكان

اللغة العربية على حشد الطاقات، وتسهيل الصلات، وإقامة العلاقات التي تشارك الثقافة العربية الواحدة، بل تشارك الهوية العربية، على الرغم من

والهدف، وتساعد على حشد الطاقات، وتسهيل الصلات، وإقامة العلاقات التي تشارك الثقافة العربية الواحدة، بل تشارك الهوية العربية، على الرغم من

كتب الصحف أن بعض المتقربين والاساتذة الإنجليز نادوا بإعادة كتابة أعمال شكسبير باللغة الإنجليزية المعاصرة، لأن لغته القديمة أصبحت من البعد عن اللغة المعاصرة بحيث أصبحت مسطحة وغير متناسبة مع الفارئ الحديث، فإذا تم ذلك فمعناه أن شكسبير المدعو في اللغة الإنجليزية قد قص عليه وحلت محله ترجمة جديدة لا معناه، لا تمت للإبداع المعوي الشكسبيري بأي صلة إنها ترجمة شامها شأن الأعمال المترجمة من لغات أخرى، تعتمد على مهارة المترجم، ومقدار عمق معرفته بروح النص الذي يترجمه، ولكننا لا ننف يدبلاً عن النص الأصلي بأي حال من الأحوال

إن شكسبير لا يقتله عصرنا إلا ٤٠ سنة





# أوراق من بولاق

## للطباعة تاريخ

يتضح مدى الرقابة الصارمة والشديدة التي فرضها نابليون على الطباعة، بحيث لا تصدر عنها مطبوعات بغير علم القيادة العامة

الإسكندنرية لتطبع باللغة العربية، إذ إن مطبعة أوريل لم تكن بها حروف عربية على الإطلاق، وبجانب طبعه أوامر بونايرت ومنشوراته كان يقوم بنشر جريقتي Le Courier de l'Égypte البريد المصري La Décade Egyptienne المصرية المصرية، وتعتبر هذه المطبعة المستقلة عن الحملة أول مطبعة شهدت مدينة القاهرة، إذ كان الأهالي يجهلون هذه الصناعة جهلاً تاماً، رأى نابليون بونايرت أن مجهود مارك أوريل قاصر عن أن يحقق أغراضه في طبع الصحيفتين على نحو يرضيه أو يرضى علماء الحملة الفرنسية، لذلك أرسل في طلب المطبعة التي يشرف عليها مارسيل في الإسكندرية، وعندما استقرت المطبعة الأهلية في القاهرة رأى مارك أوريل أنه ينبغي معطال عن العمل، ففرض على الحكومة أن يبيعها آلات مطبعته، فوافق نابليون على ذلك.

وبانتداء ١٤ يناير سنة ١٧٩٩ أصبحت المطبعة الأهلية في القاهرة المطبعة الوحيدة في خدمة الحملة الفرنسية، وقد أصدر بونايرت أمراً

مصر بينما لم يكن له أي نشاط يذكر في مدينة الإسكندرية، ذلك أن مطبعته كانت في صناديقها معدة للمسير مع الحملة في طريقها إلى العاصمة، وقد نقلها صاحبها مع الجيش عن طريق الصحراء، فلما استقر الفرنسيون في القاهرة بدأ مارك أوريل عمله بأن نشر أمراً رسمياً في ١٥ أغسطس سنة ١٧٩٨م، بينما بقيت المطبعة الرسمية في الإسكندرية، وأخذت مطبعة مارك تطبع أوامر بونايرت ومنشوراته باللغة الفرنسية، بينما كانت الأوامر ترسل إلى

بونايرت على مكتبته أثناء إقامته معالين بين سنتي ١٧٨٥ و ١٧٨٦م، في عام ١٧٩٤م التحق مارك أوريل بمطبعة الجيش البحري في البحر الأبيض المتوسط، حيث استهوته الحملة الفرنسية على مصر، فمضى معها ناشراً لها، حيث اتخذ لقب، طابع الحملة، وبقي معروفها بهذا اللقب حتى عودته إلى فالنس، وكان من عاقته أن يطبع اسمه واسم مطبعته على كل ما ينشره من أوامر ونداءات وصحف.

أسس في القاهرة أول مطبعة في

كانت البخارة، العدالة، تمخر عياب البحر في هذا اليوم البعيد من القرن الثامن عشر في أحد أركان السفينة الحربية التابعة للحملة الفرنسية، كان مواطن، مدني، فرنسي ليس له علاقة بالحملة يحلس متربعاً وفي صحبته مطبعته الخاصة.. كان اسمه الذي لم يحفظه التاريخ جوزيف إيمانويل مارك أوريل.

ولد هذا الناصر في فالنس Valence في سنة ١٧٧٥م، وهو ابن ميم مارك أوريل أحد أولئك الذين احترفوا مهنة الطباعة والنشر في تلك المدينة، وكانت ترمطه ببونايرت صداقه وطيدة مصدرها تردد

وعاء المعرفة من الحجر إلى النشر الموري إشراف وتقديم إسماعيل سراج الدين المحرر، خالد عزيب مساعداً المحرر: أحمد منصور وسوزان عابد الإسكندرية مكتبة الإسكندرية، ٢٠٠٧

# الفتح المصري

جريدة رسمية

تصدر  
في أيام السبت والاثني  
والاربعاء  
من كل أسبوع  
ماعد أيام الاعياد  
والمواسم



١

ليفوز سنة ٨ الموافق الحادي والثلاثين من شهر ديسمبر سنة ١٧٩٩م، وهذا التقويم وضع مشابهاً لتقويم باريس وضعت لجنة خاصة من المجمع المصري.

## نشأة المطبعة

بعد جلاء الحملة الفرنسية من مصر في سنة ١٨٠١م، عمت الفوضى البلاد، حيث ظهر على المسرح السياسي ثلاث قوى تتنازع السلطة فيما بينها، فالأتراك من جهة يريدون إعادة البلاد إلى قبضتهم بعد أن انشلت عقدها في ظل وجود المستعمر الفرنسي، والمماليك يسعون إلى استعادة سيادتهم التي فقدوها بدخول الفرنسيين، ووقف استرداد بلاده من يد المختصين، واستطاع محمد علي في نهاية المطاف أن يصعد إلى سدة الحكم بعد صراع دام أربع سنوات حيث استطاع أن يوطد أركان حكمه بتأييد من الشعب، وبدأ يفكر في بناء بلد

العدد الأخير في ٢٠ بريريال سنة ٩ وكان العدد منها في أربع صفحات. الثمن المحدد ستة ميدان.

٤ - بيان الأحداث التي حدثت في أوروبا أثناء الأشهر الأربعة الأولى.

٥ - Décade Egyptienne، المقتضية المصرية، صحيفة للأدب والاقتصاد السياسي. ظهر المجلد الأول في القاهرة

صادراً عن المطبعة الأهلية سنة ٧ من عهد الجمهورية الفرنسية. وهذه الصحيفة معدة للظهور كل عشرة أيام، وكانت صحيفة أدبية محضة لا يقبل فيها أي خبر أو أي جدل سياسي، ولكن يرحب على صحتها بكل شيء يتصل بمجال العلوم والفنون أو التجارة من حيث صلاتها العامة والخاصة أو التشريع المدني والجنائي أو المنظمات العلنية أو الدينية. وكل عدد من هذه الصحيفة مكون من أربع وثلاثين صفحة وتبلغ قيمة الاشتراك تسعة جنيهات.

٦ - التقويم السنوي للجمهورية الفرنسية محسوباً بالنسبة للقاهرة في السنة الثامنة من العهد الفرنسي، ظهر في القاهرة من المطبعة الأهلية في ١٠

١ - الحروف الهجالية المصرية والتركيبية والفرنسية التي يستعملها المطبعة الشرقية الفرنسية، تأليف:

حنّا يوسف مارسيل حجم صغير في ١٦ صفحة طبع في الإسكندرية في سنة ٦ جمهورية. الثمن: على ورق عادي ١٦ ميدان، وعلى ورق ممتاز ٢٤ ميدان.

٢ - تمارين في المطالعة العربية (مختارات من القرآن) يستعملها أولئك الذين يدرسون اللغة العربية، تأليف:

يوحنا يوسف مارسيل، حجم صغير في ١٢ صفحة طبع في الإسكندرية في سنة ٦ جمهورية. الثمن: على ورق عادي ١٢ ميدان، وعلى ورق ممتاز ٢٠ ميدان.

٣ - Le Courrier de l'Egypte، البريد المصري، جريدة سياسية طبعها مارك أوريل تظهر كل خمسة أيام في القاهرة

من مطبعة المواطن مارك أوريل بالنسبة للأعداد الثلاثين الأولى طبع بعد ذلك في المطبعة الأهلية ظهر منها مائة وستة

عشر عدداً وظهر العدد الأول في ١٢ فركتمبر سنة ٦ الموافق الثامن والعشرين من شهر أغسطس سنة ١٧٩٨م، وظهر

تنظيم وتعيين المسؤولين عن سياسة المطبوعات فيها، وكان هذا الأمر في ٢٥

نوفمبر سنة ٧ الموافق الرابع عشر من شهر يناير سنة ١٧٩٩م، ويتضح لنا من خلال هذا الأمر مدى الرقابة الصارمة

والشديدة التي فرضها نابليون على المطبعة، بحيث لا تصدر عنها مطبوعات

يغير علم القيادة العامة، أو تدين ما من شأنه أن يمس النظام أو يسىء إلى الرأي العام الفرنسي أو المصري، لذلك كان هذا

النظام الشديد أشبه ما يكون بما نعرفه اليوم بـ نظام الرقابة على المطبوعات أو الرقابة، أما عن مكان المطبعة بالقاهرة، فقد كانت دائماً ملازمة لمعسكرات

الجيش، وعندما ثارت القاهرة في أكتوبر سنة ١٧٩٨م نُقلت المطبعة إلى الجيزة، ولكن عادت إلى القاهرة بعد أن أخذت

الثورة وتقلت إلى القلعة في النهاية لأنها كانت إحدى معسكرات الجيش الفرنسي. نشرت المطابع الفرنسية في مصر، وهي المطبعة الشرقية الفرنسية في الإسكندرية، ومطبعة مارك أوريل،

والمطبعة الأهلية في القاهرة مجموعة من المطبوعات أثناء الاحتلال، منها:

العدد المائة وتسعة - فبراير ٢٠٠٨ م



سعي محمد على لإدخال الطباعة إلى مصر منذ ١٨١٥، حينما عزم على إنشاء جيش يحكم به سلطته على البلاد

قوى سواء من الماهية السياسية أو من الماهية العسكرية. وفي الوقت ذاته يعتمد على اقتصاد قوى وخلفية حضارية تمكنه من الحفاظ على إنجازاته. فبدأ بإنشاء المؤسسات على النمط الأوروبي الحديث، من بيوت المشروعات التي احتاج إليها في مسيرته التنموية إنشاء مطبعة تنشر كل ما يراه مناسباً لاستقرار دولته.

بدأ محمد على يفكر في إدخال الطباعة إلى مصر منذ عام ١٨١٥م، حينما بدأ يفكر في إنشاء جيش نظامي يحكم به سلطته على البلاد. إذ كان لابد لهذا الجيش من كتب يتعلم فيها أصول الحرب والخطط الحربية، وأنواع الأسلحة المختلفة. فما كان من محمد على إلا أن أصدر أوامره بإنشاء مطبعة بولاق في عام ١٨١٥م لطباعة ما يلزم من كتب قوانين وعمليات.

لقد اختلفت الآراء والروايات التي صيغت حول الأسباب التي أدت إلى إنشاء مطبعة بولاق. فيقول رزيق زيات يقول: «إن محمد على سمع في مصر عن مطبعة الحملة الفرنسية ورأى بعض آثارها فهدد تلك الآثار وأحيائها فيما عرف باسم «مطبعة بولاق». بينما يقول رينو إيه اراد أن يملك مطبعة المصطنعينية التي أنشئت قبل ذلك بقرن من الزمان لمطبعة في بولاق ليحاكي تلك المطبعة، في حين يقول بيرون، «إن الإنشاء لمنا المدارس المتعددة وجد الحاجة إلى مطبعة تنشر ما يحتاج إليه التلاميذ والطلاب من الكتب المدرسية فأشأ محمد على بولاق. هذا بينما كان لجيز راي مختلف في بولاق، «إن محمد على كان متأثراً بالتقدم الذي في أوروبا فرأى أن تقدم الأحوال في مصر لا ياتي إلا عن طريق الشعلة التي تنشر أصوات العلوم والمهارات في أوروبا وهذه الشعلة ليست شيئاً سوى فن الطباعة. كما يرى أن السبب في إنشاء المطبعة كان الرغبة في طبع الكتب الشرقية القديمة التي عثت بها تقادم العهد، فأصاع الزمان معظمها كما دأى على ما بقى محفوظاً منها. ويعزو أيضاً إنشاء المطبعة إلى أن محمد على لما أسس مشروعاته الإدارية والتجارية كان من الضروري أن يوجد محتاج هذه الملصقات والحملات مطبعة تطبع ما يلزم من النسخات. ويرى أبو الفتوح رضوان أن أصحاب الرأي السائد بأن محمد على أنشأ مطبعته على أنقاض بيوتارد قد

رجعوا بذلك إلى القدمات بدلاً من النتائج. فالأدلة التاريخية كلها تثبت أن إحياء هذه الأنشأة قوى وخلفية المطبعة المصرية نشأت مستقلة تماماً عن كل اتصال بالماضي، فالشرط الحادي عشر من معاهدة جلاء الفرنسيين عن مصر ينص على أن، جميع حكام السياسة وأرباب الحرف والصناعات وجميع الأشخاص المتعلقة بالفرنسية والفرنسيين، وعلى وجه الخصوص أرباب العلوم والصناعات منهم الحق في أن يأخذوا معهم كل ما يريدون سواء أكان الأثاث والكتب ليس التي نخسهم فقط، بل كل ما يورثه نافعاً لهم.

فهذا النص صريح في أن للفرنسيين، وعلى وجه الخصوص أرباب العلوم والصناعات منهم الحق في أن يأخذوا معهم كل ما يريدون سواء أكان مما أحضره معهم من فرنسا أم مما بهوه من ثنائس مصر. ويؤيد هذا أن كتاب نحو اللغة العربية العامة، وهو آخر مطبوعات الفرنسيين في مصر يدعى في طبعاته بالمطبعة الأهلية بالقلعة. تم أخلى الفرنسيون القاهرة فاستولت طبعه في نفس المطبعة بالإسكندرية ولكنه لم يتم طبعه أيضاً فوقف الطبع عند الصفحة ١٦٨ من الكتاب بجلاء الفرنسيين عن الإسكندرية

من الثابت إن أن الفرنسيين أخذوا مطبعتهم إلى الإسكندرية بعد الجلاء عن القاهرة، فهل نقلها محمد على من الإسكندرية إلى القاهرة بعد تحرير مصر؟ وجدهد؟ أما الرأي القائل بأن محمد على أنشأ مطبعته محاكاة لطبعة المصطنعينية التي أنشئت قبل ذلك بقرن والتمت نمرة طبعه في ميدان العلم والأدب فيقول أبو الفتوح رضوان: «إن محمد على قبل مجيئه إلى مصر لم يكن عمله يتصل بالحركة العلمية والأدبية في الحياة المصرية، فقد كانت حياته في الباطني حياة تاجر مهم في البيع والشراء. وكان أمياً علم لكن مهم وسائل الاتصال بالحقبة العلمية والأدبية بدار الخلافة. فهذا الرأي على حد تعبيره لا يفسر إنشاء المطبعة إلا باليد من غرض يدفع السائل إلى محاكاة مطبعة المصطنعينية: أما التقليد في ذاته فلا يمكن أن يكون سبباً منطقياً لذلك أن التقليد لا يمكن أن يستمر فطابق هذا الرأي هو رينو الذي كان من المشتغلين بتأريخ مطبعة المصطنعينية. مما سهل عليه الاعتقاد بأن المطبعة المصرية لم

تكن إلا تقليداً لتلك المطبعة ولا سيما أن مصر كانت ولاية تركية آنذاك. أما عن رأي الدكتور بيرون الذي كان ناظراً لمدرسة الطب المصرية، والذي يرى أن المطبعة أنشئت في أول الأمر لمدد حاجة المدارس من الكتب ولطبع الكتب المدرسية، خاصة أن المطبعة قد نشرت الكثير من مؤلفاته ومترجماته، كما كانت تنشر كل ما تحتاجه مدرسة من الكتب وكل ما يؤلف أو يترجم أساتذتها من المؤلفات، فيرى أبو الفتوح رضوان أن هذا الرأي يجانبه الصواب. ويظهر هذا بمقارنة بسيطة بين تواريخ إنشاء أولى المدارس وبين تاريخ إنشاء المطبعة. إن أولى المدارس التي أنشأها محمد على كانت مدرسة الموسيقى العسكرية وكان تأسيسها في سنة ١٨١٤م. ولم تكن هذه المدرسة في حاجة إلى كتب تطبع أو مطبعة تنشأ من أجلها. ومع ذلك فقد كان تأسيسها بعد تأسيس مطبعة بولاق بربع سنوات، وقد أنشئت المدرسة التحضيرية الحربية في قصر العيني سنة ١٨١٥م أي بعد إنشاء المطبعة بخمس سنوات. ولم تنشأ مدرسة الطب التي عرفها الدكتور بيرون إلا في عام ١٨١٧م أي بعد إنشاء المطبعة بسبع سنوات فإشياء المطبعة إذن أسبق من إنشاء المدارس.

## صاحب المنح والمطبعة

اختلف كثير من المؤرخين حول تاريخ إنشاء مطبعة بولاق. لكن مصدرنا الأساسي في هذا التاريخ هو أبو الخوجة التذكارية التي علقت على باب المطبعة وقت إنشائها. وهي عبارة عن قطعة من الرخام طولها ١١٠ سنتيمترات وعرضها ٥٥ سنتيمترات. وقد نقشت بحيث برزت عليها الآيات الشعرية التالية باللغة التركية:

حالا خديو مصر محمد على وزير أول نامدار دولت صاحب المنح  
أثار بسماعته ضد أيلدى دخی  
يا بندر ی اشوب مطبعه ی بویه یرخر  
هاتف سعیده سولیدی تاریخ تامتی  
دار الطبعه در بندکی مصری اصبح  
وترجمتها: دار خديو مصر الحالي محمد على وزير الدولة وصاحب المنح العظيمة قد زادت مآثره الجليلة التي لا تعد بإنشاء دار الطباعة العامة وظهرت للجميع بشكلها النجم البديع.

وقد قال الشاعر سعيد ابن دار الطباعة في مصدر الفن الصحيح،

وهي تاريخ لهذا الإنشاء، ولم يثر على وثيقة أخرى تقوم مقامها. نُقش على هذه اللوحة الرخامية ثلاثة أبيات من الشعر، ويضمن الشطر الأخير منها بحساب الجمل تاريخاً نقش صراحة في أسفلها، هذا التاريخ هو سنة ١٢٣٥هـ. ويثبت أن المطبعة قد أنشئت في تلك السنة. ويوافق أول المحرم من سنة ١٢٣٥هـ بالتاريخ الميلادي ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩م، ويوافق آخر ذي الحجة سنة ٢٧ سبتمبر السنة. ويوافق أول المحرم من سنة ١٢٣٥هـ بالتاريخ الميلادي ٢٠ أكتوبر سنة ١٨١٩م. وأواخر سنة ١٨١٩م من ٢٠ أكتوبر والجزء الأول من سنة ١٨٢٠م من ٢٧ سبتمبر على أنها الفترة التي فيها إما بدأت أو انتهت إقامة البناء الذي كانت فيه مطبعة بولاق.

على أن فكرة المطبعة لم تولد في هذا التاريخ، بل إنها سابقة له بكثير، فقد وفد فيقول المسابكي في بعضه إلى إيطاليا ليتعلم فن الطباعة في سنة ١٨١٥م وإلى هذا التاريخ يرجع التفكير في إنشاء مطبعة بولاق.

أما عن تاريخ أول إصدارات المطبعة، فمن الثابت ما تحت أيدينا من الوثائق أن أول كتاب أصدرته مطبعة بولاق هو قاموس للتعين العربية والإيطالية من قوس الرابح ورفائيل. ولقد القاموس صفحة العنوان ذكر في أسفلها أن تمام طبعه كان في سنة ١٢٣٨هـ. وله صفحة العنوان باللغة الإيطالية ذكر في أسفلها أن تمام طبعه كان في سنة ١٨٢٢م ويستفاد من هذا أن أول إصدارات بولاق تم طبعه في سنة ١٢٣٨هـ/ ١٨٢٢م، والسنتان لا تتداخلان إلا في المدة من ١٨ سبتمبر إلى آخر ديسمبر من سنة ١٨٢٢م. وعلى ذلك يكون الكتاب قد صدر في أثناء هذه المدة التي تبلغ ثلاثة أشهر ونصف تقريباً.

وقد ذكر هذا اسم للمطبعة في اللوحة التذكارية لإنشائها، حيث ورد ذكر اسمها «دار الطباعة، كما ورد في البيت الثالث من هذه اللوحة. هائف سعيدة سولیدی تاریخ تامتی دار الطبعه در بندکی مصری اصبح ثم تجد في أول مطبعاتها، وهو القاموس العربي من الإيطالية إلى اسمها في الجزء الأخير من القاموس، «مطبعة صاحب السعادة، إذ كتب في أسفل أولى صفحاتها هذا الجزء: «تم الطبع في بولاق بمطبعة صاحب السعادة، واسمها في العدد الثالثة وتسعة فبراير ٢٠٠٨م

أول كتاب أصدرته مطبعة بولاق هو قاموس للغتين العربية والإيطالية من وضع الراهب روفائيل



كتاب ألف ليلة وليلة، طبع عام ١٢٧٩ م. يتميز بالإصدارات المهمة لمطبعة بولاق، مرة أخرى تغير اسم المطبعة ليصبح «مطبعة عبدالرحمن رشدي بولاق» وذلك بعد أن وهبها الوالي محمد سعيد باشا إلى عبدالرحمن رشدي. وجدير بالذكر أن عبدالرحمن رشدي «عاد ترتيب وصاع لمطبعة، وأصدر مجموعة كبيرة من الكتب المهمة. نلاحظ أيضاً الروحة والتزيين لضفحة الخلاف الداخلي للكتاب

في حصل الناطق والصلامت الى غير ذلك على ما شاهد من الامثلة  
ولبس الحال في قوله تعالى انا اعطيناك الكوثر مع صاحبها  
كذلك قال وادرك ان زرت اه اقول ودود اسم الشقيقة كما ان  
تيجني في بيت الحر يرى اسمها ايضا الورود بالفتح ما يشم وبالكسر  
الجزء يقال قرأت وردى وخلاف المصدر وبمعنى الورد  
وهم الذين يردون الماء ويوم الحجي يقال وردته الحجي وبالمضم  
جمع ورد على مثال جون وجون ويقال فرس ورد  
واسد ورد وهو الذي بين الكلب والاشقر قال ومثل  
الحنياء اقول يقال فرس اخيف بين الحنياء اذا كان  
لا يدي عينه زرقاء والاخرى سوداء  
لا ومثل الرقطاء اقول الرقطه سوداء  
يشوبه قط يابض يقال دجاجة  
رقطاء والله اعلم  
قد وقع الفراغ من طبع هذه الحاشية الجليلة للسيد السند على  
المطول بعرفة الحاج ابراهيم صائب نال ما نساها في اوائل  
شعبان سنة احدى واربعين وما تين  
والف من هجرة من له العز  
والشرف ف

كتاب «حوار السيد على الملول» الصفحة الأخيرة. وقد طبع الكتاب على نفقة أحد المترجمين، وطلع في تاريخ مبكر من عمر مطبعة بولاق سنة ١٢٩١ هـ - ١٨٧٦ م

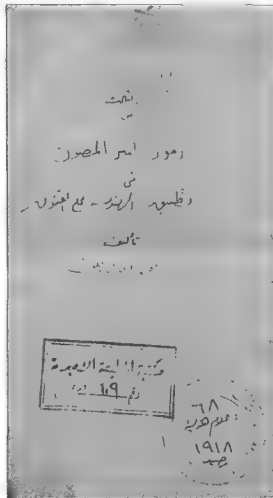
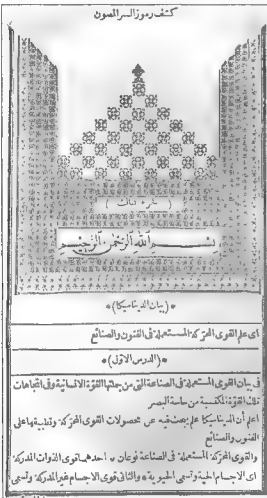
بولاق، كما جاء في آخر كتاب «مراج الوقائع المصرية» مطبعة صاحب الفتوحات السنية بولاق مصر المحمية، او «مطبعة صاحب السعادة الأبدية» والهمة العلمية الصمصية التي أنشأها بولاق مصر المحمية صانها الله من الألفات والبليدة، كما جاء في ختام قانون تأمة السفارة الجديدة إلى غير ذلك من ضروب التقني في التعبير التي يقصدها تسمية المطبعة وتظيم

تكون أحياناً على شكل خبر أو إعلان في شكل تاريخ لانتهاء طبع كتاب في آخره وفي مقدمته وفي هذه الأحوال غير الرسمية يختلف اسم المطبعة باختلاف تمن الكتاب في التعبير. إلا أننا نجد كثيراً في كل الأحوال لبولاق، ثم يضاف إليها عدة أوصاف تختلف باختلاف تشتمل الكاتب في التعبير مثال ذلك «دار الطباعة العاصره الكائنة ببولاق مصر المحسنة القاهرة، كما ورد في أحد أعداد الوقائع او «مطبعة صاحب السعادة

المطبعة الأميرية، Imprimerie Royale كما جاء في مقالة نشرت بالجلد البريطانية في سنة ١٨٢٥ م. لكن نجد أن اسمها في الأوراق الرسمية هو «مطبعة بولاق» حيث إننا نجد الأمرين الصادرين بشأن ضم مخزن التجارة القديم وبناء وصيف لوقيتاين من فيضان النيل وردت باسم «مطبعة بولاق» فيمكننا أن نرى أن اسم المطبعة الرسمي هو «مطبعة بولاق» وأن ما تسمى به من غير ذلك تكون عادة أسماء واردة في كتابات غير رسمية، فقد

الجزء الإيطالي هو «المطبعة الأميرية» إذ كتب في أسفل صفحته الأولى بالخط الكبير كلمة Bolacco، ثم تحته بالخط الصغير Dalla Stampena Reale، لا يهمننا في هذا المقام سوى أن الاسم الثابت هو «بولاق» ففي الجزء العربي وردت بولاق قبل اسم المطبعة، وفي الجزء الإيطالي نجد كلمة Bolacco، بالخط الكبير في سطر مستقل فكان اسم «بولاق» ارتبط بالمطبعة من أول الأمر، ثم نجد أسماء للمطبعة تشبه هذين الاسمين، فبعض السياح كان يسميها

نشأت مطبعة بولاق نشأة بسيطة ولم يتوقع المشرفون عليها ما يستلزم وضع لائحة لتنظيم العمل بها



كتاب «رموز السر المحزون» في تطبيق الهندسة على الفنون» من تأليف محمد الحلواني، طبعة عام ١٢٦٨ هـ / ١٨٥١ م، كان تنوع موضوعات الإصدارات السمة المميزة لنشاط المطبعة. الملاف الخارجى.

وعلى ذلك فإن اسمها الرسمي التاريخي هو «مطبعة بولاق».

في ١٨ يولية ١٨٦١م أدار نوحى أفندى المطبعة لحسابه الخاص عندما قرر سعيد باشا غلقها لتعرضه لأزمة مالية. وفى عام ١٨٦٢م أهداها سعيد باشا إلى عبدالرحمن رشدى فتغير اسمها إلى «مطبعة عبدالرحمن رشدى بيولاق»، ثم عاد اسمها وتغير إلى «المطبعة السنية بيولاق» أو «مطبعة بولاق السنية»، وذلك فى عهد الخديو إسماعيل، حيث ظلت المطبعة سنية من قبضة الحكومة المصرية.

فى عهد الخديو توفيق تغير اسمها للمرة الثالثة ليصبح «مطبعة بولاق الأميرية»، ثم فى عام ١٩٠٣م تغير إلى «المطبعة الأميرية ببولاق»، وفى عام ١٩٠٥ أصبح اسمها «المطبعة الأميرية بالقاهرة»، وبعد قيام ثورة يوليو ١٩٥٢م اهتمت حكومة الثورة بضرورة الاهتمام بالمطبعة الأميرية.

فى عهد الرئيس جمال عبدالناصر أنشئت وزارة الصناعة فى عام ١٩٥٦م، وصدر قرار لرئيس الجمهورية بإنشاء هيئة عامة للمطابع تلحق بوزارة الصناعة والمطابع عليها «الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية»، وتكون لها شخصية اعتبارية، وتختص بإدارة المطبعة الأميرية والمطابع التابعة لها، وجميع المطابع الحكومية الأخرى التى تضم لها بقرار من رئيس الجمهورية.

## سياسة العمل بالمطبعة

لم يكن لمطبعة بولاق أى لائحة أو قانون وقت إنشائها لأن اللوائح والقوانين وما يجرى مجراها لا تكون وليدة الحاجة، وقد نشأت مطبعة بولاق نشأة بسيطة ولم يتوقع المشرفون عليها ما يستلزم وضع لائحة أو قانون لتنظيم العمل بها لكن سرعان ما تقصت أحوال المطبعة، ودعت إلى إس القوانين الخاصة بها. وتحديد سياسة لطبع بها ووضع نظام للرقابة على مطبوعاتها. ارتبط إصدار هذا القانون بحادثة معينة كما جاء فى مذكرات بروكى: «كان من بين مدرسي مدرسة الفنون ببولاق مدرس إيطالى اسمه ميبيلتى، وكان قد نظم قصيدة طويلة سماها «ديانة الشريكين»، طعن فيها كثيراً فى الدين الإسلامى، وأظهر له وكان فى الكتاب ما

وعضب الباشا على المسابكى غضباً شديداً وكاد أن ينزل به عقاباً يتناسب مع حجم جرمه ولولا توسط عثمان أفندى نور الدين لأنزل به أذى كبيراً، لذلك أصدر محمد على باشا أمراً بتاريخ ١٢ يولية سنة ١٨٢٣م، ٤ ذو القعدة سنة ١٢٣٨هـ يحرم على كل الأوروبيين طبع أى كتاب فى مطبعة بولاق إلا إذا استصدر مؤلفه أو ناشره إذنًا خاصاً من الباشا بطبعه، وفرض عقاباً شديداً على كل من يخالف هذا الأمر. ذلك هو القانون الأول للرقابة على المطبوعات فى مصر والناسبة التى أدت إليه. جدير بالذكر أن محمد على كان شديد العناية والحرص على اختتام الأسرة المالكة، والتي كانت تستخدم فى مهر الوثائق الرسمية؛ لذلك كانت لديه

يمرى بالإلحاد وما ينتسب من احترام علماء الدين. وقد اتفق ميبيلتى سراً مع نيقولا المسابكى ناظر مطبعة بولاق على طبعها بالمطبعة ووافق المسابكى وتمهد له بذلك مع علمه بصفاته ذلك للتقاليد واحترام الدين، فقد شجعه عليه عدم وجود قانون لرقابة المطبوعات. قال الراوى: «وكان «سولت، قنصل إنجلترا فى مصر وقتئذ عدواً للنظام الإقطاعى فرأى فى هذا العمل مناسبة للإيقاع به فنقل إلى الباشا خبر ذلك الكتاب وكشف له عن طبعه بالمطبعة الإسلامية وأظهره على خطره، والحاد معانيه وفحش الفاضلة بدرجة يستحيل معها أن توافق أى سلطة أوروبية. فضلاً عن سلطة إسلامية». على طبعه. قال: «فأمر الباشا بمخطوط الكتاب فأقضى به فى النار.

## أمر الباشا بمخطوط الكتاب فألقى به في النار، وغضب على المسايكي غضباً شديداً

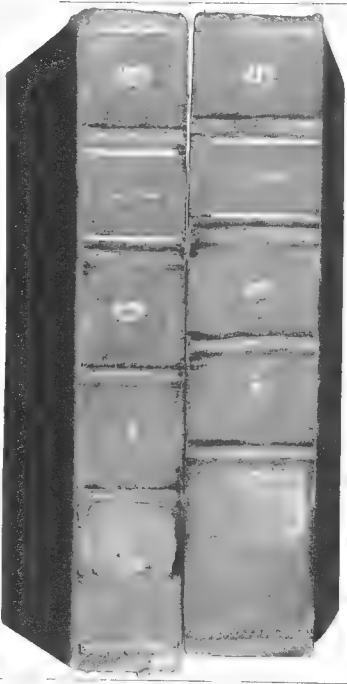
الكتاب وهي أغلب الأحيان ينص الأمر على عدد النسخ اللازمة منه وبعد صدور أمر الباشا بالطبع يصحب واجباً على المطبعة أن تقوم بذلك في أقصر مدة ممكنة وتقدم النسخ المطلوبة من الكتاب، أما الكتب الخاصة بالمدارس فإن كانت خاصة بالمدارس العامة والاولية، فيصدر أمر الباشا مباشرة إلى وكيل الجهادية أو رئيس ديوان المدارس بطبع الكتاب مع تحديد عدد النسخ التي تطبع، ويصدر هذا الأمر تطبع النسخ المطلوبة من الكتاب في المطبعة.

أما إذا كان الكتاب خاصاً بمدرسة من المدارس الخصوصية كمدرسة الطب البشري أو مدرسة الطب البيطري أو إحدى المدارس الحربية، التبغ في طبع الكتاب نظام آخر، وذلك لأن هذا النوع من الكتب لا يحسن تقديره رجال الحكومة، وإنما يحسنه أساتذة المدارس فهم أعرف بما يلائم المتلاميذ، وما يحتوي كل كتاب من القدر الكافي من المعلومات، وعلى ذلك كان النظام المتبع يرجع إلى أساتذة كل مدرسة من المدارس لاقتراح ترجمة كتاب وطبعه، ثم يعرض على باقر المدرسة الذي يعرض بدوره على لجنة من أساتذة المدرسة لتقرر فيه فإن ظهرت فائدته قررت ترجمته وطبعه، وكما يحدد الأمر بطبع كتاب عدد النسخ التي تطبع منه فإنه يحدد كذلك نوع الطبع إلى كان على مطبعة الحروف أو على مطبعة الحجر، ولما كان أغلب الطبع على مطبعة الحروف، فقد أهمل ذكره في الأوامر، وإنما هذا يتضح في أوامر طبع كتاب على مطبعة الحجر فقد كان يشتر إليه كما حدث في طبع مقامات في فن الموسيقى، وبعد الانتهاء من طباعة النسخة الأولى من الكتاب يتم تسليم نسخة منه إلى مصدر أمر الطباعة كسروية ليتم مراجعتها.

وهناك نوع آخر مما كان يطبع على نسخة الحكومة وهو القوانين وما يشبهها وكان يصدر بها أيضاً أمر من الباشا إلى من يبدد رئاسة المطبعة، من ذلك أمر من محمد علي باشا إلى وكيل الجهادية موجزه،

طبع مقدار وأمر من قانون الاستبدالات، والمستشفيات، التي تمت ترجمته بعد تنقيحها وموافقتها لأصول الحكومة.

وكان لا بد للملتمتر الذي يريد أن يطبع كتاباً أن يستصدر أمراً من الباشا بطبع كتابه في



كتاب قدوم من سينا هو يوسف وهباني عرس - قدس عاتق في نظره - يحضر دون مخطوطات عديدة شهيرة نقاش في الخ - وهو موسوعة جمعة خلاصة على كتب عبد الحريق وأروما من شهر - معاً في حديث - ذكره على من الحضر كتاب - مدون في الطب - وهو موسوعة منهجية اعتمدت في مظهرها على خلاصة الفيزياء الطبية الإمبريقية في عصر الإمبراطور - رومانية إضافة إلى الأعمال العربية

في فصل متأخر ولم يصدر قانون آخر من هذا النوع إلا عندما أنشئت المطابع الخاصة بالأفراد في عهد سعيد باشا، مما أدى إلى إصدار ناس قوانين الرقابة على المطبوعات في مصر في ٢٧ جمادى الأولى سنة ١٢٧٥ هـ. أول يناير سنة ١٨٥٩ م وسيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

والأصل في مطبعة بولاق أنها كانت مطبعة حكومية أنشئت خصيصاً لطبع ما يحتاجه الجيش من التعليمات والقوانين وكتب الأمن الحربي، تطبع على نفقة الحكومة ثم توزع على من كانوا في حاجة إليها، فالأصل في الطبع بالمطبعة إذن أنه كان على نفقة الحكومة والأصل في مطبوعاتها كانت حكومية.

ولكننا نجد في بعض المصادر ما يثبت أنه كان في المطبعة نوع آخر من الطبع كان يتم على نفقة أشخاص من الأهل من لهم اهتمام بطبع الكتب والتجارة فيها وكان هؤلاء يسمون، الملتزمون، ورد في باب الإعلانات من أحد أعداد الوقائع المصرية الإعلان التالي:

«إن بعض كتب الملتزمين الجارية طبعها في دار الطباعة العامة الكاشنة بولاق مصر القاهرة قد تم في هذه الأيام ونفقت بعض الملازم الحالية فمن أراد طبع كتب على ذمته بتمن حين في مدة هلمه بالذهاب إلى نحو المطبعة المذكورة.

ونحن لا نعرف متى ولا كيف ابتدأ الطبع في المطبعة لحساب الملتزمين، كذلك لا نعرف أول ملتمز طبع كتاباً على نفقته بالمطبعة، ولا المناسبة التي أوجدت ذلك النوع الجديد من الطبع، وأقدم نص عندنا ورد فيه ذكر طبع كتاب على نفقة شخص يرجع تاريخه إلى سنة ١٨٣٩ م وهو خطاب الدكتور بيريون، ناظر مدرسة الطب المصرية أرسله إلى المسيو - جويل - مل، جاء فيه، «سبق أن أرسلتكم في مشروع طبع كتاب أخبار الشراء الجاهليين، وقد عزمنا الآن على طبع هذه الأخبار التي وردت عن أولئك الشعراء في كتاب الأغاني هنا في بولاق، ورجعنا لطبعها فيها أيضاً فاسموس العبرو زبادي».

وفي كلتا الحالتين يتضح أن نظام طبع الكتب الخاصة بالجيش في مطبعة بولاق هو أن يصدر الباشا أولاً أمراً بالترجمة والطبع أو بالطبع فقط، وقد يكون صدور هذا الأمر بناءً على رغبة خاصة منه في طبع كتاب أو قانون، أو قد يكون بناءً على طلب من ديوان الجهادية يرد عليه الباشا بإصدار أمر طباعة





إصدارات  
دار الشروق

الأعمال الكاملة

# نجيب محفوظ

في عشرة مجلدات ذهبية فاخرة



# كتاب قرأته 2007



وكان بين مجالات الاختيار مثلاً أحسن رواية جنسية وأحسن رواية بوليسية.

ما نقدمه هنا يمكن اعتباره استطلاعاً يقدم فيه مثقفون ومتابعون للشأن الثقافي رؤاهم وانحيازاتهم، بعضهم، كما سنرى، تحدثنا عن عشرة كتب، فيما آثر آخرون أن يتناولوا كتاباً واحداً، الدكتور جلال أمين، من جانيه اختار أن يحدثنا عن شيء مختلف: مقالات يومية لكاتبة يقدرها.

ونشير أخيراً إلى أننا وضعنا أسماء من طلبنا منهم اختيار قراءاتهم في ٢٠٠٧ أبجدياً تقديراً منا لهم جميعاً وعرفاناً بالفضل. 📖

الفسزالي

📖 ليس هذا استفتاء حول الأفضل، خصوصاً أن العام الجديد يدخل شهره الثاني وقد مضى أوان الاستفتاءات من هذا النوع، لكن معرض القاهرة الدولي للكتاب في دورته الأربعين قد يكون مناسبة لجردة حساب، نجرها حول ما قرأنا في عام مضى. في العدد الماضي قدمنا الأفضل من وجهتي نظر أمريكية وفرنسية، عبر ترجمة قائمة نيويورك تايمز، ومجلة «لير»، وقد اختارت كل منهما طريقة وجدت أنها الأنسب للوصول إلى نتائج مقبولة، أو معبرة نسبياً عن سوق الكتاب، نيويورك تايمز أفسحت مجالاً أمام عدد من النقاد الثقافات لاختيارات مفتوحة حول الكتاب الأفضل، «لير»، الفرنسية وضعت قائمة بمجالات حددتها وانزمت بها من انتدبتهم للاختيار،





## الأبرز ٢٠٠٧

● في قلب عاصمته... حورج سبب ردّ لكاتب عربي

سمسمه عربيه بفرحه

● حتى وإن كانت مذكرات السياسيين عاجزة دائماً عن أن تحمل الحقائق كلها، فإنها تقرّ على الأقل بين السطور وربما لحجم المسكوت عنه فيها، أكثر مما لحجم ما تحمله. من هذا الصنف هذا الكتاب الهام الذي كتبه الرئيس الأسبق «سي إن إن»، حول السنوات التي أمضاها في هذه المؤسسة التي - في الوقت نفسه ترصد ما يحدث في العالم - تصنع أيضاً جزءاً كبيراً مما يحدث. ومن هنا أهمية فصول في هذا الكتاب تتحدث عن «الحرب على الإرهاب» وإعصار ٩/١١، وحرب أفغانستان وحرب العراق، إذ تروي لنا «من الداخل».

● ان جدد النجاء الذي التمس

● نعرف منذ زمن بعيد أن هناك شاعرين عربيين حين فقط، يشكل صدور كتاب لواحد منهما حدثاً ثقافياً يعيشه العالم العربي والقراء العرب كإضافة جديدة إلى الإبداع العربي. وهذان الشاعران هما محمود درويش وأدونيس. ومن هنا، طبعاً، الاحتفال بهذا الكتاب الجديد لمحمود درويش حتى وإن كان قد ضم ما سبق أن قرأوه من قبل في صحف ومجلات وسمعوه في بعض المناسبات.

● قد نل بعدة جوائز

● كان الأكثر يعرفون أنه مريض منذ زمن. ومع هذا حين أعلن خريف ٢٠٠٧ عن رحيل الكاتب الأمريكي نورمان ميلر، بوغت كثر بهذا الرحيل، ذلك أن «فتى الأدب الأمريكي المشاكس»، هذا، كان من الحضور والصخب بحيث من الصعب تصوّر الحياة الأدبية الأمريكية - وربما العالمية أيضاً - من دونه. وهو إذ كان أصدر قبل وفاته بفترة قصيرة روايته «الأخيرة»، هذه، كان من الطبيعي أن تقرّ الرواية وترجمت إلى لغات عدة... ثم أن تعتبر وصية له، خصوصاً أن ميلر يدنو هذه المرة من موضوع وشخصية لطلما أرقّاه: ولادة الشر وأدوافه هتلر.

● وادعاً فيها «الأسبراكه» حوارات مع طوبى يهرى.

● وأوضح أن كل شيء هنا في العنوان... وفي اسم المحاور. إذ حين يرضى منظر الإرهاب اليساري السابق في إيطاليا ونزيل السجون الفرنسية والإيطالية حيث أمضى سنوات أثارت ضجيجاً، بأن يودّع الاشتراكية على هذا النحو، يصبح من الضروري إعادة النظر في عدد لا بأس به من المسلمات الفكرية. نيفري، ومنذ إطلاق سراحه قبل سنوات، يعتبر من كبار فلاسفة نهاية القرن ٢٠ وبداية القرن ٢١. لكنه هنا يحاول أن يقول، ليس فقط لماذا فشل المثل الأعلى الاشتراكي... بل كذلك... لماذا أن تقوم له هائلة بعد الآن.

● في حرجه بكنه لول وسبر

● منذ عقود طويلة وكتب الأمريكي بول أوستر تحظى بنجاح كبير، حتى وإن كان هذا النجاح لم يجعل منه، حتى اليوم، كاتباً شعبياً أو جماهيرياً. فاستمر، منذ «الثلاثية النيويوركية» وحتى اليوم، يصير على قيم في الكتابة، تجعل أديه خالصاً وأدياً ذا مفايح. وإذا كان بعض هذه المفايح قد بدا منغلّقا على فئة من قرائه، فإن «روايته» الجديدة هذه تأتي لتوفرها... من هنا اعتبرت هذه «الرواية» رواية الروايات في مسيرة بول أوستر. ■

● في انتظار صدور الترجمة العربية لثلاثية إريك هويسباوم، التي باتت شهيرة الآن، حول تاريخ العصور الحديثة، يمكن قراءة هذه الترجمة للجزء الأول من الثلاثية، والصادرة عن «المنظمة العربية للترجمة» في عنوان «عصر الثورة»، بوصفها أحد الأعمال الكبيرة الرائدة في مجال التاريخ السياسي والاجتماعي لأزماننا هذه. الجزءان الأخيران هما «عصر رأس المال» و«عصر الإمبراطورية».

● ان جدد النجاء الذي التمس

● لعل هذا الكتاب الصادر في العربية عن منشورات مكتبة الإسكندرية، العمل الأفضل والأشمل الصادر عن صاحب «المقدمة» لمناسبة الاحتفالات الثقافية العالمية بذكره، ذلك أنه في مجموع دراساته قدم نظرة شاملة ليس إلى عمل ابن خلدون فقط، بل إلى زمنه وإلى المحيط الجغرافي العام الذي شمل اهتماماته: البحر الأبيض المتوسط، عمل مميز حتى وإن كانت المساهمات العربية فيه تبقى قارئة لغة الضاد على طمّنه.

● «ذكريات وأشواق» لنجيب الريحاني (منشورات مهرجان الفاهرة

● لن يكون من المبالغة القول إن صدور هذا الكتاب، الذي كان غائباً منذ عقود، شكل واحداً من الأحداث الأساسية خلال انعقاد دورة ٢٠٠٧ لمهرجان القاهرة السينمائي الدولي. إذ مهما كان من شأن الكتب والدراسات التي سبق نشرها عن نجيب الريحاني، يظل مميزاً في هذا الكتاب أنه يقدم لنا رائد الكوميديا العربية، ويقلّصه، إنساناً من لحم ودم وعواطف، كما يرسم صورة شاملة لعصر ذهبي من الفن لم يكن للحدود الجغرافية مكان فيه.

● هذا الكتاب الذي صدر جامعاً حوارات أجريت قبل سنوات عدة، ونشرت في صحيفة «الحياة» ومجلة «الوسط»، لرئيس تحرير «الحياة»، يمكن اعتباره واحدة من أفضل وأوضح المحاولات لهم ما يحدث في لبنان، الآن بالتعديد، ذلك أننا لسنا هنا أمام حوارات عادية أجريت، سؤالاً وجواباً، مع أربعة من أبرز صانعي السياسة في لبنان الحديث، بل أمام سير لأغوار أفكارهم وسير لأغوار الوضع اللبناني الراهن. هو في اختصار درس في الصحافة السياسية، كما في الكتابة الشيعة التي لديها حقاً ما تقوله.

● بهذا الجزء الثالث والأخير الذي صدر هذا العام، يكون الكاتب الروائي اللبناني يبيع جابر أكد لثلاثيته حول مدينة بيروت وتاريخها» خلال القرنين الأخيرين. بيد أن على كلمة «تاريخ»، ألا تخدعنا هنا. ذلك أن العمل رواثي يتعامل مع شخصيات تتدفق حياتها على الصفحات أمامنا، وتقطع الأزمنة حيث ودّهايا. مع هذا الجزء الثالث، لا شك أن أي كثرير من القراء سيمودون إلى قراءة الجزئين الأولين لعمل يقطع الأنفاس ويقدم بيروت وأهلها كما لم يقدموا من قبل في أي عمل رواثي آخر.

● بهذا الجزء الثالث والأخير الذي صدر هذا العام، يكون الكاتب الروائي

● بهذا الجزء الثالث والأخير الذي صدر هذا العام، يكون الكاتب الروائي اللبناني يبيع جابر أكد لثلاثيته حول مدينة بيروت وتاريخها» خلال القرنين الأخيرين. بيد أن على كلمة «تاريخ»، ألا تخدعنا هنا. ذلك أن العمل رواثي يتعامل مع شخصيات تتدفق حياتها على الصفحات أمامنا، وتقطع الأزمنة حيث ودّهايا. مع هذا الجزء الثالث، لا شك أن أي كثرير من القراء سيمودون إلى قراءة الجزئين الأولين لعمل يقطع الأنفاس ويقدم بيروت وأهلها كما لم يقدموا من قبل في أي عمل رواثي آخر.

# الأكثر مبيعا

مكتبة الشروق

مكتبة الشروق

## كتب إنجليزية

## كتب عربية

## كتب إنجليزية

## كتب عربية

1. The Secret Rhonda Byrne Aina
2. The 7 Habits of Highly Effective People Stephen Covey
3. Yacoubian Building Alaa Al Awany (AUC press)
4. A Thousand Splendid Suns Khaled Hosseini (Riverhead)
5. The Great War for Civilization Robert Fisk (Harper Perennial)
6. Love in the Time of Cholera Gabriel Garcia Marquez (Vintage)
7. The Kite Runner Khaled Hosseini (Riverhead)
8. The Witch of Portobello Paulo Coelho (Harper Perennial)
9. The Alchemist Paulo Coelho (Harper Perennial)
10. Men are from Mars Women are from Venus John Gray (HarperCollins)

- ١- تاكسي. خالد الخميسي (دار الشروق)
- ٢- شكلها ياقلت. عمر طاهر (أطلس)
- ٣- شيكا جيو - علاء الأسواني (دار الشروق)
- ٤- ماذا حدث للمصريين - جلال أمين (دار الشروق)
- ٥- مقتل الرجل الكبير - إبراهيم عيسى (ميريت)
- ٦- ماذا علمتني الحياة؟ - جلال أمين (دار الشروق)
- ٧- نصف الأدمة - خيرى شلبى (دار الشروق)
- ٨- كايين مصر - عمر طاهر (أطلس)
- ٩- التلمصص - صنع الله إبراهيم (المستقبل العربي)
- ١٠- قرية طانة - محمد كامل حسين (دار الشروق)

1. The Yacoubian Building Alaa Al Awany (AUC Press)
2. Cairo: The Practical Maps
3. Witch
4. Let's Explore
5. Harry Potter and the Deathly Hallows (Book 7) J.K. Rowling - Arthur A. Levine Books
6. Egyptian Arabic Phrasebook (AUC Press)
7. Egyptian Palaces and Villas - Shirley Johnston and Sherif Sonbol (AUC Press)
8. Khul-Khaal: Five Egyptian Women Tell Their Stories - Nayra Atiya (AUC Press)
9. The Alchemist - Paulo Coelho - (HarperCollins)
10. Goodnight My Cairo - Mandy and Helmi El Touni (SunFlower Books)

- ١ - شيكا جيو - علاء الأسواني (دار الشروق)
- ٢ - تاكسي - حواديت المشاوير - خالد الخميسي (دار الشروق)
- ٣ - ماذا علمتني الحياة؟ سيرة ذاتية - جلال أمين (دار الشروق)
- ٤ - أولاد حارتنا - نجيب محفوظ (دار الشروق)
- ٥ - ربا عيات الخيام - أحمد راسي (دار الشروق)
- ٦ - ماذا حدث للمصريين - جلال أمين (دار الشروق)
- ٧ - سنوات مع الملك فاروق - د. حسين حسنى (دار الشروق)
- ٨ - شكلها ياقلت - عمر طاهر (أطلس)
- ٩ - فاروق الأول وعرض مصر - بزيوغ واعد - وأقول حزين (١٩٢٠ - ١٩٦٥).
- ١٠ - الدكتور لطيفة سالم (دار الشروق)
- ١١ - ستون عاما من الصراع في الشرق الأوسط: شهادات للتاريخ - الدكتور بطرس بطرس غالى (دار الشروق)

كتب إنجليزية

## كتب عربية

شبكة من مكتبات

1. Yacoubian Building Alaa Al Awany (AUC press)
2. The Secret Rhonda Byrne Aina
3. The Kite Runner Khaled Hosseini (Riverhead)
4. A Thousand Splendid Suns Khaled Hosseini (Riverhead)
5. The Alchemist (Paulo Coelho)
6. Men are from Mars Women are from Venus John Gray (HarperCollins)
7. Harry Potter and the Deathly Hallows (Book 7) J. K. Rowling - Arthur A. Levine Books
8. Perfume - Patrick Suskind (Vintage)
9. Who moved my cheese- Spencer Johnson (Vermilion)
10. Blink- Malcolm Gladwell (Black Bay)

- ١ - شكلها ياقلت. عمر طاهر (أطلس)
- ٢ - شيكا جيو - علاء الأسواني (دار الشروق)
- ٣ - تاكسي. خالد الخميسي (دار الشروق)
- ٤ - عمارة يعقوبيان - علاء الأسواني (ميدبول)
- ٥ - ماذا علمتني الحياة - جلال أمين (دار الشروق)
- ٦ - ماذا حدث للمصريين - جلال أمين (دار الشروق)
- ٧ - كايين مصر - عمر طاهر (أطلس)
- ٨ - ساحر الصحراء - باوكو بوكو (دار الهلال)
- ٩ - أولاد حارتنا - نجيب محفوظ (دار الشروق)
- ١٠ - التلمصص - صنع الله إبراهيم (المستقبل العربي)

- Hallows (Book 7) J. K. Rowling - (Arthur A. Levine Book)
- Angels and Demons: Dan Brown (Pocket Star)
- أولاد حارتنا - نجيب محفوظ (دار الشروق)
- Men are From Mars, Women Are From Venus John Gray (Harper Collins)
- The Alchemist Paulo Coelho (Harper Perennial)

- ١ - شيكا جيو - علاء الأسواني (دار الشروق)
- ٢ - تاكسي - خالد الخميسي (دار الشروق)
- ٣ - عمارة يعقوبيان - علاء الأسواني (ميدبول)
- ٤ - Zahir Paulo Coelho (Harper Perennial)
- ٥ - نباتات الرياض - رجاء الصانع (رياض الريس)
- ٦ - Harry Potter and the Deathly

## موقع النيل والنزلات

التيكسان

- ٦ - التحار حمار - مجموعة قصصية - حسن مفتي
- ٧ - خواطر شاب - أحمد الشقيري
- ٨ - أعظم سجين في التاريخ - عناصر القرنى
- ٩ - أطلس تاريخ الأنبياء - سامى العلوت
- ١٠ - الأطلس التاريخي - تسيرة الرسول ﷺ - سامى العلوت

- ١ - لا تحزن - عائش القرني
- ٢ - أسعد امرأة في العالم - عائش القرني
- ٣ - ابتسم - عائش القرني
- ٤ - سعوديون في أمريكا - تركى الدخيل
- ٥ - موسوعة جابر لطب الأعشاب - جابر القحطاني

- ٦ - اختلاس - هاني نقديدي (دار الساقي للطباعة والنشر)
- ٧ - بلاهات مبتكرة - ريم المواتي (المؤسسة العربية للدراسات والنشر)
- ٨ - الجاوعة - مبارك على الدعيج (رياض الريس للكتاب والنشر)
- ٩ - حب في السعودية - إبراهيم بادي (دار الآداب)
- ١٠ - الآخرون - صبا الحيز (دار الساقي للطباعة والنشر)

١. التحول. النهوض التاريخي لشركة تيكان. كركوس غص (الدار العربية للعلوم - ناشرون)
٢. حكومة الظل. منذر القبانى (الدار العربية للعلوم - ناشرون)
٣. شيكا جيو - علاء الأسواني (دار الشروق)
٤. عيب. إبراهيم محمد النملة (دار الساقي للطباعة والنشر)
٥. الدود. بلوان السهيبي (دار الفاراني)



## أعمال

## نجيب محفوظ

## الكاملة



الأعمال الكاملة لنجيب محفوظ  
القاهرة: دار الشروق، ٢٠٠٧

من المؤكد أن كل قارئ جدي  
للعربية، وكل قارئ محب للرواية، يملك  
في مكتبته المنزلية نسخاً لعدد لا بأس  
به من روايات نجيب محفوظ، فالطبائع  
متوافرة، أصيلة، مزيفة، معظمها صدر  
في القاهرة، لكن بعضها صدر في عواصم  
عربية أخرى. بعض البعض يعمل  
الأغلفة الشهيرة ذات اللوحات الرائعة  
الموقعة من الفنان جمال قطب، أما  
البعض الآخر فربما حمل أغلفة مفتعلة  
أخرى، هناك في شدة من الاختصار،  
فوضى ما في حضور نجيب محفوظ  
وأدبه الكبير، في المكتبات المنزلية أو حتى  
بالفردوس، وعلى الأقل ما للنسبة إلى الذين  
اكتشفوا منذ البداية أن شمة طريقة  
خاصة لقراءة نجيب محفوظ، هي غير  
الطريقة «العنوانية»، التي يقرأ بها هذا

الأدب صادق، تبعاً لصدور الروايات –  
والقصص – أو تبعاً لإمكان الحصول  
عليها في الأسواق.  
ذلك أن شمة، بالفعل، طريقة محددة  
– إنما غير متوافرة دائماً، وتبدو أحياناً  
لطالبها المتعة فقط في أدب عميد الرواية  
العربية، غير ضرورية تماماً. وهذه  
الطريقة هي الإجابة المنطقية التي  
تنطرح أمام من يجد نفسه – من بين  
مدمني نجيب محفوظ – أمام سؤال  
بديهي: ماذا يمكننا أن نفعل بأدب نجيب  
محفوظ، بعد أن نفرغ من قراءة «حلقته»،  
مرة ومرات؟ الإجابة هنا هي نشره من  
جديد، ولكن ليس على شكل حلقات ولا  
على طريقة تاريخ مصور الروايات  
والقصص.. بل بالطريقة التي قد  
تكتشف يوماً أن محفوظ نفسه،  
بمقرئته الفذة ومكره الرائع، أوصى بها  
إليها.

للمخرج السينمائي الفرنسي  
الكبير جان. لوك غودار (الذي هو أيضاً  
كاتب كبير ومما أكر، حتى وإن كان أكثر  
ينسون هذا في بعض الأحيان) عبارة  
رائعة تقول: «بالتأكيد شمة لكل فيلم  
بداية ووسط ونهاية.. ولكن ليس من  
الضروري أن تقرأه على فيلم على مثل  
هذا الترتيب، والحقيقة أن شمة عملاً.  
بين أعمال أخرى – لنجيب محفوظ.  
يكاد يترجم هذه العبارة تماماً، حتى وإن  
كنا نعرف أن كثيراً من النقاد والدارسين  
والقراء أيضاً، يعتبرونه عملاً ثانوياً.  
والعمل هو «حديث الصباح والمساء»،  
حيث يصح استنادنا الكبير الراجل  
قاسوساً – لعشرات الشخصيات مرتبة  
بحسب أجيالها أسماءها بصرف النظر  
عن تاريخ وفاتها. أو تواريخ الولادات  
المتعددة نحو قرنين من الزمن.  
والقريب، أن أول اسم في «القاسوس»،  
هو «إبراهيم»، فيما الاسم الأخير هو  
«يزيد»، مع أن يزيد هو الجد الأكبر  
للسلالة التي يتناولها «القاسوس»، بينما  
إبراهيم هو الوليد الأحدث



للوهلة الأولى تبدو الشخصيات  
منتمية، وراثياً، إلى هذا العمل والتحديث.  
وتبدو كما لو أن محفوظ رتبها هنا كي  
يصوغ من خلال تحليله لها، رواية كبيرة  
.. تتناول تاريخ مصر خلال ٢٠٠ سنة –

غير أننا سرعان ما نكتشف، بعد أن نمر  
هذه الفكرة في خاطرننا للوهلة الأولى،  
أن ما رسمه محفوظ هنا إنما هو لعبة  
مكررة، رسم سمات كل رواياته الصافية  
وشخصياتها، ولم يرسم شخصيات رواية  
لاحقة، ومن لا يرى هذا الرأي، حسبه  
الأن أن يشتغل على كل أدب نجيب  
محفوظ وقد صان، أمام ناظره في هذه  
الطبعة الشاملة الأدبية والسهلة  
الاستعمال التي صدرت بدايات هذا العام  
(٢٠٠٧) هي دار الشروق.



فإذا وضع المرء هذه الطبعة أمامه،  
وجال ذهنه خصوصاً في «حديث الصباح  
والمساء»، ثم انفضط على أعمال أخرى  
ثانوية، كـ «ثمن، مثل «الحرايا»، و«حكايات  
حارتنا»، سيدرك من فورة ما الذي نعتبه  
حين نتحدث عن «قراءة أخرى، نحب هنا  
أن نسميها «محفوظية».. أدب محفوظ.  
وهي قراءة لا تحمل «البداية»، والوسط،  
والنهاية، على مثل هذا الترتيب  
المنطقي، بل تحملها تبعاً لترتيب  
الحفظي. وهو ترتيب مكرر، شديد  
الدكاء. يقول أول ما يقول لنا: كم كان  
هذا الأدب الكبير، حين يكتب. يفكر  
فيها، نحن مشعر قرائه، وكم كان يهندس  
من أجلنا، وكم كان يعرف أن ما ينتجه  
إنما هو مشروع متكامل، له معانيه  
شديدة الوضوح إنما تسمى على ما لا  
يحق بحدوث.. أي يقرأ بتداه. فهنا، لا  
يد من أن نذكر مرة أخرى، بأن كاتباً شديد  
الدكاء والدهاء – كنجيب محفوظ، لم يكن  
ليتموه لي كل لحظة وهو يكتب، أنه إنما  
يكتب، أولاً وأخيراً، لقارئ شديد الدكاء،  
طبعاً لا نعتي بهذا أن الملايين الذين  
يقارون محفوظ، هم من هذا النمط،  
ومحفوظ نفسه لم يكن يوماً يحلم بهذا،  
وربما يمكن سره الأكبر مما هي أنه إذا  
كان ينتمي إلى زمن محمد، فلا شك في  
أنه ينتمي أكثر ما ينتمي إلى الزمن  
الفاطمي، المبني أيديولوجياً على الظاهر  
والباطن. وأية ذلك أن أدب محفوظ كله  
مبنى على الظاهر والباطن.

غير أن هذه الحقيقة لا تلوح إلا لمن  
يقرأ محفوظ بتداه.. ولن يقرأه أيضاً  
كله كمن أدب واحد.. وهنا إذ تقول، متناً  
أدبياً، نعتي كذلك متناً فكرياً فلسفياً  
وأيديولوجياً ودينياً واحداً.

وهذه القراءة هي التي تؤمنها اليوم  
هذه الطبعة لأعمال نجيب محفوظ،  
هم حلالها، باعتبارها – أيضاً – متناً  
هندسياً واحداً – يمكننا بشيء من الشفط  
والصبر، أن نجد كاتباً يحكي لنا، ليس  
لتاريخ مصر، بل «التاريخ الجواني» لـ «مصر».  
وليس تاريخ الأديان، بل التاريخ الإنساني  
والواقف، كما خيل إلينا دائماً، بل التاريخ  
الذهني، أي غير المرتب زمنياً، لكل هذا،  
من هنا، إن قرأنا نجيب محفوظ في هذه  
الطبعة الشاملة على ضوء  
سيكولوجي يلتقي فيه محفوظ مع  
جوانية عثمان أمين، كما مع البعد  
الإنساني في تحليله فرويد، على ضوء  
وفديته الليبرالية وتأثره بتقدمية محمد  
عبد، يصبح أمامنا نوع من الكشف عن  
الحقيقة المشروع المحفوظي، هذا المشروع  
الذي سيبدو لنا، الآن، متكامل لا يمكن  
زيادته ولا نقصائه، ولعل في هذا الكشف  
ما يجيب على أسئلة كثيراً ما حيرتنا،  
وهي أسئلة كثيرة قد تتوارى بين، إلماًذا،  
رفض محفوظ دائماً أن يكتب سيناريو  
لقصة أو رواية من أعماله التحول إلى  
السينما؟، وماذا حل بالمرء الفيلسوف  
الذي كان محفوظ يعبر عنه في عمله  
بـ «الكاتب»؟، ومن أين كان محفوظ  
يستقي كل تلك المعلومات التي ملأ بها  
رواياته، عن أشخاص حقيقيين لم  
يلتقهم أبداً وعن بلدان لم يرها أبداً؟  
هنا النوع من الأسئلة كثيراً ما غامر  
أذهان الفئة المتقدمة من قراء محفوظ،  
هنا كبراً تتوقف عند أسئلة أكثر إلحاحاً  
بازمان والمكان في أدب محفوظ.. وفي  
يقيننا أن الأجوبة، ما كان يمكن أن تتوافر  
إن نحن بقينا نقرأ محفوظ، كتاباً كتاباً  
وصفحة وصفحة.. إذ إن حالنا هنا هي  
حال من يزور الأهرام وينظر إليه حبراً  
حبراً، فلا يطلع بأي نتيجة.. قبل أن  
يدرك أن الأهرام كل شامل تكمن أهميته  
في كليته هذه.

وهذا ما يدركه اليوم قارئ محفوظ،  
إن قرأه من خلال هذا الحث الشامل  
الجديد، الذي لنا في يمكن أن يقال عنه  
إنه أعاد محفوظ الحقيقي إلى  
محفوظ.. وأعادنا إليهما.

## إبراهيم العريس



من أهم هصول الكتاب ، في ربي التواضع ، الفصل الرابع الذي يتناول المقاومة كمدخل لدراسة السلطة ، أي انه يدرس الاستعداد المدني على القرية من خلال علاقات السلطة التي تجمع بينها ومن خلال تعريف موسع لمشهد السلطة يشمل شبكة العلاقات الاجتماعية . من خلال التركيز على ثلاثة مجالات للمقاومة : التأخر في دفع المقررات المالية التسحب والعصيان ، يوضح الوسائل التي قامت بها القرى وناسها بمقاومة سلطة المدينة ، وهو ذلك يستغرق الدين عادة لا صوت لهم في التاريخ ويفعل ذلك عن طريق تحطيم ما تشكو ومن تشكو منه السلطة من خلال تتبع الاوامر العليا الخاصة بمواجهة هذه المقاومة وتوضيح دراسته كيف ولماذا تنامت ظواهر مثل التسحب في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، بعيداً عن المصولات التفسيرية عن قهر الفلاح وتحملة للظلم ، وتوضيح الأسباب والأليات التي تمت بها عمليات المقاومة والأدوار المختلفة لخلف طبقات أهل القرى دعا في ذلك صغار الملاحين الحائرين والفلاحين العدميين ومشايخ القرى فقد أدت محاولات الدولة المدنية زيادة حصتها من الناتج الريفي ليس فقط إلى العمل على زيادة الإنتاج بل أيضا زيادة نسبتها من هذا الناتج مقابل نسبة الريف ، مما دفع مشايخ القرى إلى محاولات الحفاظ على اصابعهم صغار داخل القرى عن طريق تحميل صغار الحائزين مزيداً من العمد مما أدى بدوره إلى تسحب بعض صغار الملاحين من قرى إلى أخرى ، مما ترك اراضي بدون زراعة وبالتالي زاد من حجم المتأخرات بينما استفادت قرى أخرى ، ومشايخها ، بالمعاملة الوافدة ، في بعض الأحيان حققت بعض الثمرات والعصبيات العلاحية بعضا من اهدافها وفي احيان اضطرت السلطة إلى تأمين الهاريين والتنازل عن المتأخرات لضمان عودة الممارسين إلى قرىهم ، وفي احيان أدت ظاهرة التسحب إلى تعاون بين المشايخ وجهاز الدولة للقضاء على الظاهرة وفي احيان أخرى إلى مقاومة المشايخ لجهاز الدولة اعتمادا على شبكة علاقاتهم الاجتماعية والأسرية . وهذه العمليات المتناقضة من قرية إلى أخرى أدت إلى تمايز بين القرى مما اضطر مصالح شيوخ القرى وانعكس من قدراتهم التفسيرية

التي تم عن طريقها تشكيل قوى اجتماعية واقتصادية جديدة لها فرص أكثر في الحياة على حساب قوى أخرى همتلا : نشأة وتمثل الملكية الخاصة في الأراضي الزراعية لصالح ملاك مدنيين غائبين أدى في حالات كثيرة إلى نزع الحياة الأثرية عن حائزين ريفيين ذوي حقوق في الأرض وتحصيلهم إلى معدمين كما أعطى نظام الجفالك والعهد فرصة لكثير من مشايخ القرى للحصول على اراض زراعية مقابل دفع اموال المتأخرات عن قراهم مما أعطاهم سيطرة كاملة على المزارعين ورفع من معدل استقلالهم لهؤلاء الحائزين السابقين الارض تميز تعامل محمد حاكم مع نصوص الوثائق الرسمية بقدر عال من التعتد والتحقق ، فهو يركز ، هنا كما في مناقشات كثيرة على مر الأعوام ، على فكرة وعملية إنتاج النص ، حيث يبنى على افكار فلسفية لا تفسير وفوق والتي تتعامل مع الخطاب بوصفه منتجا في حد ذاته ، وحاول حاكم تطبيق هذه النظريات على دراسة الوثائق المصرية ، فخطق في نظرته للمصادر كونها مصدرا لحقيقة ما أو كونها ببساطة خام ، وحاول من خلال دراسة نصوص الوثائق استنباط علاقات القوة والمؤسسات التي أنتجت هذه المصادر في المقام الأول والحفاظ التي تصنعها (بدلا من أن تعكسها) هدد الوثائق ، لذا فإن دراسته لوثائق مكلفات ، الاموال مثلا والغرض منها تسهيل عملية جباية الأموال/الضرائب ، تبين أن هذه الدفاتر تركز على المبرع ، وتسجل التفاعل معه أكثر من الحائز الأثرى على عكس دفاتر أخرى في توابع المساحة والتي تنحاز إلى الحائز الأثرى ، هذه القراءة تساعد على تلك الالتباس ما بين مفاهيم (وبالتالي ، علاقات) مثل الملكية والحياة والزراعة ، كما ينتهيه الباحث إلى أن التجانس الذي توجبه الوثائق هو نتاج طبيعة هذه الوثائق والهدف من تحريرها وليس بالضرورة انعكاس واقع معاش ، بشكل أن آخر إلى ضمان وصول الأموال إلى الدولة المدنية) وإن تشير إلى افراد كونهم شيخوا أو مزارعين/فلاحين ، توحى بأن كل من ليس شيخوا هو فلاح وكان كل الفلاحين سواسية بصرف النظر عن تفاوت حيازاتهم الزراعية ، وهو ما تنفيذه القراءة غير الانتقائية والاعمق للوثائق

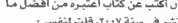
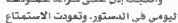
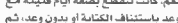
الأكبر من المجتمع المصري في بدايات القرن التاسع عشر وبالرغم من أهميتهم المحورية في مشروع التحديث ، فإنهم نادرا ما يكونون محور الدراسات التاريخية ، لأسباب أيديولوجية ومصدرية متعددة . كذلك كتب الكثير من المؤرخين عن عصر محمد على كونه عصر تطوير وبداية مصر الحديثة كثيرا بأساليب تمييزية لا تنتهى للفتاوى الواضحة بين الطبقات والشرائح المختلفة في المجتمع الريفي خاصة أو طرق تكوين هذه الشرائح وإعادة تشكيلها في الأصل والأساليب التي خبرت بها هذا التحديث ، يدرس الكتاب المجتمع المصري من خلال علاقة الريف بالمدينة ووسائل سيطرة واستحواذ المدينة على وسائل الإنتاج وقوة العمل الريفي والطبقة الصراعية لطاظة الاستحواذ على الناتج العائش بين القرية والمدينة من ناحية وداخل كل منها من ناحية أخرى من خلال تتبع أربع قرى هي اخطاب وكمنشيش في الوجه البحري والحمام والبلازة في الوجه القبلي ، كما يركز على قراءة بعض الوثائق التاريخية (مثل مكلفات الأفيان وتواريخ المساحة) قراءة متأنية (غير بريئة) ليستنبط أنواعا مختلفة من علاقات الناس بالأرض ، فبينما ركز العديد من المؤرخين الحداثيين على فكرة نشأة الملكية الخاصة للأرض الزراعية وما استتبعه ذلك من التركيز على نمو طبقة كبار الملاك وتنامي دورها الاقتصادي والسياسي على مر القرن ، ينتهيه محمد حاكم إلى أنواع أخرى من العيصارة الزراعية ، مثل الحياة الأثرية ، والتي استمرت وتغيرت ، حتى ظل في إنشاء الدولة المركزية الحديثة ، فيظهر إلى المصطلحات المختلفة التي تستخدمها الوثائق والتي تفرق ، مثلا ، بين الحائز الأثرى والمزارع ، فآثر شخص ما قد يكون موضوع زراعته أو موضوع زراعة الآخرين والحياة والزراعة علاقتان مختلفتان مع الأرض حتى وإن اجتماعتا في شخص واحد وهما مختلفتان عن الملكية التي قد تكون للدولة أو لشخص آخر ، وينتهيه محمد حاكم هنا إلى (إعادة) تشكيل التمايز الاجتماعي في مصر في النصف الأول من القرن التاسع عشر ، والأليات



أيام محمد علي : التمايز الاجتماعي  
توزيع فرض الحياة  
تقارنه : المجلس الأعلى للثقافة ،  
٢٠٠٠ ( ٢١٢ ص  
محمد حاكم



من الكتب التي قرأها هذا العام  
تركت في نفسي أثرا هذا الكتاب ، أيام  
محمد علي ، يتناول الكتاب ، وهو نص أطروحة  
لماحستير للصديق الراحل الباحث  
اجتماعي محمد حاكم - المجتمع  
الريفي في عصر محمد علي من زوايا  
جد مختلفة عن الأنماط السائدة في  
ثير من الكتابات التاريخية عن هذا  
العصر ، سواء بين المؤرخين العرب أو  
للمستشرقين والأجانب ،  
فخصي محمد حاكم جزءا ليس  
العين من حياته القصيرة داخل هاتين  
أر الوثائق المصرية مما سمح له  
استكشاف أنواع مختلفة من المصادر  
للوثائق وتجريب قراءات مغايرة لها  
في هذا الكتاب ، أيام محمد علي ، التمايز  
اجتماعي وتوزيع فرض الحياة ، يركز  
على شرائح المجتمع المصري كثيرا له  
عمل عند الحديث عن "أيام محمد  
علي ، هالفلاحون ، رغم كونهم الجزء



الجماعية في مقاومة ومواجهة السلطة ويذهب الباحث إلى أن عمليات العصيان المتكررة كانت هي أحد أمتها مناسبة لتأكيد سلطة الدولة من خلال عمليات القمع الوحشية أي أن المقاومة نفسها لعبت دوراً في انتشار السلطة وزيادة فاعليتها (أي إنتاجها). ولكن الدولة لا تقف عند هذا الحد، إذ إن السلطة المتزايدة المتنامية هي أيضاً كانت تقدر أنواعاً جديدة من المقاومة مثل الهروب من القرى شاماً واللجوء إلى العرايا من الجبال إلى الصعيد وبالتالي مزيد من عدم خدمة الأرض. كذلك يتهدد الكاتب عدم قراءة المآثر الضريبية فاقب كثيرين من ديمقراط سلفطوي، أو «ثورة صامتة»، ويحلها كمجال لممارسة السلطة من قبل كل الأطراف، مجال له أهداف وخطط استراتيجة، هذه القراءة تفكك صورة سلطة الدولة المهيمنة.

تعمل هذه الدراسة على تعقيد الفكرة العامة عن تطور الدولة المركزية الحديثة في القرن التاسع عشر بالتركيز على أنماط والبيات حدوث التمايز الاجتماعي داخل القرى المصرية وعلى العلاقات الصراعية وموازير القوى المتغيرة والمتحولة بحيث يتضح كم كانت معقدة عملية تفعيل المركزية هذه وكيف أنها لم تتم على حسب خطة الحكومة تماماً أو ببساطة. كما تبين الدراسة تنامي حدة التمايز الاجتماعي على مدار القرن (بالرغم من كونه واقعاً تاريخياً حتى قبل عصر محمد علي). وربما تكون قراءات مثل هذه لبداية عملية التحديث في مصر ملحة في اللحظة الراهنة المصرية التي تمر فيها البلاد بتغيرات اجتماعية واقتصادية (وبالضرورة سياسية) لا تقل في مجمل تأثيرها عن ضراوتها عن تغيرات القرن التاسع عشر. بالرغم من غزارة أفكار محمد حاكم تنوع مجالات اهتماماته، فإنه كان قليل التشرب بالكتيب، ربما لأنه كان يطبع دائماً أن يحصل أفكار بصورة أفضل أو إيمان منه في إمكانية فعل الأفضل في المستقبل. ولكن يظل هذا الكتاب - رغم كونه من أكاديميين موجهاً إلى قارئ متخصص بالاساس، ورغم كونه قد كتب نسبياً في بدايات حياة كاتبه الأكاديمية- مصدر، جيداً للأعلام ومعيناً أخيراً على التذكر.

## أمنية البنداري

عندما عرفت أن نجلاء بدير ستكتب عموداً يومياً في جريدة الدستور، التي بدأت تصدر من جديد منذ ثمانية شهور، فرحت لأنني أذكر جيداً كم كنت معجباً بمقالاتها التي كانت تنشرها في الإصدار الأول للدستور (منذ نحو عشر سنوات)، وأعادت نشرها في كتاب جميل للغاية (الهبة العامة للكتاب، مكتبة الأسرة، ١٩٩٩) بعنوان: «البكاء بين يدي السيدة نسيمة».

كنت أعرف صعوبة الاحتفاظ بمستوى عالٍ للكتابة، إذا كان المطلوب عموداً يومياً. كما صادفت هذه الصعوبة شخصياً عندما بدأت أكتب عموداً يومياً لنمس الجريدة خلال العام الماضي، وسرعان ما توقفت لشعوري بنقل العناء عندما لا يكون هناك مجال لتأجيل الكتابة بسبب التعب، أو بسبب عدم اختتام الفكرة في الذهن أو عدم التأكد من أن الفكرة تستحق الكتابة عنها أصلاً، ولهذا سرعان ما توقفت عن الكتابة اليومية، ولكن استمرت نجلاء بدير.

دهشت باحفظاتها بمستوى عالٍ للكتابة يوماً بعد يوم، وشهراً بعد شهر، نعم، كانت تقطع بضعة أيام قليلة مع وعد باستئناف الكتابة أو بدون وعد، ثم تعود فتكتب بنفس المستوى العالي، وكان لا شيء يمكن أن يجعلها تقول كلاماً لا يوتر في نفس القارئ.

واظبت إلى على قراءة عمودها اليومي في الدستور، وتعمدت الاستماع به والتأثر به، ولم أعد أدهش عندما أقرأ لها عموداً جديلاً يوماً بعد يوم، ولكن حدث حمل المصحة حيرة في محاولة اكتشاف سبب (أو أسباب) أقرد ما كتبه نجلاء بدير كما يكتبه الآخرون.

فلما طلبت مني مجلة «وجهات نظر» أن أكتب عن كتاب اعتبرته من أفضل ما نشر في سنة ٢٠٠٧، قلت لنسي:

ولماذا أكتب عن كتاب وليس عن عمود يومي اعتبرته من أفضل ما نشر في هذه السنة؟ ولماذا لا أنتشر الفرصة لحدوث اكتشاف سر نجلاء بدير، أي أسباب تقرد هذا العمود اليومي عن غيره؟.

إني أعرف أن الأدب أشكال والوان، بل والأدب الرفيع أيضاً أشكال والوان، وليس من السهل (بل ربما من المستحيل) أن يحدد المرء شروطه وقواعده (إن كان هناك أصلاً مثل هذه الشروط والقواعد).

إني أستطيع أن أجزم لنفسي وللآخرين بأن هذا العمل أو ذاك من الأدب الرفيع، ولكني لا احتفظ في رأسي بقائمة من الشروط التي يجب أن تتوفر في هذا العمل الأدبي قبل قراءته، بحيث أتبع مدى انطباقها أثناء القراءة، إني أعجب بالمدى أو لا أعجب به من هذا العمل، أكتشف أسباب هذا الإعجاب أو عدمه، فما هي هذه الأسباب فيما يتعلق بما كتبه نجلاء بدير؟

خطرت بذهني أو لا فضيلة «الصدق»، وهي صادقة دائماً بلا شك، ولا جدال في الصدق شرط ضروري في جودة العمل الأدبي، ولكنه ليس شرطاً كافياً، بل هو تأكيد، الكذب والامعاء والنظواهر والعاطفية المضطعة (التي يسهل اكتشاف اصطعاطها من ثانياً الكلام)، كل هذا يفرض العمل الأدبي بلا شك، بل وقد يفتقد العمل وصف «الأدبي» أصلاً. ولكن الحد العلمي صادق أيضاً، وكتب المقال قد يكون صادقاً في الصدق، وقد يتكرر أثر طبعاً جداً في النفس بسبب هذا الصدق، دون أن يكون مقالاً أصلاً (من بين أنواع المقالات من المقالات مثلاً مقالات الأستاذ سلامة أحمد سلامة وعمود اليومى في الأهرام الذي كان يكتبه أحمد بهاء الدين). أما عمود نجلاء بدير فلنفس فقط صادق، بل هو أيضاً عمل أدبي.

هل من شروط العمل الأدبي أن يكون باليسافة كخاء ماهر؟، يعرف كيف ينقل لنا المعنى في شكل قصة، أو كالنكلا يبيد للوهلة الأولى وكأنه مجرد مقال؟

الكاء الماهر يبدأ بجملة أو جملتين وكأنه يرمي شبكة صيد، لا بد له من اصطيداك من أول رمية ولا تفنكك إلى الأبد. ثم يتابع الحكى بعد هذا بجملة قصيرة وبسيطة (إذ إن المجال الطويلة

والعقدة شبيهة بالفقوب الواسعة في شبكة الصيد من الممكن جداً أن يهرب القارئ من خلالها)

ويحب ألا ينجر الحكاء الماهر من سياق إلى سياق، أو من قصة إلى أخرى دون أن يكون مطمئناً إلى أن القارئ سيصبر عليه أثناء هذا الانجراف، حتى يعود من جديد إلى المسار الأصلي لقصته الأساسية.

ولكن كل هذا ضروري فقط لمنع فرار القارئ، وليس كافياً لكسب رضا، إنما يكون كسب الرضا بأشياء أخرى أساسية، أهمية الموضوع، وتعاطف الكاتب مع شخصياته (أو بعضها على الأقل)، وإنسانيته، وخفة ظله، ولتبصير، وأن يكون للحكاية كلها مغزى لا يتضح تماماً إلا مع نهاية القصة أو قرب نهايتها. إلا مع نهاية المغزى تماماً قبل انتهاء القصة قد يفسح هذا أيضاً مجالاً للهرب.



كل هذا موجود في عمود نجلاء بدير، ولكني لا حظت أيضاً أشياء أخرى، كان العنوان الثابت للعمود هو «خلق الله»، وقد أعجبني هذا العنوان من البداية، فقد وجدته يعبر عن روح ما كتبه بديراً، فأهم في هذا الرجل أو ذاك، هذه المرأة أو تلك، هذا الصبي أو غيره، أنهم كلهم من خلق الله، أي من بنى آدم، لهم نفس الحاجات، ويشعرون في الأساس بنفس المشاعر.

وقد كان العنوان الثابت لبقائها السابقة في الإصدار الأول لجريدة الدستور «بشر»، وهو عنوان يتطوى على نفس المعنى.

لفتت نظري أيضاً اللبغة التي استخدمها، إنها تستخدم العامية بكثرة بل وفي بعض أعمدة تكاد العامية تكون هي الغالبة، وعلى الرغم من شعوري بالأساتية لانتشار هذا الاتجاه في الصحف المصرية في السنوات الأخيرة (وفي جريدة الدستور على الأخص)، وخوفي الشديد من الخطر الذي يهدد اللغة العربية بسبب ذلك، فقد لا حظت أني لم أصرع بهذا الأساتية قبل وأنا أقرأ أعمدة نجلاء بدير (كما أني لا أشعر بأساتية قط عندما أقرأ مقالات أحمد فؤاد نجم لاستخدامه العامية، ولا أضراره بالطلع). كنت أصدق دائماً وأنا أقرأ لها



مقصود إزالتها وتذليلها. على أن تكون المساواة والمشاركة في الهدف وهي المبتغى الذي يصبى بالضرورة إلى ما نبغيه من اندماج سياسي وطني. إنما اتكلم على مسألة أخرى. وهي أن المتصدين للعمل العام من القبط الآن. أعادوا صياغة الموقف القبطي العام. وتحولوا به من هدف المساواة والمشاركة مع مواطنيهم المسلمين. إلى هدف تقليل الإسلام. في المجتمع أو إقصائه كاملاً إن أمكن. وصيغت المسألة القبطية اليوم على أيدي هؤلاء الأنزاليين من رجال الكنيسة ورجال المهجر. صيغت على أساس اختلاف الدين. وعلى أساس المطالب الدينية وليس مطالب المواطنين هي تساوى الفرص. وصيغت صياغة دينية تؤدي إلى العز والنجيب وليس إلى المرح والدمج

تتكلم عن المواطنة المؤكدة للمساواة. فيتكلمون عن المواطنة المستعدة للدين الإسلامي. وتتكلم عن الحقوق الاجتماعية المتساوية فيتكلمون عن الكنائس وتقصيها عتداً ومساساً بغير بيان التناسب مع عدد السكان. تتكلم عن الوطن ومهموه ومشاكله فيتكلمون عن القبط وهمومهم ومشاكلهم. أي تتكلم عما يجمع فيتكلمون عما يفرق. والعلو يرد من موقف الكنيسة ومما يستجبه تابعون لها من كتب وأشرطة وتصريحات. ثم لا تجد صوتاً جهورياً ولا خفياً ينتقد هذا المسلك ويصنع بين الأقباط ما صنعه رجال التجديد المسلمون بين المسلمين. من السعي النشط لتشرير التوجه الجامع. لا نجد صوتاً قبطياً جهورياً ولا خفياً. وإن وجدناه هامساً أحياناً ومتردداً تشعبه الأذن الفاحصة وهذا الصوت الهامس يزداد تردداً وهبوطاً.

في هذا الظرف يظهر كتاب، أبو العلا ماضي، أثيرهض يرود الفضل التي يمكنها دور الفكر الإسلامي هاعاً على مرجعيتهم ذات الغلبة العددية المحسومة وطابعها الثقافي اللازم. ولبدافعوا أيضاً عن الجماعة الوطنية وحق أفرادها كاهم في الفرص المتساوية للحقوق والواجبات حقاً يفسر عن وطنيتهم وتسندة مرجعيتهم الثقافية

إن المتصدين للتصغير عن الموقف القبطي الآن. صاروا ذوي اتجاه واحد تقريباً. اتجاه يعمل على أن يكون ثمة موقف قبطي

محتزمة لجدا المواطنة وما تقدره من مساواة ومشاركة كاملة في الحقوق والواجبات العامة بين المواطنين وإن اختلفت أديانهم. وحرصوا على أن تنبسط حركتهم السياسية لتستوعب هذا التعدد من ذوي الأديان من المواطنين

وقد جهد هذا التيار من ذوي الفكرية الإسلامية. سواء في المجال الفكري الثقافي العام أو في المجال الحركي السياسي. جهد في أن تتفاعل أفكاره ومواقفه وحركيته داخل الفكرية الإسلامية وبوسطها لتتكون ذات اثر وفاعلية. وليستقر هذا التوجه داخل التيار الفكري الإسلامي العام. مصوغاً من مبادئ الفكرية الإسلامية ويمرجمتها التشريعية ويمناهج توليد الأحكام التمهيلية عنها. ثم ليتأكد كل ذلك بالحركة الإسلامية من بعد. وكان ذلك مما يضمن الديمقراطية الأمتل في مجال الفكر السياسي. لتقاييم الجماعة الوطنية في مصر بالمساواة والمشاركة في إطار المرجعية الإسلامية.

ولكن في الوقت الذي كانت تجري فيه هذه العملية. على مدى العقود الثلاثة الماضية. بدأت عملية أخرى مضادة. تمثل في دعوة للانزفال بين القبط تحت سيطرة الكنيسة. وقاد هذه الحركة غبطة الأنبا شنودة منذ تولي البطريركية في أوائل السبعينيات. واستغلت في ذلك كل طرف الاستضعاف المصري تجاه السياسة الأمريكية وكل أوضاع الوهن التي أصاب العزيمة الرسمية المصرية منذ الثمانينيات. كما استغلت فيها حركة هجرة القبط من مصر إلى الولايات المتحدة وكندا وأستراليا. وتكون مراكز ثقل للكنيسة في هذه المهاجر ونظور عنصر أجني أت من الولايات المتحدة. ظهوره في التكوين العضوي للكنيسة المصرية ذات العرافة السابقة في استقلاليتها. استقل كل ذلك لتعميق العزلة القبطية عن الجماعة الوطنية في مصر.



انا لا اتكلم عما قد يكون للأقباط من مشاكل تتعلق بنمات المساواة والمشاركة في حقوق المواطنة. فهي مشاكل لا تتجادل فيها. وإنما تتحقق من وجودها

## عن المسألة القبطية والحرية والصحو الإسلامية

المسألة القبطية والشريعة والصحو الإسلامية  
القاهرة: دار سفير الدولية للنشر، ٢٠٠٧  
أبو العلا ماضي



هو كتاب من المسألة القبطية.. والشريعة والصحو الإسلامية، للمهندس أبو العلا ماضي. وأرجو أن يقرأه الأقباط من المصريين بروح التفهم والحوار وإن يتبينوا من هو الكاتب وما هو موقفه

المؤلف من جيل الإسلاميين الذين تشاركوا في تشييد الحركات الإسلامية بتوجهاتها الثابتة والتنوع في مصر منذ السبعينيات. وهو من يجمعون بين الحركة السياسية والمواقف الفكرية والجهود الثقافية. وهو قائم على حزب الوسط مطالب مع زملائه به بتريخ رسمي له منذ اثني عشرة سنة. ويعملون من خلال المرجعية الدينية الإسلامية لاستيعاب الموقف الوطني العام. وهو من هذا الفريق من الإسلاميين الناضطين الذين أقاموا فكرهم السياسي وصاغوه بمرجعية إسلامية تكون

بحجم الخسارة التي كانت ستحدث قطعاً لو لم تستخدم العامة في هذا السياق بالدات. وسأضرب مثلاً لتوضيح ما أعنيه

في عمود احتفظت به وكثبت عليه. ويعد تاريخه إلى ١٣ يوليو ٢٠٠٧. وعوانه مكتوب بالعامة. يتكلم. تحكي نجلاء بدير حواراً دار بينها وبين شاب فقير. ويأته مان وجهت إليه هذا السؤال. بتعلم بابيه. وسأنتقل للقارئ الفقيرة الأولى من هذا العمود ليحكم بنفسه على ملاءمة العامة أو عدم ملاءمتها. .وتفكرت ممكن حلمك يتحقق؟ .يتهاى لا.

ليه لا؟ .لأنى خلصت ديبلوم صنائع. وياشغل في قهوة عند المحطة في أسيوط. ويومئتي في اللي فاتحة البيت. لأن ابويا خلاص عزز وهو قادر يشتغل. .تفكرت ممكن حد من إخوانك يطلق طيار؟ .لا. .يتهاى لى يرضه لا

ليه لا؟ .لأن محمود الصغير في سانة ابتدائي. من يوم ما جاله إسهال وزاج المستشفى العام وهو عاير يطلق دكتور. وسيد مش فالح في مدارس أصلاً. هو سمعة تقيل ويبروح المدرسة ويرجع ما سمعش حاجة...

ويستمر الحوار إلى أن ينتهي العمود بأن يقول الشاب: أنا عمري ما قلت لحد إن نفسي أطلق طيار. أصلاً عمر ماخذ سألني السؤال ده. هو أنت ليه يا بلة بتسأني؟ فتجيبه نجلاء بدير: «أهو» بتكلم يعني... ومن هنا عنوان العمود بتكلمك. سألت نفسي عن أي كلمة أو عبارة بالبحرية الفصحى يمكن أن تؤدي نفس المعنى وتثير نفس الشعور الذي نشيره عبارة. بتكلمك يعني... كفاحة للعمود. فلم أجد. ■

## جلال أمين



## من قراءاتي في عام ٢٠٠٧



أعرف مسبقاً أني ربما لن أكون دقيقاً في اختيار عشرة كتب من جملة ما قرأته خلال عام ٢٠٠٧. ولكنني سأغامر فأذكر عناوين عشرة كتب قرأتها وصدرت في العام التاسع من القرن الحادي والعشرين. ما عدا كتابين منها صدرا في عام ٢٠٠٦ ولم ألقَ عليهما إلا أخيراً. ويأتي في مقدمة هذه الكتب: حسب المهار الداتني والموضوعي في أن واحد. كتاب الباحث السياسي مصطفى اللياذي بعنوان (حدايق الأحرار: إيران وولاية الفقيه) في طبعته الأولى الصادرة عن دار الشروق في عام ٢٠٠٦. وهو نمط فريد في تحليل الشخصية الإيرانية والبحث عن الجذور الأولى والأصول المذهبية والخلفيات السياسية للنظام الإيراني. من خلال رؤية سياسية شافعة تنفذ إلى عمق الظاهرة وتربط الأسباب بالسياسات. وتكشف عن جوانب غير معروفة وزوايا غير مطروقة في وسائل الإعلام. من التحول الكبير الذي عرفته إيران منذ السنة الأخيرة من سبعينيات القرن الماضي.

أما الكتاب الثاني (اليمين واليسارية: تأصيل ورذ شذات) لفيقه العصر علامته (بالشدة) وعلامته بلا شدة) الأمة الدكتور يوسف القرضاوي. الصادرة طبعته الأولى عن دار الشروق عام ٢٠٠٧. فهو في حد ذاته ناضل لمنهج القويم المسموح المعتدل الذي عرف به المؤلف في جميع مؤلفاته. منذ أن ظهر كتابه الأول الرائد في بابيه (الحلال والحرام في الإسلام) الذي أذكر

والتكور المكري العام للمجتمع. لأن الثقافة أمر شائع يستحيل حصره. وأن أدواته وأساليب انتشاره وإشاعته تختلف اختلافاً جديراً في تناسيها وتلازمها في الاحجام البشرية المختلفة. ولذلك فإن القول بالمساواة في الشأن الثقافي ومدى شيوعه هو أمر يتعين أن يراعى بالنسبة له الاحجام النسبية لدى الثقافات المختلفة فيما يفتخرون فيه.

وإن الحل الأساسي هو أن تكون المساواة والمشاركة هما أساسا الاندماج والعيش المشترك بين المتباينين دينياً إنهما أساس الاندماج الاجتماعي بين عناصر الجماعة الوطنية وبالأندماج وباتخاذ الاجتماع تسهل أمور وتحتل مشاكل. ذلك أن المعاشية تولد الألفة وبها ينشأ الضمير، ونحن، وبالعزلة تولد العربة وتقود الوحشة وقد تفضي إلى التفكر.

لكننا عندما نعرض للشأن الثقافي العام وللمرجعية العامة للجماعة الوطنية في عصورها والطابع العام للمجتمع. فإن الأوزان والأحجام النسبية للجماعة البشرية تستقرض صوابيتها. شئنا أم لم نشأ. وهذا واقع حتى ذوه لا يمكن إنكاره. وهذا القول لا يرد من فكر شخص مني ولا من غيري ولا من قول أو الفقه الإسلامي وغيره. وإنما هو ما يفضي إليه الفهم الصحيح للفكر الوضعي العلماني الذي وفد إلينا من الغرب ومن أوروبا. لأن النظام القانوني الوصعي يعتمد فكرة «النظام العام» باعتبارها محمداً قانونياً يحكم إرادات الأفراد والهيئات ويضبط من تصرفاتهم ما يتعارض معها. ومعهم، «النظام العام» في الفقه الوضعي الأخذ من الغرب هو مجموع القيم والمبادئ السائدة في المجتمع وهو يترك تحديدها لكل شعب أو جماعة تستخرج هذه القيم والمبادئ من ثقافتها وعراياها وعاداتها المتبعة. وهي بالضرورة مما تراعى في شأنه الأفراد والنسبية لكونها الجماعة الوطنية.

هذا ما يعي لنا مناقشته والتمركز فيه عند قراءة كتاب (أوروبا والاضى) وهو عن موضوع صار من شواغل هذه الأيام. ■

### طريق البشرى

حاضر. وأن يكون موقفاً وحيداً. تدعاه الكنيسة القبطية بصرحتها وسياساتها القابضة المسيطرة على الشأن القبطي كله. وعلى أسلوبها في استبعاد دوى الاتجاه المخالف لها من الأقباط. ويدعاه ويرزقه غلبوا موقف المتصدرين لهذه الشأن من أقباط المهجر.

إن الكنيسة وإن صارت مؤسسة سياسية بما تبعه من مواقف. وتحمل على عزل القبط عن المجتمع. فهي في ذلك تكسب من دنيا القبط على حسابهم. لأن رجال الكنيسة لا يتمتعون امتزاج حياة بالجموع المصرية في صومعه ولا يمايشون ناسه. إنما هم رجال دين محترقون بشأنهم الديني ومتفرغون له. ولا يتمتعون بجماهير الشعب المصري من غير القبط في معاملتهم ومعاملاتهم وعلاقاتهم ولا يكادون يتبادلون الحوار الثقافي مع غير رعيته ولا يتجادلون مع غير دوى عقيدتهم. ومن ثم فهم مع مسلمهم بين دوبيهم تنقصهم حيرة المعاشية وتنقصهم تجارب الحياة الدنيا فيما يمارسه الآخرون مسلمين ومسيحيين

ولذلك فقد نكفوا أمورا ليسوا هم ذويها. وكذلك الشأن بالنسبة لرجال المهجر. فهم تابعون للكنيسة القبطية دينياً ومذهبياً. إلا أنهم يطول عيشهم بالخارج ومرارهم بالقانونية والاقتصادية هناك لم يعدوا ممن يستطيعون معاشية أوضاع المواقف المصرية القبطي القائم في مصر بناسه وأولاده وأقاربه وعمله. ومعنى ذلك أن الشأن القبطي وإن تميز وانعزل وصار شأناً سياسياً اجتماعياً معزولاً عن باقي المصريين وعاملاً في مواجهتهم. فقد صار شأناً أجبره له أحد من يصلحون لإدارة مصالح جماهير القبط على المدى الطويل.

نحن مضطرون لاستخدام كلمتي «أغلبية» وأقلية» بلا معنا تتكلم عن المسلمين والمسيحيين في مصر من كونهم دوى دين محدد ونحن مضطرون للإشارة إلى الاحجام النسبية. إن هذا الأمر لا يشكل إلزاماً بدكر بالنسبة لحقوق المساواة والمشاركة ولكنه يشكل أثراً لا يمكن إغفاله بالنسبة للطابع الثقافي العام

أنى أعدت قراءته أربع مرات في فترات مختلفة خلال العقود الأربعة الأخيرة. ولا أزال أطلع على إتاحة الفرصة لأعيد قراءته للمرة الخامسة. في كتاب (الدين والسياسة) رؤية العالم المسلم المستنير بوزو الهدي القرآني. إلى أهم قضايا العصر التي يختلط فيها الحابل بالنابل. والتي تثير كثيراً من الحدل بين أطراف متعددة. وقد قال الشيخ القرضاوي في كتابه هذا الكلمة الفصل. وأظهر الحقائق ودحض الأباطيل بأسلوبه المسموح الرصين. وبمنطقه الجاد القويم

والكتاب المثالي للمفكر الباحث الحق الثقة الذي أصبح اليوم حاجة في الدراسات الإسلامية ومرجعاً في قضايا الفكر العربي الإسلامي. الدكتور محمد عمارة الذي يحمل عنواناً مثيراً لنافع بمضمونه (الفاتيكان والإسلام: أهي محاكمة أم عدا له تاريخ؟) التي صدرت طبعته الأولى عام ٢٠٠٧ عن مكتبة الشروق الدولية. وقد ودت لو أن هذا الكتاب صدر في الوقت نفسه في أربع طبعات بالإنجليزية والفرنسية والألمانية والإسبانية. لأنه بيان حقيقة صريح وكشف حساب دقيق. وقد علمي شاف ومفتع على الدعاوى التي أطرها المجر الأعظم بابا الماتيكان. في المحاضرة المثيرة للجدل التي ألقاها في آخر عام ٢٠٠٦ عن إحدى الجامعات الألمانية.

وقرات الجزء التاسع من كتاب (في البناء الحضاري للعالم الإسلامي) لمؤلفه الدكتور عبد العزيز بن عثمان التويجري. الذي صدر عام ٢٠٠٧ ضمن منشورات المنظمة الإسلامية للثقافة والعلوم والثقافة. وكنت قد قرأت أجزاء الألمانية عند صدورها في حينها. وهذا الكتاب هو في الواقع موسوعة جامعة تتناول قضايا فكرية وثقافية وسياسية على جانب كبير من الأهمية. بأسلوب رصين ونجيب علمي ومن خلال رؤية ثقافية شخيرة تترقى تصاحبها (إلى مصاف الفكريين الاستراتيجيين) التخصصيين في قضايا الفكر والحضارة وحوار الثقافات وتحالف الحضارات وصناعة المستقبل.

وكانت مجاتي كبيرة بحصولي على نسخة من كتاب جديد للمسيحي الإيراني وزير الخارجية الأسبق وسيدستار العلاقات الدولية لمرشد الثورة في إيران. الدكتور علي أكبر ولائي. يحمل هذا الكتاب عنواناً لافتاً لانتباهه مثيراً للفضول: (موسوعة الإسلام وإيران: ديناميكية الثقافة وحياة الحضارة). وقد صدر عام ٢٠٠٦ عن دار الهادي هي بيروت. ويقع في أربعة أجزاء من مجلدتين. وقد وجدت هذا الكتاب بمثابة



## السياسة الخارجية الأمريكية في أمريكا

اللوبي والسياسة الخارجية الأمريكية تأليف جون ميرشايمر وستيم وولت



مؤلفا هذا الكتاب من أهم اساتذة علم السياسة في الولايات المتحدة، أولهما جون ميرشايمر في قسم العلوم السياسية، جامعة شيكاغو، والثاني ستيفن وولت، أستاذ في كلية جون ف كندى للعلوم السياسية في جامعة هارفارد. وهذا الكتاب المكون من ٣٥٥ صفحة دراسة علمية جافة، تعزز ١٠٦ صفحتين تحشوي على ألف إشارة مرجعية، ورغم أنهما يؤكدان معهما لوجود إسرائيل، إلا أنهما بأسلوب موضوعي خالي من الحزبية، يقومان بتحليل اللوبي الصهيوني، ويكشفان النقاب عن مصادر تمويله وعن علاقته بقيادة البيت الأبيض، ومجلسي الكونجرس، ورؤساء الحزبين الكبيرين وبعض الإعلاميين البارزين. والمؤلفان لا يقولان إن اللوبي ليس شرعياً، بل على العكس، إنهما يبينان أن المئات مثل هذا اللوبي تلعب دوراً حيوياً في العملية السياسية الديمقراطية الأمريكية، بل ويشير إلى أنه لا دور إيجابي يحقق قدراً من

مارن عماوي. ويقع في نحو أربعمائة صفحة. وهو كتاب مرجعي مفيد للغاية ودو قيمة علمية تاذرة في الكتب التي تصدر باللغة العربية حول هذا الموضوع. وقرارت روائية (شيكاجو) لعملاء الأساوي. وثتمت قراءة الرواية في إحدى عمل من الدار البيضاء إلى باكو عاصمة أدريجان. عن طريق استانبول في الربيع الماضي. وختمت قراءة الرواية في إحدى الليالي الجميلة الهائلة في باكو. في طبعاتها الرابعة الصادرة في شهر فبراير عام ٢٠٠٧.

ولذلك كنت سعيداً بأن أعيش مع علاء الأساوي في الطائفة من الدار البيضاء إلى استانبول، ثم أقتن ساعات التوقف في المطار في صحبته، ثم أكمل القراءة في الطائفة من استانبول إلى باكو، وأختمها في الفندق. وهذه الرواية مثيرة إلى أمد الحدود. ولأن الكاتب قد برئ من لؤثة (الإيداع الإيديولوجي)، فقد تفوق وقائق وأجاد وأحسن واتقن. فأتمت وأطرب وأفنح النفس المتعطشة إلى الفن الجميل. أما الرواية الثانية ضمن الكتب العشرة، فهي الإسرائيلية (والأستاذ الجامعي) المغربي سالم جيش (بكر) الحاء وتضديد اليوم) بعنوان: (هذا الأدلسي) الصادرة عن دار الأناضول بيروت عام ٢٠٠٧. تدور الرواية حول مسيرة الفيلسوف الصوفي غريب الأطوار المثير للجدل ابن سيمين، يقدمها الكاتب في قالب روائي تتنوع فيه شروط الإثارة والتشويق. وهو عمل روائي رائع ورابع التي نالت جائزة نجيب محفوظ عن الذي صدر للكاتب من قبل عن ابن خلدون بعنوان (العلامة). وهي الرواية التي صدرت مؤخراً عن دار الأناضول في الجامعة الأمريكية في القاهرة واعتبر أني أفاجا كلما قرأت سالم جيش رواية، بهذه التدقيق الإبداعي، بحيث التائق الفني، ويهدأ التبحر في المصادر التاريخية لاستخلاص معالم الشخصية الكبارية التي يختارها لعمله الأدبي. والحق أني أقدري في سالم جيش تفوقه وسطوع نجمه في دنيا الأدب والفكر والعمل الأكاديمي، فهو أستاذ بأداب الرياض، وباحث في الثقافة والعصر. ولما كان الكاتب اللذان قرأتهم عن محمد بن عبد الكريم الخليلي يعدان في الواقع كتاباً واحداً، فيمكن اعتبار هذه المجموعة ضرة كتب وليست أحد عشر كتاباً. »

## عبد القادر إدريس

الرسم البياني التاريخي للثقافة الحضارة الإسلامية. ومصدر المفاجأة بالنسبة لي، أن المؤلف طبيب بروفييسور وأستاذ بكلية الطب. ورجل دولة تقلد منصب وزير الخارجية في مرحلة حرجية من تاريخ المنطقة، وهو اليوم يشغل موقفاً متقدماً في هرم السلطة قريباً من رأس الدولة القائد على خميني. وأشهد أنني فقت بهذا الكتاب لسماعة مادته ولغزارة معلوماته. ولعمق المنهج الذي تناول به المؤلف للمباحث التي تطرق إليها.

ومن بين الكتب العشرة كتابان عن بطل حرب التحرير في شمال المغرب (منطقة الريف) محمد بن عبد الكريم الخطابي: الأول للصحافة المغربية زكية داود بعنوان: (عبد الكريم، ملحمة الحب والدم) الصادر في الأصل باللغة الفرنسية: Abdelkrim : une épopée. د'ort et de sang. ومصدر عن وزارة الثقافة المغربية عام ٢٠٠٧ بترجمة محمد الشكري. أما الكتاب الثاني فهو لباحث الجامعي على إدريس، بعنوان: (عبد الكريم الخطابي: التاريخ المعاصر) الصادر عن منشورات لقرانز أريف (عنوان دار النشر بالأمازيغية). والكتابان معاً يصيغان إلى مكتبة محمد عبد الكريم الخطابي، معلومات جديدة، خاصة كتاب على إدريس الذي يحتوي على فصل كامل حول الحياة العائلية والاجتماعية التي عاشها الزعيم المغربي في مناه في جزيرة Réunion لما لم المحيط الهندي لمدة إحدى وعشرين سنة (١٩٦٣-١٩٨٧).

أما الكتاب الثامن فهو لباحث الأكاديمي العميد السابق لكلية الآداب بتطوان الدكتور محمد الكتاني، بعنوان: ثقافة الحوار في الإسلام. من التأسيس إلى التأسيس) الصادر عن منشورات وراثة الأوقاف والتشؤون الإسلامية العربية عام ٢٠٠٧. وهذا الكتاب فتح جديد في الدراسات الإسلامية التي تلتقي بقضايا الحوار بين الثقافات والحضارات والتعاضد بين الشعوب، تتجلى فيه عقلية الباحث الجاد الذي يتعامل مع الموضوعات التي يبحثها بمنطق العالم، فيبعد ومنه ويقيّد ويجلي الحقائق. ومن أهم ما قرأته في عام ٢٠٠٧ واستمعت به غاية الاستمتاع، الجلد الأول من كتاب (العلوم والتفان في العلم الإسلامي) للبروفيسور الأناضلي المسلم من أصل تركي فؤاد سركين عضو أكاديمية المملكة المغربية، ومدير معهد تاريخ العلوم العربية الإسلامية التابع لجامعة فرانكفورت بألمانيا. وقد صدرت الطبعة العربية لهذا الكتاب عن اللغة الألمانية في فرانكفورت عام ٢٠٠٧، بقلم

التوازن بين المصالح المختلفة. ولكن اللوبي الصهيوني يتخطى أي معيار فيأمكنه إسكات أي انتقاد لإسرائيل في الكونجرس وفي وسائل الإعلام. أن نصح خرق التابو. أن يمنع أي نشاط وكيف يدفعهما الآن إلى خوض حرب يبين المؤلفان. كيف يمنع اللوبي أي ضغط على إسرائيل بهدف إحلال السلام مع الفلسطينيين، كيف يدفع الولايات المتحدة إلى اجتياح العراق. وكيف يدفعهما الآن إلى خوض حرب ضد سوريا وإيران. وكيف دعم حكومة إسرائيل في حرب لبنان الثانية ومنع وقف إطلاق النار حين لم يرغب في ذلك.

ومؤلفا الكتاب يتسمان بالشجاعة، كما أن جهدهما العلمي ومنهجهما الصارم يستحقان عليه الشكر. ومع هذا أجد نفسي محتلفاً معهما تماماً. وأذهب إلى أن كثيراً من النماذج بمقولة قوة اللوبي الصهيوني وأنه يعمل لمصلحة إسرائيل ضد المصلحة الأمريكية. يستندون إلى مجموعة من التقومات المنطقية المعقولة التي قدمها بدبيته. من وجهة نظرهم، فهم يقولون إننا إذا حكمنا العقل ودرسنا الواقع بشكل موضوعي وبدون تحيز لتوصلنا إلى أنه ليس من صالح الولايات المتحدة الأمريكية أن تدخل في معركة مع الشعب العربي، بل من صالحها أن تتعاون معه في كل المجالات الممكنة، لأن مثل هذا التعاون سيؤدي إلى استقرار المنطقة العربية وسيعود على الولايات المتحدة بالفائدة. ولكن الولايات المتحدة، مع هذا لا تسلك حسب هذه المعايير المعقولة البديهية. في تتصاعد في تأكيد إسرائيل وتقف وراءها بكل قوة وتستجلب على نفسها عداة العرب. مثل هذا الوضع شاذ وغير عقلاني لا يمكن تسديره إلا باعتراض وجود قوة خارجية ذات مقدره ضخمة، قادرة على أن تضغط على الولايات المتحدة بحيث تتصرف، لا بحسب ما تعليه عليها مصالحها الموضوعية، وإنما حسب ما تعليه عليها



مصالح هذه القوة. إلى المصالح اليهودية والصهيونية والإسرائيلية التي يمتثلها اللوبي اليهودي والصهيوني.

ولكن مفهوم المصلحية الاستراتيجية، ليس مفهوماً بسيطاً أو عقلانياً، فشولوك دولة عظمى مثل الولايات المتحدة ليس مسألة تتم حسب قواعد رشيدة بسيطة، وإنما هو نتيجة عملية مركبة تدخل فيها عناصر كثيرة بعضها مادي والبعض الآخر ثقافي ومعنوي. واعتقد أن الغرب منذ بداية القرن التاسع عشر ينظر للعالم بأسره باعتبارها مادة استعمالية يوظفها القوى لحسابه، وفي هذا الإطار يرى المنطقة العربية باعتبارها مصدراً مثلاً للغواد الخام (الرخيص) وسجلاً خاصاً للاستثمارات الهائلة (التي تعود عصبها وحده بالبرج) وسوقاً عظيمة لسلعها (التي ينتجها ويصرفها فيزاد هو ثراءه). أو قاعدة استراتيجية شديدة الخطورة والأهمية (بالنسبة لأمنه هو) إن لم يتحكم فيها قامت قوى معادية (مثل الاتحاد السوفيتي في الماضي) باستخدامها صيده، وهو يرى أن من مصلحته تحقيق هذه الرؤية.

والمفهوم الصهيوني لناحلنا العربي ينتمى تمام الاتصاف مع المفهوم العربي فالصهيانية ينسبونها إلى فلسطين باعتبارها أرضاً بلا شعب، وإلى الضفة الغربية باعتبارها يهودا والسامرة، وهي مصطلحات تلمس التاريخ العربي تماماً، وهم يشيرون إلى الشرق الأوسط على أنه "المنطقة"، وهو اصطلاح يشبه على كثير من أوجه اصطلاح "الفراف"، فكلاهما يؤكد فكرة أن عالمنا العربي مكان بلا زمان، وجغرافيا بلا تاريخ، أو مساحة تسكنها شعوب عديدة متفرقة متنشرا، ومادة استعمالية يوظفها القوى لحسابه، والصهيونية في نهاية الأمر وليدة التراث الفكري الاستعماري الغربي في القرنين التاسع عشر والعشرين، وهي أداته في المنطقة. ومما دعم هذا التعريف للمصلحة وهذا الإدراك له الانتصارات العسكرية الصهيونية المستمرة على العرب وماظم الهيمنة الأمريكية على العالم العربي مع تزايد دعمها لإسرائيل وتأييدها للبلش الصهيوني، وهذا هو السر الحقيقي لنجاح الصهيوني في الغرب، فهو لا يعود إلى سيطرة اليهود على الإعلام، أو لبقائه المتحدثين

الصهيانية، أو إلى مفدرتهم العالية على الإقناع والإتيان بالحجج والبراهين، أو إلى ثراء اليهود وسيطرتهم المزعومة على التجارة والصناعة، وإنما يعود إلى أن صهيون الجديدة جزء من التشكيل الاستعماري الغربي، وإلى أنه لا يمكن الحديث عن مصالح يهودية وصهيونية مقابل مصالح غربية، وإلى أن الإعلام والرأي الصهيونيين يمثلان أداة الغرب الرخيصة: دولة وظيميه عميلة للولايات المتحدة تؤدي كل ما يوكل إليها من مهام بنجاح وتصنع تماماً للأوامر، ولا توجد سوى مناطق اختلاف صغيرة بينها وبين الولايات المتحدة.

إن علاقة الولايات المتحدة بالدولة الصهيونية تصل إلى ذروتها عندما تتفق المصلحة الأمريكية والمصلحة الإسرائيلية. ولكن عندما يحدث تعارض بين مصلحة البلدين فيمكن لأمركا بالتأكيذ أن توجه إسرائيل صفة مؤلة وزناة. وهذا ما حدث حين تصرفت إسرائيل بشكل مستقل في علاقاتها بالصين.

إن الهاريز سيكون بمقدورها أن تعرف على رادارات العدو وتهاجمها حتى لو كانت مغلقة (حتى لا يمكن اكتشافها) (ابراهيم رابينوفيتش: جريدة الأسترالي ٢٧ يونيو ٢٠٠٥).

وقد بيعت الهاريز إلى الصين عام ١٩٩٤ بدون علم الولايات المتحدة، واكتشفت المخابرات العسكرية الأمريكية الأمر بالصدفة حين لاحظت أن القوات الصينية تستخدم الهاريز في مناورة عسكرية بالقرب من تايوان، وهو الموقع المحتمل لمواجهة بين الصين والولايات المتحدة. إن قررت الصين أن تتحرك ضد تايوان، التي تعتبرها الصين جزءاً منها.

وقد قررت الولايات المتحدة هذه المرة أن تلقن الدولة الصهيونية درساً تبين لها فيها من هو الكل ومن هو الجزء، ومن هو الحاكم ومن هو التابع، فطلبت من إسرائيل أن تصادر طائرات الهاريز التي وصلتها من الصين، وأن تحيل إلى الاستدعاء في وزارة الدفاع أو تلك الذين تترملوا، في عزة هذه الصفة وهم عاصس يارون المدير العام للوزارة. ويخفي حوريب، نائبه، وكوتي مور، مسئول المشتريات في الوزارة، وشع الثلاثة من دخول الولايات المتحدة. وقد دارت مفاوضات بين الطرفين الأمريكي والإسرائيلي رفع من خلالها العلم الأبيض ووافقوا على جميع الطلبات الأمريكية (نداء القدس ٢٧ يوليو ٢٠٠٥) بما في ذلك ضرورة أن تقدم إسرائيل اعتذاراً موقفاً من قبل وزير الحرب آنذاك، شاول موفار (الذي أفتيت زيارته لتواشنطن).

وقد فرضت الولايات المتحدة عقوبات أخرى على إسرائيل مثل أن الولايات المتحدة ستشرف على مبيعات الأسلحة التي تقوم بها إسرائيل لأي دولة أجنبية، كما منعت إسرائيل من المشاركة في المشاريع الخاصة بتطوير الأسلحة المتطورة مثل مشروع Joint F23 Strike Fighter، والذي يقدر لها أن تنتج في ٢٠١٢ (ميجان جولدن في الموقع الإلكتروني لجريدة ١٩ يونيو ٢٠٠٦).

كما أوقفت الولايات المتحدة تصدير نظم عسكرية حيوية للمعارك الأمريكية إلى إسرائيل، وتطال العقوبات على الصناعات الأمنية الإسرائيلية وليس فقط المصانع التي قامت بإجراء

صمغات مختلفة مع الصين، وترفض الولايات المتحدة رفع هذه العقوبات عن إسرائيل حتى تثبت الأخيرة أنها قد زادت من المراقبة على التصدير الأمني، وضمن ذلك سن قانون في الكنيست خلال مدة أقصاها ١٨ شهراً.

وقد وصف مسئول أمن إسرائيل هذه الطلبات بأنها غير مسبقة ومدلة، لأنه بهذه الطريقة لا يمكن لصناعة الأسلحة في إسرائيل أن تستمر. لا يوجد بلد في العالم يسمح لدولة أخرى أن تعرف كل التفاصيل عن أسلحتها، جبروسايم نيوز ورلد ٢٠ يونيو ٢٠٠٥).

حينما قررت الولايات المتحدة عام ١٩٧٤ أن تعزل اللبني رئيس جمهورية تشيلي، المنتخب ديموقراطياً، وأحلت محله الجنرال بينوشيه، لم يكن هناك لوبي شيلي يدفعها لذلك، فأنشأت اللبني جزء من جزء من الاستراتيجية الأمريكية الإمبريالية المهيمنة على أمريكا الجنوبية.

ولو فسرها التدخل الأمريكي في العراق وجنوب السودان والصومال على أساس اللوبي الصهيوني، فهل يمكن أن نفسر التدخل الأمريكي في أفغانستان والجمهورية الإسلامية المعادية لبحر فزوين والبحر الأسود والعداء للصين على أساس لوبيات مختلفة، لا من على أساس الاستراتيجية الأمريكية النابعة من إدراك النخبة الحاكمة لمصالحها.

هذا لا يعني أن اللوبي ليس له أي تأثير على القرار السياسي الأمريكي، فضلاً لا شك في أنه يلعب دوراً هاماً في صياغة هذا القرار، ولكنه يستمد قضايته وسلطته لا من قوته الذاتية، وإنما بمقدار خدمته للمصالح الأمريكية في المنطقة. إسرائيل هي الأداة والوسيلة، وليست الغاية ولا المحرك.

والله أعلم. ■

عبدالوهاب المسيري



## كتب مفيدة .. وممتعة أيضا



بقيت حتى وفاتها، تطوى جوانحها على حد قديم لم يمت حتى موت صاحبها. يحدثنا صاحب السيرة عن تجارب عاشها، في مصر والكويت، وأبحاثه السياسية بين حزب البعث حين كان طالباً، إلى الماركسية في ستينيات القرن، ثم ميله إلى التأثير بمفكرين إسلاميين وجد فيما يطرحونه تناسقاً مع أفكاره المناهضة للإمبريالية والعولمة في صيغتها الأفريقية، وأراء صريحة يبدونها في السياسة المصرية ورعاماتها، ويتكلم ما فإن سره جلال أمين لا تقدم حسب صورة لصاحبها وللعائلة وإنما صورة للنوى وللنظرة منذ أواسط الثلاثينيات وحتى اليوم

سيرة ممتعة أخرى يكتبها صلاح عيسى عن الشاعر أحمد فؤاد نجم تحت عنوان «شاعر تكدير الأمن العام» (دار الشروق) من خلال ملفات القضايا التي اتهم فيها «الفاجوس»، والذي كان صيفاً دائماً على معتقلات وسجون المهادين الناصري والسادتي، والتي جانب ما يكتمه صلاح عيسى من أسباب الاعتقال ودوافعه، والفضائل التي أودت بصاحبها للمهالك، والمناخ الذي نما فيه هذا الثنائي الغني الضال، نجم وتأثيره في المحيط العربي كله، فإن نصوص التحقيقات القضائية التي يوردها المؤلف، تشير إلى رؤية الشاعر لدور واستمرارية الدائم لدفع الأمن، وقد دفعه للقيام بهذا الدور.

في الإضراد ذاته، السيرة. يأتي كتاب الروائي محمود الورداني عن منظمة «حدثو»، أشهر المنظمات الشيوعية في الهلال)، والتي تأسست في ١٩٤٧، والحقبة أن الورداني في سعيه للتأريخ لحدثو، عرض للمناخ السياسي في هذه عموماً، متتبعاً بين العديد من هذه المنظمات مثل أسكرا، والحزب الشيوعي، والجزيرة والحرية والثقافة والفراغ، وغيرها من المنظمات العلنية والسرية، كما استعرض دور الألبان واليهود في نشأة هذه المنظمات، ودورها في الكفاح المسلح قبيل ثورة يوليو ١٩٥٢، ووقوفها إلى جانب حركة الصليباوات انقلاب الأخيرين عليهم خصوصاً بعد إعدام خميس والبكري في ٧ سبتمبر ١٩٥٢، وعرض لأشكال من صنوف الاضطهاد والتعذيب لأقارب الشيوعيين في العهد الناصري.

بعض الكتب المفيدة قد لا تكون ممتعة، وقد يمتنع ما لا يعيد، أما إذا حقق الكتاب المتعة والفائدة معاً، فإن مؤلفه يكون توصي للصياغة الصحيحة. بهذا المنطق رحت أفتش في ذاكرة العام عن أفضل الكتب التي أفادتني وامتعتني، وعلى الصور فخر إلى ذهني كتاب الدكتور جلال أمين، ماذا علمتني الحياة، (دار الشروق)، وهو سيرة ذاتية للمفكر الكبير يمكن اعتبارها علامة، فمجالها في أذهانها في أديباتنا المعاصرة سوى سيرة الدكتور لويس عوض التي صدرت في عنوان «أوراق العصر، الصراحة التي انطوت عليها السيرات، وإن تميزت سيرة جلال أمين برأيي بأسلوب أكثر سلاسة وتشويقاً، فضلاً عن كم هائل من الأسرار والاكتشافات، منها مثلاً أن أحمد أمين، والد المؤلف، لم يكن حريصاً على أداء الشاعر كما يليق بفكره وبحث مدقق في التاريخ الإسلامي، إذ يعلمنا المؤلف أنه لم ير أباه يصلي، واحتج بالمرض فلم يصح، وفي الكتاب تفاصيل كثيرة عن أحمد أمين الزوج، الذي يرضع استنائه وحرصه على أن يستكمل أبناؤه. بمن شيم البنات - تعليمهم في الخارج، فقد كان صارماً لا يعبأ كثيراً بعشاعر روجيه شاركته الحياة بجلوها ومهرها، حتى إنها

«تاكسي، خالد الحمصي» (دار الشروق) يرسم صورة واقعية للجمعية المصرية من خلال سائق التاكسي وزبائنها، متتاليات قصصية مسرحها التاكسي وقضاؤها الشارع المصري على اتساعه، والواقع يتحولاته السياسية والاقتصادية والاجتماعية، التي يعبر عنها سائق التاكسي بذكاء وسرعة بديهة حقيقية، بشكل ما، فإن هذا الكتاب تشريح للجمعية لا يقدم وصفة جاهزة، لكنه يصنع أباينا على مواطن الجرح، بسخرية وتبل ودهاء

طريقة معاصرة يأتي كتاب صادر عن مركز البحوث الاجتماعية والجنسية في عنوان «عشش الشراعية»، دراسة نوعية الحياة في منطقة عشوائية، واللائق أن السينما اقتحمت عالم العنوايات الذي يقدر عدد من يعيش فيه من المصريين بأكثر من ١٥ مليون نسمة، وربما كان فيلم خالد يوسف الأخير، حين ميسرة، هو الأكثر اقتحاماً لهذا العالم المحكوم بقوانينه الخاصة، والذي تحرك العاششين فيه نوازغ الضرورة والحاجة والبقاء، وهذه الدراسة التي شارك فيها ثمانية من الباحثين، أجروا حوارات مطولة مع من يطمنون هذه المنطقة، تكشف لنا كثيراً ما نجهل من العنوايات؛ نشأتها، نمط السكن، أولويات الإنفاق، مستويات الدخل، العلاقات الاجتماعية، النشأة، رؤية هؤلاء السكان لبعض القضايا المجتمعية، أما المقترح الذي تقدمه الدراسة بعد كل هذا الجهد العلمي لتحسين أحوال العاششين في عشش الشراعية وضيقاتها، فهو ببساطة: الإزالة.

أسباب مهينة، انشغلت بالأمرة اللبنانية التي فرضت نفسها على الساحة الإقليمية والدولية هذا العام، وبرز كتيب عديرة قراتها في الموضوع، بعضها صديقي في سنوات سابقة، فإن ثلاثة كتب صدرت هذا العام حققت الشرح الذي تحدثت عنه في البداية وهو المتعة والعدالة، والكتب الثلاثة هي: «ذاكرة الاستخبارات، للكتاب الصحفي غسان شريل رئيس تحرير «الحياة» الدولية (دار رياض الريس)، والكتاب الناشط اليساري اللبناني حسان عيتاني، «هويات كثيرة وجيرة واحدة»، (دار الساقي)، وكتاب الأكاديمي المغربي عبد الله بلقزيز «حزب الله من التحرير إلى الردع» (مركز دراسات الوحدة العربية)

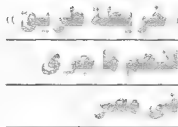
أما الأول فيعرض لرؤى أربعة من القادة الأمنيين ورؤساء أجهزة المخابرات

في لبنان منذ أواسط الستينيات وحتى اغتيال رفيق الحريري في فبراير ٢٠٠٥، وهم: جوني عبده، الذي كان على رأس مديرية المخابرات في الجيش اللبناني في عهد إلياس سركيس (٧٦ - ١٩٨٢)، وجاني لحود، الذي عمل مع الرئيس شارل حلو ورفؤا شهاب، ومحمود معمر صاحب القصة الشهيرة التي حاول فيها السوفييت خطف طائرة ميراج فرنسية تابعة للحيش اللبناني، إلا أنه نجح في تضليلهم، وجميل السيد الذي تولى الأمن العام اللبناني في أعقاب تولي المصاد إميل لحود رئاسة الجمهورية ١٩٨٨، وميزة الشهادات التي يقدمها هؤلاء الأربعة الذين عرّف بعضهم عن الكلام لمرة طويلة، أن أصحابها كانوا صنع القرار، وأنهم كانوا شهوداً وفاعلين أيضاً في منطقتهم مهمة في حياة لبنان كالحزب الأهلية والاحتياج الإسرائيلي وتناسي المقاومة والموقف من الوجود السوري، فضلاً عن عمليات الاشتغال المتعددة التي كان أحدها اغتيال الرئيس رفيق الحريري

أما كتاب حسان عيتاني فيشرح من خلال سيرة شمه ذاتية، كيف تمتعت الهوية إلى هويات، وكيف وصفت بذور الفتنة بين أبناء العائلة الواحدة على خلفية الانتماءات الأيديولوجية والأطباع الشخصية، وكيف قادت هذه الصراعات إلى زيادة البؤس والفقر في لبنان، الذي غمر الطغمة الوسطى أولاً، لكنه سرعان ما طال بقية شرائح المجتمع اللبناني

وتابع الكتاب، ثلثت قصة صعود «حزب الله»، والأدوار الاجتماعية التي لعبها في فترات الملحق التي عاشها اللبنانيون طوال الحرب الأهلية، ثم حملته هذه الدواع في لبنان والعروبة في السنوات الأخيرة.

ثمة كتب منميسين في من مجال الدراسات التاريخية قراتها هذا العام، الأول هو كتاب محمد حاكم «أيام محمد علي» (الجلس الأعلى للثقافة) وفيه يركز الباحث على التمايز الطبقي الاجتماعي وحالة الدولة والقرية في زمن الوالي، أي أنه يعطي الجانب الاجتماعي قدراً أكبر من الاجتماعي وهو أمر يدل فيه



مصر بين العصيان والتفكك  
القاهرة: دار الشروق . ٢٠٠٧  
طارق البشرى



هذا كتاب نادر في عمق تناولوه  
لأزمة الواقع المصري. يوفر لقارئه  
مفاتيح فريدة ذلك الواقع ويصرد  
بخيارات الخروج من الأزمة.

وإذا كان عنوانه: «مصر بين العصيان والتفكك»، يكاد يعطى الطابعاً بأن التفكك هو المشكلة والعصيان هو الحل، فإن اختزال موضوع الكتاب على ذلك النحو يظلمه إلى حد كبير. ذلك أن مؤلفه المستشار طارق البشرى وهو يرمس خريطة الواقع حرص على أن يلمح طول الوقت على أن مشكلة المجتمع المصري الأولى تكمن في تهميش الحريات العامة فيه، ولا يرى أملاً في أي تعديل دستوري أو أي إصلاح مهما كان نيل عايته، مادام المجتمع على هشاشته وضعفه وقلة حيالته، معتبراً أن اختزال الإصلاح السياسي في التعديل الدستوري وحده يوصل إلى الرأي العام من ثم فمن يريد الإصلاح حقاً ينبغي

البحث جهداً كبيراً لتدرسة الدراسات التي تناولت هذا الجانب من ناحية، وغياب الوثائق الخاصة بالحريات وكيفية توزيع الثروة وفرض الحياة بين الربوب والحضر من ناحية ثانية.

والكتاب الثاسي عن «شأن اليهود المصريين» (دار الشروق) وقد أزعج مؤلفه، جول بلين (دعاة القومية العربية. لتذوين اتهمهم جنباً إلى جنب الصهيانة) بتشويه اليهود المصريين الذين اصطلوا إلى الرحيل عن مصر في أعقاب حرب فلسطين ١٩٤٨، وقد كان المؤلف نفسه صهيونياً. إلا أنه هجر الصهيونية وأهل معادته لها وركز جهوده في الدفاع عن الفئات العمالية.

والى هذه الطبيعة الإشكالية من الكتب ينتمي كتاب عالم الاجتماع الدكتور أحمد زايد، «صور من الخطاب الدينى المعاصر» (دار المصين) والكتاب يتعرض بالتفكك للخطاب الدينى الإسلامى والقبلى معاً، ويكشف عورات هذا الخطاب وعدم قدرته، في معظله، على التعاطي مع مستجدات فرضتها أحداث الحادى عشر من سبتمبر، وإراحة الأعداء السوفيتى، والانتصار للكناس للراسمالية والعسكر الغربى. والمؤلف يعتمد على نصوص هذا الخطاب ذاته فيصننها ويضعها للتحليل العلمى والاجتماعى.

في الرواية، ربما كانت، شيكاغو، علاء الأسوانى (دار الشروق) في الأوفر حظاً من حيث التوزيع والميدوع، رغم صدور روايات أخرى مصرية وعربية في نفس العام منها مثلاً العمل الأخير لعميد الرواية العربية الراحل نجيب محفوظ «أحلام فترة النقا»، وشيكاغو، رواية جميلة وشيقة لا ريب، إلا أنني كنت شديد الفرح حين قرأت «واحة الغروب» لأديب الكبير المقل بهاء طاهر والتي صدرت لها طبعاً أولى عن «دار الهلال»، وطبعان عن دار الشروق، فيها يتكهن صاحب، قالت ضحى، وبالألمى حلمت لك، ونقطة، والنور، وأنا الملك جلت، وحالتى صمية والدير، على التاريخ، متخذاً من نهايات القرن التاسع عشر ورومن الثورة العربية. ومن صحراء الواحات مجالاً لأسئلة مؤرقة عن العلاقة بين الشرق والغرب. عن معنى الوطن والانتماء، عن الحياة والبطولة، وهى الأسئلة التي تتناثر في الأعمال السابقة للرواى الكبير كلها

عماد الفزلى

ان يسعى أولاً إلى رفع وصاية السلطنة على المجتمع، وإن يفتح الأبواب لتعددية سياسية حقيقية تعبر عن توجهات وتميزات الجماعة الوطنية.

وهو إذ يتحدث عن أزمة الواقع فإنه سلط الضوء على مسألتين مهمتين هما: شخصية السلطة وتفكيك جهازها الإدارى. والمقصود بالشخصنة، التى هي نظام نادر في التاريخ، ليس الحكم المطلق «الاستبدادى» لأنه في كل أنواع الحكومات التى من ذلك القبيل يشعر الحاكم فيها أنه ينتمى إلى تكوين اجتماعى محدد له وجوده المستقل عن الدولة، فقبيلة أو جماعة دينية أو حزب أو تشكيل نقابى، ولكن في الحالة التى نحن بصدها لا ينتمى القائم على الدولة للشخصنة إلى أى من تلك التكوينات، في حين يسيطر بداته على مفاتيح السلطة، بحيث تصبح آلة الحكم تحت إمرته، ولا تقيدته إلا الإمكانات المادية للدولة وأجهزةها من الحركة والنشود، وهو يدير الدولة من خلال المحيطين به، حيث ينصب أفرادها على مختلف المواقع لأطول فترة ممكنة، مما يؤدي أيضاً إلى شخصنة تلك الدوائر، بحيث تحل العلاقات الشخصية في نهاية المطاف محل علاقات العمل الموضوعية

والى يقوم في خارج إطار أجهزة الحكم ما يكون ذا تأثير عليه، ولا تقوم آلية ما للتبادل والتأثير معه وهو خارج إطار السلطة والوظائف الرسمية..

الشخصنة كما يصورها المؤلف تصنع نظاماً مغلقاً، لا يفتح على خارج داته، لا تتوفر له أية آلية للاستمداد أو التجديد، وهو ما يمثل حالة من حالات الاستياء، بأى ثمن، وفي تحول الحكم إلى ما يشبه الملكية الخاصة، وتجعل من المنصب أو الهيئة التي يتولاها الألواع شأناً خاصاً لدى السلطان، وأخطر ما يهدد الدولة المتشخصنة بالزوال هو الحركة، لأنها تستمدع تعديلات وتستدعي خبرات وعناصر جديدة من خارج الدائرة الخاصة، الأمر الذي يكشف العجز والوهن، لذلك فإن السولة المتشخصنة ما خربت قط بين بديلين،

أحدهما هو الجمود والثبات، إلا وأنحارت إلى ذلك الجمود، الذي يبقى على كل شيء كما هو.

لا يختلف البشرى مع القائلين بهشاشة القوى السياسية والاجتماعية في مصر وانعدام فاعليتها، الأمر الذي يحلها غير قادرة أن تحقق مطلباً تدعو إليه أو أن تحرس هدفاً تسعى إليه، لكنه يلفت الانتباه إلى ما أصاب جهاز الدولة ذاتها من ضعف وخور، من جراء التغيرات السلبية التي طرأت عليه في العقدين الأخيرين، وأدت إلى تفكيكه وإفقادها استقلاله وحيويتها، مما أثر سلباً على قدرته على الإنجاز، وهو يدعو إلى، ضم الاهتمام بذلك الجهاز وزجاله إلى صميم اهتماماتنا السياسية والاقتصادية والاجتماعية،.

المركبة الأساسية التي يتحدث عنها المؤلف في هذا الصدد تتمثل في سعى السلطة إلى إعادة النظم في مختلف القوانين الحاكمة لأجهزة الإدارة، بحيث يصبح صميم استمرار الموظف في موقعه، مبدئياً كان أم عسكرياً مرتبطاً برضا رؤسائه، وليس مرتبطاً بنظام قانونى مستقر، ولا بخبرته ومدى كفاءته في العمل، وهو ما يتحقق على النحو التالى: يعمل الموظف في موقعه محمياً بالقانون عند حد معين، إلى أن يبلغ نصف عمره الوظيفى، وبعد ذلك تتوقف مسيرته وتنقطع عنه الحماية القانونية، وتخضع علاقته بالهناج الذي يعمل به لعملية التجديد السنوية، وهذا التجديد تحكم فيه إرادة الجهات الأعلى، ورضا هذه الإرادة يصبح هو الضمانة الحاسم في استمرار الموظف في عمله من عدمه، ولأن الموظف يدرك ذلك فإنه يحرص في أغلب الأحوال على استئصال ذلك الرضا بمختلف السبل، ويهدد الطريقة فإن علاقة الوزارة بمختلف القيادات في وزارته أوفى القطاع العام لا تصبح علاقة عمل، ولكنها تتحول إلى علاقة تبعية، الأمر الذي يصب في وهاء، الشخصنة، في نهاية المطاف.

يعتبر المستشار البشرى على هذه الحالة بقوله: إن القيادات التي تستمر في مواقعها استناداً إلى نظام التجديد أو التآقية تفقد الشعور بالاستقرار



## التحدي

## الحدائق

## التربية

دراسات معرفية في الحداثة الغربية  
القاهرة: مكتبة الشروق الدولية،  
٢٠٠٦، ٤١٨ ص.

عبد الوهاب المسيري



هذا الكتاب هو أحد الأعمال  
الرئيسة للمفكر عبد الوهاب المسيري.  
ويمثل حصيلة واضحة ومركزة لأكثر من  
ربع قرن من الدراسة والتأمل والتفكير  
وتطوير النماذج المعرفية التحليلية  
بتجاه تفسير وتفكيك الظاهرة الغربية  
بشكل عام، وتجربتها الحضارية  
ومصونها الحداثي بشكل خاص.  
يدرس الكتاب الحضارة الغربية  
الحديثة، والنموذج المعرفي الكامن وراء  
بعض نظرياتها ومنتجاتها الحضارية.  
وتعود بعض هذه الدراسات إلى عقود  
مضت، لكن المؤلف أعاد كتابتها وقرأ  
لرؤية تحليلية متكاملة بعد أن تشكلت  
وتبلورت. كما أقام مرصد وتفكيك  
النظرية المعرفية الغربية، خاصة في  
تجسيدها الإمبريالي ضمن المشروع  
الأوروبي الاستعماري الحديث.  
إحدى الإشكاليات التي يستبطنها  
الكتاب على اعتداد فصوله وموضوعاته،

الأمن، وفقدان الأمن يفقد الاستقلال.  
وهو يقضي تماماً على علاقات التندية،  
ويقضي على إحصائ النظر والتقدير  
الدائي، كما يقضي تماماً على القدرة  
على النظر الموضوعي للأمور...

إذ حين يحدد الشخص أن مصيره  
الوظيفي ملحق في يد شخص واحد  
يخلس على قمة الجهار يكون دائماً في  
حالة خوف وإكراه، حيث يشعر بأن شمة  
قوة لبندقيه موجهة إلى رأسه على  
الدوام.

التخصصه بطبيعتها تصيق من  
سطاق الأفراد المستكين بزماء الأمور،  
وتجعلهم أشد ما يكونون حرصاً على  
إحكام القبضة والدفاع عن الشبكات،  
مستخدمين في ذلك آلة السلطة  
الأمينة، ولذلك يكون القمع هرة الفعل  
الغوري لمواجهة أي دعوة إلى التغيير.  
وهذا ما ينبغي أن يتوقعه ويتحسب له  
دعاة التغيير.

وعليه في هذه الحالة أن يستقبلوا  
عنف الدولة دون أي فعل عنيف، لأن  
الأجهزة حين تستخدم العنف فإنها  
تستغل التعليمات الصادرة لها. وتؤدي  
وظائفها في حفظ الأمن ومنع  
الاضطرابات، وهو ينصح دعاة التغيير  
أن يوعوا هذه الحقيقة، ويحسبهم على  
ضيق النفس، لأنه لا توجد في الحقيقة  
ولا ينبغي أن توجد خصوصية شبيهة مع  
أجهزة الدولة ولا على العاملين فيها. من  
ثم يتعين على أصحاب الحركة الشعبية  
أن يحتملوا عسف السلطة دون رد عليه،

وأن يشتبوا بصركتهم السلمية عبر  
العنفية، مهما كانت التكلفة، لأن تلك  
التكلفة هي النصف التي تؤدي لله  
والوطن من أجل الخروج من الطريق  
السدود، الذي يظهر أنه لا سبيل للخروج  
منه إلا بالحرارة.

التجميع الأخرى التي يوجهها  
البشرى هي أن الفعل السلمي المنتج  
يتطلب حركة جامعة وشاملة كأوسع ما  
تكون، وتقدر سعته وشمولها بقدر ما  
تكون متنتية، لذلك فإنه ألح في الدعوة  
إلى تجاوز الشتات بين دعاة التغيير،  
فألاً: إن نموذج الدولة المخصصة لا يظل  
مستمرًا وقويًا إلا بقدر ما يكون الناس  
متفريقين. ■

فهي هويدى

نظرته للإنسان والطبيعة والمفسد في  
تجمل إلى نزع القداسة عن الإنسان، بل  
تدعو إلى غزوه وتحريره، وإخضاعه دون  
اعتبار لأي معايير أخلاقية، باستثناء  
القوة، وتبين هذه الرؤية الغربية  
علمانية لا تفصل المؤسسة الدينية عن  
الدولة كما هو شائع، بل تعزل القيم  
الطليقة (المعربة والأخلاقية) عن  
الحياة وفي هذا السياق، تتماهى الرؤية  
المعربة العلمانية مع الرؤية المعربة  
الإمبريالية، بحيث تصبح الإمبريالية  
سقا للمتمطوعة المعربة والأخلاقية  
العلمانية من الغرب إلى العالم.

ظهرت الرؤية المعربة الإمبريالية  
نتيجة لمحموعة متضافرة من العوامل  
التاريخية والفكرية فمنذ عصر النهضة  
هيمنت الفلسفات العلمانية المادية على  
العقل العربي، فاعلن الإنسان العربي  
موت الإله أو تحيته عن عمليات المعرفة  
والأخلاق، وأصبحت الطبيعة مجرد مادة  
استعمارية خاصة لقوانين الحركة  
والاستغلال، والإنسان ذاته جزء من  
الطبيعة ومعدة استعمارية متحركة، بدون  
أي تكريم إلى أو مكانة خاصة، ترسخ  
ذلك مع هيمنة الفلسفات العقلية  
التفعية في القرن الثامن عشر.

ترافق مع ذلك ترديبل الأخلاق  
ناعتبارها قيما غيبية غير مادية أو كمية  
وأصبحت الفسقة أو اللذة هي الأخلاق،  
وغاية الحياة البحث عنهما وتعطيم  
الإنتاج والمكاسب، وهي أهداف مادية كمية  
قبياسية لا علاقة له بالعيب، وغدت  
الأخلاق حالة نسبية غير مطلقة، وترد  
لجودها المادية، وهكذا تراجعت العقيدة  
الدينية، وانحسر الإيمان بالخلقات  
المعربة والأخلاقية نتاجه، الأخلاق، على  
أسس قوانين علمية وحسابات رياضية،  
يضم الفهم الثالث، ماكس فيبر  
والحدثة، ثلاث دراسات في فكر عالم  
الاجتماع الألماني ماكس فيبر والهدف  
منها توضيح المنهج في دراسة الظواهر  
الحضارية الحديثة، فهو يستخدم  
النماذج المعربة متعددة الاساء ليمس  
طواهر مثل الرأسمالية والعلمانية،  
فبين علاقاتها بحركة وأفكار الإصلاح  
الديني والحولية، وقد حاول المؤلف قدر  
استطاعته أن يفسر المنهج في دراسة الظواهر  
رغم أنه قد وصل إلى نتائج أخرى معارئة  
لعبت صداقة المؤلف الفكرية مع  
الفوز الأمريكي كاش رابلي، وحوارهما  
التصل منذ ثلاثة عقود ونصف، دوراً في  
بلورة رؤية المسيري للحضارة الغربية.

وهو موضوع الفصل الثالث  
فقد تالج رابلي في كتابه





## ظواهر جديدة وأمن السخرية



اعتقد ان العام المنقضي (٢٠٠٧) كان عاما لتشين عدة ظواهر جديدة في حقل الكتابة الواسع، واستند في هذا الزعم على نتائج قراتها، وهي ليست كل ما قرأت فيها أعمال عالية لكتاب كبار اضاءت لمسارهم القوي والمتميز، لكنني احب ان اتوقف امام ما اتصور انه يشكل ظواهر، تؤسس لمسارات مختلفة او جديدة، فهي مطلع ذلك العام قرات رواية شيكاغو لعلاء الاسواني وناكسي لخالد الخميسي، وهما كتابان حظيا بقدره غير مسبوقة على اختراق حواجز القرونلوية المحدودة، فسجلا عددا من الطبعات المتوالية لم يحدث منذ سنوات بعيدة، وهذا يدق جرس تنبيه مهم لن اقي السمع وهو شهيد، حيث بات جليا ان مناخ جمهور القراءة قد تغير، ولا بد من الوقوف بموضوعية وتقدير امام هذه الظاهرة التي اراها ايجابية تماما. لآنها اضاعت لي خريطة القراءة عشرات ورعيا مئات الآف القراء الجدد، وفيما يتعذر في تصنيف كتاب، ناكسي، الذي اعجبت به، فإني اضع شيكاغو، في موقع خاص كرواية تؤسس، من جن عصارة عروبيان، تلبية مطلبين في آن اولهما. المعركة على النقاد لجمهور عريض من القراء عبر أدوات اللغة البسيطة وباجعة الأداء، والتشويق بتقنيات القطع السينمائي المتوارى والتعقب سريع

لها المالدع، العرب والعالم، بعض قصايا الحديث، كعلاقة العلم بالأخلاق وانصافه عن القيمة وظهور الشمولية والنزعة الاستثنائية، ما يسميه، اخلاق الصيرورة، اكتشف رايلي أن التراث الديني التوحيدى يؤدى إلى انفصال الإنسان عن الطبيعة، على عكس ديانات الشرق الطوطمية وديانات الشرق الأقصى الحلوية الفصل الخامس، النموذج الحضارى الحديث والحياة اليومية، هو محاولة لدراسة بعض تبايدات النموذج الحضارى الغربى على مجمل حياة الإنسان العامة والخاصة، في الشرق والعرب. يتناول هذا الفصل موضوعات كوهم الديموقراطية، والعصرية الغربية في عصر التحديت (عنصرية التفاهوت) وعصر ما بعد الحداثة (عنصرية التسوية). كما يتشعر للماركسية والاستعمار والعنصرية، الصهيونية والنازية والحداثة المنفصلة عن القيمة، وهيمنة الأخيرة على الحياة اليومية، حجارة وبرمجهر للإنسان، وأخيرا الثقافة الشعبية في مصر والانصاف عن القيمة

والتحقيق ان هناك بعض التكرار، الذي يعود إلى استخدام النموذج كأداة تحليلية تختلف عن طريقة السرد الخطى العادى، حيث تتوالى المعلومات وتتجاوز المردات العرفية والتقليقات، على نحو مستقيم متصل، أما التحليل من خلال النموذج فهو دوراني، حيث إن الباحث المستخدم للنموذج المركب كأداة تحليلية يبدأ بالنظر في تفاصيل النص وجزئياته، ليحدد منها نموذجا تحليليا لتفسيريا، ثم يعود إلى النص محاولاً تفسيره بمجمله في ضوء النموذج المستخلص

يختبر هذا الكتاب أحد مؤلفات المسيرى الرئيسية، فهو يقدم شكل واف جزءاً كبيراً من منظومته العرفية والذي يشكل كذلك اجتهاده الفكري في العقود الأربعة الماضية، ونرى ملامحه وطبقاته في أعمال متعددة حول الحداثة والظاهرة العربية بشكل عام، بل وتفسر جزءاً ملموساً من الظاهرة الصهيونية. ويمكن مقارنة هذا العمل بكتابه المصلى: الأيديولوجية الصهيونية - دراسة حالة في علم الاجتماع المعرفي، الصادر أوائل الثمانينيات (١٩٨١-١٩٨٢)، عن سلسلة عالم المعرفة بالكويت، من حيث رايادته وقيمه الفكرية

## مازن التجار

و ج هاته بصر ٧٨

## هذا النوع

## من الكتب ..

كتاب «مصر بين العصباني والتعكك، مؤلفه المستشار طارق البشري، كتاب يلامس الواقع، ينيه إلى المخاطر، ويبدو إلى مواجهة جادة للمستقبل، رغم صفحات الكتاب القليلة التي لا تتجاوز المائة وسبع عشرة صفحة، إلا أنه بالغ الأهمية، يسد نقصاً فادحاً في المكتبة العربية.

إيه كتاب مميز. فأكبر الكتب فائدة هي التي تتناول قضايا قائمة وليست تلك التي تميل إلى التوحيد أو تلك التي تتحدث عن الماضي وربما كانت مهمة كتابة هذا النوع من الكتب مهمة انجاسات ومراكز البحث، ولكن كثيراً ما يجنح البعض للكتابة عن الماضي، أو يقدمون شكل وقضايا المجتمعات الأجنبية التي درسوا فيها.

علما بأن مؤلفات المفكرين هي المرات التي تعكس مصاعب الواقع في مده وجزءه، وترسم صورة للعصر الذي نعيشه، وعادة ما يقتصر التدهور الثقافي بالخطط الأحوال الاجتماعية. فنادرة تلك الكتب التي تتالج مشاكل قائمة، وقضايا مباشرة. وترسم للقرائن طريق استرداد العافية وأسلوب علاج القصور.. وقليلة أيضا تلك الكتب التي تبث روح الإصلاح، والتي حظيت في مراحل مختلفة بالاهتمام والبحث والدراسة.

وظهرت يوماً مجموعة مهمة من الكتب والدراسات خلال وعقب الحرب العالمية الثانية. ولعل من أبرزها ما رواه د. إبراهيم بيومي مذكور في كتابه «مع الأيام»، وكسب كتاب إصلاح الأداة الحكومية، أحد أهم اهتمامات الكتاب، وعندما أسس في الأربعينيات من مريت غالى ومحمد ركي عبدالقادر، جماعة النهضة، وهي الجماعة التي عملت على رسم بلد الإصلاح، وسعت للنهوض بالشعور الوطنى..

وكانت مرحلة الصحوة السابقة لما بعدها..

ويعد كتاب مريت غالى «سياسة العد، والذي يتضمن برنامجاً سياسياً واقتصادياً واجتماعياً، من أبرز الكتب التي صدرت في النصف الأول من القرن

الإيقاع، وثانيتها. الإطاحة الجريئة، عبر شخصيات حية ومتمعة، سطوط حمراف ومحررات سياسية واجتماعية طالما انقلت الإيديا، باختصار، علاء الاسواني ظاهرة حقيقية جدا في زمانها ومكانها ولن يتوقف تأثيره عند حدود المقرونة الواسعة، بل سيستند ليؤثر في المنتج الأدبي الآن وفي السنوات القادمة، سواء اتفقا أو اختلفنا معه. وقرباً من هذا الإطار قرات عدة روايات جديدة ناجحة منها، فاضل للدهشة، لحمد المخارني، وتفريرة البجمة، لمكاوي سيد، ولعل أخطر ما في هاتين الروايتين، هو مغامرة الدخول في مناطق مجهولة سرغم استغلها في أحساننا الاجتماعية والانسانية، العولانية عند المخارني، وأطفال الشوارع وهامى وسط البلد عند مكاوي، وهي كشوف جغرافية أدبية مرعبة، وهذا دور جديد تماما لرواية كوثيقة اجتماعية لعله غير مسبوقة، أما الكتاب، والكتاب، الظاهرة في عام ٢٠٠٧، فهو، قلمين، لال فضل، فبرغم قراءتي الإدمانية لكتابات لال، وماضعتنا بتعسف، فإنني اقتنيت الكتاب، وأهديه لن أحب، برغم سوء توزيعه وصعوبة الحصول عليه. فهذا الكتاب الذي يجمع مقالات الكتاب السابق نشرها، لا يتوقف علاؤه عند حدود نقد المثالب السياسية والاجتماعية في حياتنا هذه، لكنه يمتد إلى أفق نادر في سماء الكتابة، هو أفق السخرية العالية والراقية والموهوبة، بل عارمة القوية، ولو كان أمامي أن اختار كتاباً واحداً ليكون كتاب العام، لاخترت بلال فضل بكل اطمئننا وفرح، بلال كاتب ساخر من نوع نادر، وأرغم أنه الوريت الأكثر استحفاً لإمارة الكتابة الساخرة التي شيدها ساخرون عظام أمثال عسما محمود المصري، وأمير الكتابة الساخرة الجديد يتميز بعدة سمات إنسانية وإبداعية اعتقد أنها لم توجد في مجتمعة لعربية، فحافة عريضة وتلقف مقتردة ووعي بالعمق التراثى والإبداع الإنسانى المعاصر في الوقت نفسه، ثم إن هذا النبيل الموهوب الجميل وهو يسطق سخرياته النكية المضنية الملوثة، والمهجة كالعاب نارية في سماء ليل حالك من الطفيلية، لا يعبأ بالصبائيات «المواصلة» لأن ذكاه الروحي يندرك عظه اللامع. ولأننى اعتقد أن ظهور كتاب ساخر في مصر من السخرة هو بمثابة ميلاد شاعر عظيم في القبية العثمانية، فإننى أراه بوضوح: الأمير الشاب للكتابة المصرية الساخرة.

## محمد الخرنجى



يعرض الحافظ كل تراكم الخبرة السابق في الوزارة. وينفذ سياسته بلا مناقشة أو حوار مع خبراء وزارته! وتم هذا الأمر أيضا في القطاع العام. بل وكافة الحالات الأخرى.. وصدر القانون رقم ٢٠٣ لسنة ١٩٩١، لكي يؤدي دوره في تمكين القطاع العام. وجعل الوحدات الإنتاجية في شكل شركات مساهمة مملوكة لشركات مساهمة قاصية. وإن أقيمت هيئاته الجماعية العمومية فمدته ثلاث سنوات، ولا يلبث أن يعاد التعيين من جديد!

وصار فرد واحد هو الوزير رئيس الجمعيات العامة لكل الشركات، وهو الذي يقيم أعضاء الجمعيات العامة لشركات القاضية مع رئيس الوزراء.. ولم تعد هناك أي ضمانات وطنية، ويترك أي واحد منهم وظيفته بكلمة واحدة تصدر من فم الوزير.. وبذلك أصبحت هذه الشركات أكثر تبعية لا للسلطة المركزية بل لوزير واحد أدى إلى تشريد الكفاءات وذوي الخبرة، وكان أحد أسباب انهيار والتجهت هذه السياسة الإدارية والتنظيمية إلى تحويل جميع العاملين في الدولة المصرية إلى أتباع يعطون لدى الوزير أو رب العمل سنة فلسة. مع إمكان العمل والتسريح.

وهذا الذي أصبح وجوده معلقاً في يد رجل واحد، يكون دائما في حالة إكراه، يكون أشبه بمن توجه فوهة البندينية إلى راسه على الدوام.. ولم يقتصر هذا الأسلوب التسلطوي والإداري على القيادات العليا. ولكنه يمتد في القانون الجديد الذي يجري إعداده إلى كل العاملين. ويعد وزير الدولة للتنمية الإدارية د. أحمد درويش، مشروع تطوير الأداء الحكومي. وتغيير قانون الوظيفة العامة حتى تتحول كل الوظائف الحكومية إلى وظائف مؤقتة!

ويسادى الكاتب بصورة تنحجية السلطة القابضة التي تتوزع على الجهات الإدارية المختلفة. فلماذا البلد بملايينه من البشر وبياراته وصناعاته واقتصاده وخبراته العلمية والفنية والثقافية. ونظم إدارته الحديثة. وهجرته الإدارية والأمنية والسياسية وبمؤسساته وهيئاته وأجهزته ومدارسه. هذا البلد بهذا التمدد والتطور، ولا الشمول. لا يمكن أن يظل مثل الهرم المقلوب

مصطفى نبيل

ولا لتفكيك البيروقراطية تفكيك الهيكل المؤسسي وإضعاف الشخصية الاعتبارية.. كما فعل للمصريين والجنود المصريين أن يخوض معركة الباسلة في أكتوبر ١٩٧٣ بغير أن يكون مرتكزا على قاعدة اقتصادية إنتاجية. وجاء التفكيك الهرمي المقلوب والهيمنة تصفط الإدارة وتشل الفاعلية وتكتم الصوت بعد ذلك..

لقد تجاوزنا النظم الأوروبية. وهفرنا إلى النظم الأمريكي. وأخذنا معضه وتركتنا البعض الآخر. على أن التغيير لا بد أن يكون حزمة واحدة. لا ينفع أن نأخذ جانباً ونترك جانباً آخر.

ويطالب المستعان طارق البشري بعودة الوكيل الدائم. فعلى أجهزة الإدارة أن تكون متميزة وممضنة عن جهاز رسم السياسات. التمثل في الوزراء ومجلسهم. ويجب أن يقابل المروءة والقابلية للتشديد والتغيير التي يتقبلها تغيير الوزراء، ويوزاها استمرار واستقرار العمل التنفيذي لالتصالح باستمرارية الدولة ذاتها ومشروعاتها بعيدة المدى. فلا تتضارب ولا تخزن عن أهدافها. عندما يتوهم لها قدر من الاستقلال يحفظ لها إمكان مراعاة الأوضاع المحلية.

وها هو البناء الإداري يتصعب. يصدر القانون رقم ٥ لسنة ١٩٩١، الذي جعل الوظائف القيادية مالتعيين عن طريق المباشرة من داخل النسيج الوظيفي للهيئة أو من خارجها. ويكون التعيين لمدة محددة ثلاث سنوات، وكثيرا ما يحترل القرار لمدة سنتين أو سنة واحدة.. والمباشرة تعنى إسقاط حق الكسفة والأقدم من رجال الإدارة في توليها. وأبعد هذا القانون حقوق هذه الفئة من التكنولوجيا ذوي الخبرات، وأهدر أيضا عنصر الأمن والأطمئنان الذي كانوا يعتمدون عليه في تقديم الخدمات وإدارة الإدارات المدنية المدنية للمشروعات التي يقدمون عليها..

هلم بعد في إمكانهم الإفصاح عن رأيهم، أو حماية مؤسساتهم من المخاطر التي تتعرض لها. فخلقتهم بمن هوهم من وزراء تغيرت وتحوالت إلى علاقة تبعية، مضمة حقه من منسبه ورصا وزيمه ويظل تطبيق هذا القانون سلاحا في أيدي الوزراء في مواجهة دوائر وزارتهم الذين يوقوهمهم - في الأعلى - خبرة وعلما.. وأدعى نتائج هذا القانون، أنه مع الوزير الجديد، يتغير الثقة، ويأتى الوزير برجاله. وأحكم القانون قبضة الوزير على رجاله، ويمكن له أن يضرب

في مجلس الدولة. اقترب خلالها خبرته من مشاكل وهموم الإدارة المصرية. وتناول الموضوع بمهارة نافذة. وقدم عصاره تجرته في هذا الكتاب وما سببه من كتب وكأنها سلسلة يكمل بعضها بعضا.. يتناول الهيكل الإداري والنظام القانوني الذي يحكم هذه المؤسسات، وجمع بين القانون والشأن الفكري والسياسي. وظهر تمكنه واهتمامه من خلال كتاباته. كتاب "الحركة السياسية في مصر"، ويسعد زغلول مفصلا، والمسلمون والأقباط. وظهرت خلالها جميعا قدرته التحليلية العالية. وثقافته الواسعة. ويبدو أحيانا وكأنه يحارب بقلمه وحده..

وأتى أهمية كتابه في أنها لا تنجح إلى الألفاظ الجردية بهذا عن أرض الواقع. بل هي جزء مما عاشه وخبره. ويظهر أيضا مقدار النزاهة الفكرية والشجاعة الأدبية.. ويرى أن مطلب الغالبية من الإصلاح، هو إزالة عوامل الإكراه عن جهاز الدولة. بعد أن أصبح رجال الإدارة مثل حبات العبد المنطرد، لا يجمعهم جامع. ولا يحدد مسارهم طريق مرسوم. صاروا مثل عارفين بغير قائد ينظم حركتهم. ولا ضابط يقيع ينسق بين نعماتهم. وهذا ما خلص إلى..

وسبق وتناول الكاتب في مؤلفه الديمقراطية ونظام بولويو، هيكل النظام القانوني الذي اقامته ٢٣ بولويو، والذي أصبح مثل الهرم المقلوب، الذي يقف على رأسه وليس على قاعدة.. ويظهر واضحا التناقض الواضح بين الشكل التنظيمي وبين مضمانيته السياسية والاجتماعية. وبين أن لهم انتكاسات ثورة بولويو، هو ما يتعلق بالأساليب التنظيمية التي أقيمت على أساس هياكل العظم ومؤسساته. وقامت السلطة المركزية على المؤسسات على أساس الهيكل الذي سمي فيما بعد مراكز القوى.. والذي تمكن حزب النظام من تصنيته بجدره وقد رئيس الجمهورية صاحب تلك الصيانت، والذي أصبح تنظيميا إلى التفكير. وانحصر سلمه الرئيس السادات في معركته ضد كل أجهزة الدولة في يومين اثنين.. وكما بدأنا.. بالقرار الفردي من أجل تحقيق مشروع سياسي واجتماعي طموح. اختل كل قرارات التراجع بالقرار الفردي أيضا!

ويضع الكاتب يده على نقطة مهمة، إننا نبدأ القرن الحادي والعشرين من ذات الموقع الذي بدأنا به القرن العشرين! نعم، مقاومة توحش البيروقراطية،

مفترين. حتى لقد اعتبرته مجلة الشرق وسقط الأمريكية، من أفضل الدراسات الاجتماعية في العالم..

وبعدا نشر ذات المؤلف عام ١٩٩٥ كتابا آخر مع مديكور تحت عنوان: "الأداة الحكومية". ولا يقل أهمية في ذات الصلة من كتاب د. طه حسين "مستقبل الثقافة في مصر"، ولا يفوتنا أن نلاحظ سيطرة المستقبل على تلك الكتابات، وشن هذا لكتاب حملة شعواء على التعليم لأجنبي. ودعا إلى مراقبة الدولة للمدارس الأجنبية. حتى تحافظ على مقدار من التعليم الأجنبي. ودعا إلى اكتساب أسباب القوة في ميدان العلم والثقافة. وحين من نقصر بعد الاستقلال. فهو مل مراهقا متأخر وشرايع. وطالب الدولة بتكوين العقل المصري كوكيونا يلائم الحاجة الوطنية في تشييد الديمقراطية الحافظة على الاستقلال. فيجب أن يتعلم الشعب إلى أقصى حدود التعليم. فلهذه هي الوسيلة الوحيدة لكي يعرف الشعب مواضع الظلم. ويحاسب الشعب هؤلاء الذين يظلمونه ويتآثرون بثروتهم وحده. كما كتبت أيضا هذه النوعية من الكتب. ومن الكتب التي لا تنسى في هذا السياق، كتاب د. عباس عمار عن "المدخل الشرقي لمصر". الذي ينبغي عادة نشره والذي يذكر القارئ بالأهمية القصوى لشبه جزيرة سيناء..

إن تناول رفيع مستوى كفاءة الإدارة، لا يلتفت إلى أحد بل للقرار الكاسي، رغم هيمنة الباطنة من أجل النهوض الوطني، وخاصة في رفع كفاءة الجانب التنظيمي والمؤسسي، وأهمية تحسين الأفكار الجيدة إلى واقع. والعمل على إعطاء التفاصيل الإدارية والأهمية التي تستحقها. وهو ما فهمه الكاتب. فهناك مطلب غائب من البرامج السياسية، لم يهتم به سياسيون أو مفكرين أو حزب، ولم يهتم أحد ما يستحقه من اهتمام. إنه إعادة بناء جهاز الدولة، والاهتمام بما دخل عليه من تغيرات، ولم يبحث أحد نتائج ومعزى التغيرات التي وقعت. ولم يناقش أحد التغييرات التي سوف تحدث.. ولا يجوز الكلام عن التنمية دون تطوير الأدوات الحكومية، وقيام إدارة رشيدة.. ولا يضل بل أحد.. كيف يمكن أن نتعامل مع جهاز الدولة بما يصلح من شأنه. وها هو المستشار طارق البشري يهتم ببرامج الإصلاح الإداري. ويقدم دراسة حول إلى أي حد حققت هذه البرامج أهدافها. وقد خير هذا الموضوع من خلال عمله نحو أربعة وأربعين عاما

## كتب فرنسية

### Les frontières du jihad

(حدود الجهاد)

Jean-Pierre FILIU

Paris, Fayard, 366pp., 20 euros

نادراً ما تفلح صورة العلاف في توصيل حقوى الكتاب، لكن حين يمتلك المصور عيناً محسنة، تجسد اقتناص اللحظة الكاشفة، وتحسن استخلاص الجوهر الخفى، تفتى المصور عافياً عن آلاف الكلمات، وهو ما تحقق في غلاف كتاب، حدود الجهاد، للكاتب جان بيير فيليو، المؤرخ والمستعرب الفرنسي الذى عمل في مصطلحات أغنية في لبنان وأفغانستان، والذي يعمل حالياً أستاذاً معمد الدراسات السياسية بباريس. إذ تصدر وجهة النظر لقطه -لبن لا، وقد جلس أمام خريطة لأفغانستان وراح يشير بمصداق إلى منطقة البانشير، تلك التي كان يسيطر عليها عبود اللودود أحد شاه مسعود، قائد المجاهدين الأفغان في مرحلة التحرر من الاحتلال السوفيتي، الذي تمت تصفيته قبيل وقوع هجمات الحادي عشر من سبتمبر، ٢٠٠١.

وفقاً لمؤلف الكتاب، وتبعاً لما استقر في ذهنه عن الجهاد، مصطلحاً وتعريماً، ثمة نوعان من الجهاد يتقاتلان على الساحة العالمية بلا رحمة أو هوادة، أولهما جهاد، وعلى الأملح، دعوى الصيغة، لدميرى النزعات، ثمة شأ وتعرض في رحم المولة، وثانيهما جهاد تقليدي، إقليمى، يتحرك بنادع من المقاومة الوطنية والتحرر، ويضرب سجدورة في عمق التاريخ الإسلامى.

ولطوف على أعاند هذه التناقض بين التيارات، يبدأ جان بيير فيليو بتحديد ركائز الجهاد في الإسلام، ليقوض إلى الجهاد بواسطة السلاح من أجل حرية في أكثر شمولية ورحابة، مبيناً أن الجهاد الأكبر في الإسلام هو محاربة كل مسلم لنفسه معة تقويمها. كما يعرض الكاتب لحاح من تاريخ المجاهدين الأوائل في نشر الدين، حتى عصر الدولة العثمانية، يجره إلى ذلك أخبار جهاد المقاومة الذي بدأ بآبى الحزب الصليبي للبلاد الإسلامية، وقواصل مع قدامى حركات التحرر من الاستعمار الأجنبي في العصر الحديث، تحت قيادة ضباط ذات قلق روحاني تصوفى، مثل الأخير عبد القادر في الجزائر، والإمام شامل في بلاد القوقاز. ويشرح فيليو كيف تسمى منظمة القاعدة منذ أكثر من عشر سنوات لاحتلال إقليم يكون مركزاً لشروعها التخريسي، وهو ما جعلها في بلد آخر لاستقطاب مقاتلى الحركات الحوادية الوطنية، واستيعابهم داخل صفوفها، فمن الاستيلاء على السلطة في أفغانستان تتألف مع جند «طالبان»، إلى الفصل في الارون ومقتل الزوافي، إلى الإخناقية في السودان، إلى أن وجدت «القاعدة» مستندتها ومرتمها في العراق، يتسهل من الاحتلال الأمريكى، وهو ما حمز حركات المقاومة الوطنية في بلاد الرافدين للعمل، باسم الجهاد الحق، على التصدي لشروع تحويل العراق إلى جهاستان، الرهينة، المقصرة عالمها في أرمية الحرب العديدة، المنتمية في بحار من مياه العراقيين، سنة وشعبة، في عالم، فقد انزاه، تحت صعوط القطب الأمريكى الأوحد.

هكذا يظهر المؤلف التصنيف الشائع، ما بين إسلام معتدل وإسلام أصولى، ليستصيح عنه تحليل لحدود هذا النزاع الجوهري الذى يشهده مفهوم الجهاد لتحليلاته المعاصرة

### Ni d'Eve ni d'Adam

(لا من حواء ولا من آدم)

Amélie NOTHOMB

Paris, Albin Michel, 244pp., 17 euros

في اللغة المرستية، حين يمول المفكلم إنه لا يعرف فلانا، لا من حواء ولا من آدم، فهو يعنى بذلك تمام جهله بذلك الشخص، ها هي فكرة الجهل بالآخر متضمنة منذ البداية في عنوان الرواية السامدة عشرة لكلمات البليجكية الشهيرة والغزيرة اميل نوثومب، التي تعود لقرائنها برواية جديدة في فصل الصيف من كل عام، بانتظام جييد منذ عام ١٩٩٢.

الجهل بالآخر مستقر إن ومتضمن منذ العنوان، وادم وحواء كلاهما جاهل ومحجول،

### La Femme Fatale

(صاحبة الضئنة)

Raphaelle BACQUÉ, Ariane CHEMIN

Paris, Albin Michel, 2007, 229pp., 18 euros.

ثمة فح يخفيه عنوان هذا الكتاب من عيش المترجم المتسرع، فلقد نادر كل من نقل عنوان هذا الكتاب في الصحف العربية إلى ترجمة la femme fatale بـ «المرأة الصائنة»، وهي ترجمة تلفت دون ما يوحى به العنوان المرستى من اردواجية دلالية، هافشة المرأة هنا ليست من السوء الذى يستهدف الانصهار والقلوب فحسب بقدر ما هي من ذلك النوع الذى يشتت وحدة المصوف، ويزعزع قوة الأحزاب، ويستجلب الهزائم الساحقة، فالعنوان يحمل تورية بلاغية لا تتجلى معانيها إلا بالقراءة الثمانية لمصفاة كتاب حقق أعلى البيعات لدى مصوره في فرنسا عقب الإعلان عن نتيجته الانتخابات الرئاسية (٢٥ ألف نسخة)، فالمنشأ وثلاثون صمعة التي استقرتها كاتباً هذا المؤلف الكثير في سرد خمايا الحملة الانتخابية الخاصة بسيجولان رويال مرشحة الحزب الاشتراكى الفرنسي، كانت باجتماع الافلام في الافضل من بين سيل الكتب والمؤلفات التي استعبتها الانتخابات المرستية.

سامة شبه غريقية تلك التي ترويبها رافاييل ماكيه وأريان شومال، الصحفيات جبرية، لومويد، في هذا الكتاب، ماسة توافرها هي كل العناصر المرستية، من بطلة هائنة تتنازعها قوة العاطفة وجوع الطموح، إلى رفيق يسد لمن الخيانة من استقراره العملى والأسرى، وجولة من السياسيين المخضرمين، تمنع بهم الحظيرة إلى مقبرة الاميار، ومعيد غريب فوق الرؤس حين تتخلط حسابات المتنازلات بحسرات المشايين.

لدخل الكاتبات إلى عالم سيجولان رويال بمهنية عالية، فحسار مراهبا وعمويها، وتشرحان أساليبها وتفتكها، وتعرضان الفئران بالحيطين بها وبأهل ثقها، ولكن الأهم هو ما تمعد إليه الكاتبات من استلاء للأملح العلاقة غير المسبقة في تاريخ انسيام المرستية ما بين رويال ورفيقها ووالد أنبلها الأرملة، فرانسوا أولاند، الأمين العام للحزب الاشتراكى، الذى سلطته رويال عليها كان يراوده منذ سنوات طوال، حين تخطته وترشحت للرئاسة بدلا منه.

وتعبد الكاتبات إلى أن «الخطأ»، التي تراكمت فوق العلاقة وكدا، الخطايا، التي ارتكبتها أولاند، كانت وراء قرار سيجولان السياسى في الاندفاع بكل ثقها للترشح في انتخابات الرئاسة، وسحب البساط من تحت قدمي رفيقها، بل وتهدية بمنعه من رؤية أنبلها لمو أمه دعم ترشيح ليونال جوسبان وفي الوقت نفسه سحقت سيجولان اعمال دومينيك، ستر وس كاد ولوران فايروس، وتحدث كل أعراف الحياة السياسية لنشر حرصها على الثورة، حين أعدت انصافا لا مرد له في معركتها، ما بين الحرس القديم والحرس الجديد، وأصابت حزبا بصيرة قاتلة (fatalité).

ومع ذلك، ينشئ إلى يعطى الفئران أن كتاب «صاحبة الفتنة» كتاب قائم على نشر المصالح أو التشهير بالصالحين لا تتطرق إلى تفاصيل العلاقة الخاصة إلا بالقرير الاثام لشرح أبعاد المسألة العامة، وللخصوصيات الشخصية لمرد ذكرها إلا في معرض تحليل بواتر القرارات السياسية كما أن جل الكتاب لا يتوقف عند وصف تلك المعامرة السيكونادمية، بل يقدم تحليلا سياسيا هائلا البراعة الكواليس الحملة الانتخابية لسيجولان رويال التي انتهت بإحرازها ٤٧٪ من الأصوات، فلكتاب يظهر مرشحة دائمة المودة إلى استطلاعات الراى، دائمة الانصاف لخيراء الراى العام، وعلماء النفس والاشتماع، وخراء السيميائية، تهتري بصفة يومية تطلعات الشارع وتنقصى امال المرستيين، حتى إلى الجص صار يعدها معانة رائدة لديمقراطى الراى المستندة إلى آراء العلم وسائل التكنولوجيا.

لكن تلك الطائفة المتصه، هدرت يوم انقسم الحزب الاشتراكى على نفسه، لينهار البناء الذى كان قد شيده فرانسوا ميتران، ويتصيب مجله نعيان ضخم، شبيه بأفعى الهيدرا، تلت الرؤوس المنتمية، التي ظهرت في أساطير الإغريق، لكن هيدرا، الحزب الاشتراكى لم يكن لها سوى رأسان، رأس المرشحة المائتة ورأس الرقيق الحائق، وسوسط أصوات الصحيح، واستعداد كل رأس لتلكت بالراس الآخر، فوق اقتناص اليسار المرستى السامدة، كان ثمة رجل يقطع المشهد في سعادة غامرة، قبل أن يتحسس لكيله الغار على اليمين، ويتعلق بموكبه موكب تحت قوس النصر، متجها صوب قصر الإليزيه، جامعا في حكومته كل من تبهى من رجال اليسار المحترمين...



الإيطالي أمبرتو إكو. تكاد الترجمة الفرنسية لتزامن مع صدور الكتاب في لغته الأصلية. في كتابه الجديد، «تاريخ القبح»، يتكلم إكو الرحلة التي كان قد بدأها عام ٢٠٠٤، بكتاب «تاريخ القبح»، مواصلًا استكشاف نزعة الامتناعية (le conformisme)، المتبقية بالأعراف القدرية. سلفًا في مباحث القبح أو الجمال، وعلى اعتقاد فصول هذا السفر القديم، يعرض الكاتب لتجليات القبح المادية والروحية والفكرية عبر العصور، من خلال إبداعات التنوير والفلاسفة والروائيين.

ويبين إكو أنه في الوقت الذي استطاع فيه النحات الإيطالي في القرنين السادس عشر والتاسع عشر، تشابه التعبير الذي سماه «الغبار»، والذي يجسد النسب المثلى للجمال البشري منذ القرن الرابع قبل الميلاد، فإن القبح يظل مفهومًا متغيرًا ومتنوعًا عبر العصور، يصعب تحديده بقياسات أو نظريات له بنسب.

ففي العصور الوسطى، كانت الشيفوخة رمزًا للقبح الأنثوي، حتى أن العامة كانوا يمزقون المرأة المعجزة ذرات مملكة، تقتل الوليد في مهمل، وفي عصر النهضة، ظهرت الفكرة التي ترعن فضيلة المرأة بفتح شكلها، إذ كتب القديس الإيطالي سان روكو أن المرأة الدمية، عنوان الأمانة، ودواء للردية، وفرصة للتخلي بالشفقة والشمس على الصبر. لكون الصميات جرحن اللاتي لا يثرن رغبة ولا يحركن شجونًا، بينما على العكس، شت إبداعات الجميلات، والصق بالجمال تهمة الغواية، أما في عصر «الباروك»، كما يوضح إكو، فكم يعد من المستغرب امتداح الصفات الجميلة في شكل المرأة، بل إحداث تلك المصيبة التي يرى مصدر جاذبيتها، وهو خلط كانت قد لوتحت به ساحرات ماكينت، حين قلن إن «القبح جميل، والجميل قبيح».

وبعيدًا عن المرأة يستجلى أمبرتو إكو معاني القبح في كل ما تشي به مظاهر الحياة من تشرد وضباب ولحلال وتشاطر وجين خير وسوءية وإجراء وتعتف واستعزاز وتدن وإفساد وانحراف وفحش وبيادة وخزي وفرة وقدرته وشناعة وبشاعة وخسة وسفالة، إلى آخر تنويعات القبح التي تتجلى في حياتنا اليومية...

ويخلص إكو إلى أن تاريخ الجمال ما كان ليقيم بمحفل عن تاريخ القبح، لأن «الكون قد خلق في حالة وحدة متكاملة، حيث الظلال تسمي في إبراز توهج الأضواء، وحيث يمكن أن يقال إنه إنه القبح في حد ذاته أن يصبح جميلًا في إطار النظام العام، الجميل هو النظام في اكتماله وفي تناغم عناصره، ولتقبح في المحصلة دور في الحفاظ على توازن هذا النظام».



**Alabama Song**  
Gilles LEROY  
Paris, Mercure de France, 189pp., 15 euros.

في عام ٢٠٠٦، تم منح جائزة جوتكرو الأدبية، لكاتب أمريكي يكتب بالفرنسية، وفي ٢٠٠٧، منحت الجائزة لرواية فرنسية تدور أحداثها بالكامل في عتق الجنوب الأمريكي. في الظاهر، ثمة تطبيع فرنسي أمريكي وليد، يشتر جانحات السلام في السياسة كما في الأدب، لكن الأراجيح أو بعد الموعلة لم يعد يستعصي عليها ذلك أشد المحسون الثقافية صلاية في الماضي، وما هي باريس لتشارك...

تدور أحداث رواية «أغنية ألباما»، في مدينة مونتجومري عام ١٩١٨، ويحكى فيها الكاتب الفرنسي جيل لوروا قصة حياة الروائي الأمريكي، سكوت فيتزجيرالد، وزوجته «زيلدا ساير، اللذين كانا من أبناء السمع والبصر في التشرنوبليات من القرن الماضي. وتبدأ الأحداث عندما تلتقي «زيلدا، جميلة جيلات الجنوب، بالضابط الشاب، سكوت، ويتزوجا. يحترف سكوت الكتابة بعد نجاح روايته الأولى لجناح عظيمها، وسرعان ما يصبح هو زوجته فاهكة الأمسيات والحفلات في نيو يورك. لكن الزوجين النجمين لا يزالان بعد طفلين غنيين يبحوان في حياة اجتماعية لا ترحم، وسرعان ما تحترق اجتماعهما بوهج الشهرة وأضواء التجموعه...

ويسرد لوروا أحداث روايته على لسان زيلدا، فيبدو وكأنه يقدم لنا مذكرات التي لم تكتبها قط، ما زلت تفاصيل الحديقة بالخيال، ينطق عن بطلته بأدق فادائق أفراسها واتراحها، واصفا حالها في زنازة زوج استسلمها أسوأ استغلال بعد أن سرق أحلامها واستعملها كمادة مستباحة لرواياته، حتى أوصلها إلى مستشفى الأمراض العقلية، حيث قضت نحبها في حريق.

«أغنية ألباما»، لمن علمه بالدموع، ولكن على الطريقة الفرنسية الأمريكية المشتركة، حيث الجنة تفتح أبوابها على الجحيم، والفرشات تحترق بنيران أهوانها...

في علاقة تريعد، بين الشرق والغرب وتفصل بينهما هي أن، ففى روايتها الجديدة، تعود أميلي مونومب إلى طوكيو، مسقط رأسها، لتتروى لنا قصة حبها الأول مع شاب ياباني من أسرة ثرية، ومنذ الجملة الأولى، تبدو حتمية التواصل لفتى حالة من الجهل المتبادل، إذ تقول أميلي، «البطلة الرواية»، بدت لي الطريقة المثلى لتعلم اليابانية هي أن أقوم بتعلم الفرنسية...

ومع اتفان الجهل وبدء حالة المعرفة يولد الحب، ومع خلة اللغة الفرنسية الأولى، تكتشف أميلي عالمًا واسعًا في بلاد الشمس المشرقة، من من حصل طالبها اليابانية «نري»، وفي إطار من الكوميديا الرومانسية الخفيفة، تطفل لنا الرواية من كل بستان زهرة، فتقدم وصفًا فكهًا للمعدات والموروثات الثقافية اليابانية، وتضفي النص بإحالات أدبية وأفوية لا تخلو من طرفة، وتصحب قارئها في رحلة مدشمة إلى أعالي جبل «فوجي»، وتجري تحليلًا ذكيًا لنظام التعليم الصارم في اليابان، وتقدم وجه الحزن الصامت المثل على الإنسانية من عيون أهل هيروشيما، وترسم بالطلع طوال الوقت حالة الشبان الصافر بين شاب ياباني يعانى من حالة عتق يخالطه البهار، بفعل من أفكار مسيئة، وفنًا بيجيكية تكبر القيد، وتقرر في النهاية الهرب من علاقة تبدو لها وكأنها استحار بسيف ساموراى...

ولقد ربطت بعض الأقلام بين هذه الرواية، الحاصلة على جائزة «فلور» ٢٠٠٧، ورواية «العاشق»، لمارجريت دوارس، الحاصلة على جائزة جوتكرو ١٩٨١، لتكون البطل في الحاتين شاب أسبوي، لكن، بعض النطر عن قباين القصة والوزن بين الكاتبتين، تظل بطلة نولومب الأخف ظلاً والأكثر تعقلاً من بين البطلتين، وتبقى قصة الحب بين أميلي ونري قصة حب عذري غير مكتملة، وكان آداب الشرق والغرب لا يتلاقى، ولكنهما أعداء أيات رويدار كيهلنت تتجاوز في الخلفية، تنضبط إيقاع علاقة أزلية، من دون أدنى تدخل هفلى، لا من حواء ولا من آدم...

**La question religieuse au XXIe siècle**  
(المسألة الدينية في القرن الحادي والعشرين)  
Georges CORM  
Paris, La Decouverte, 207pp, 9euros.



منذ نهايات القرن التاسع عشر، ثمة اعتقاد راسخ في أن السياسة العالقية تشهد، عودة، كاسحة للشأن الديني، الذي صار يعد بمثابة المصباح الرئيس لفهم العالم، ذاك هو الاعتقاد الذي يناقشه، في هذا الكتاب، الكاهن الموزع والأكاديمي وعالم الاقتصاد الفرنسي جورج كورم، فهو يعمد إلى تحليل البواعث الفلسفية والسياسية والكاسية وراء تمثل العالم بواسطة تلك الطريقة، المنحدرة من الفكر ما بعد الحداثي المناهض للثورة، الذي يفتى على وجه الخصوص عمل المحافظين الجدد الأمريكيين.

ولا يعجز الكاتب، اجتياح الدين للماحة السياسية إلى عودة الروح إلى الهويات الدينية التي كان قد محاها عصر التنوير، وفي هذا الموقف، يواصل جورج كورم تحليلات حنا أرنت، إذ يعمد إلى توصيف الدين التي تلماني منها الديمقراطية التيقية، التي نهكتها تبعات العولة الاقتصادية، وهي، بحسب الكاتب، ذات الأزمة التي طالت أيضاً تفسيرات الديانات السماوية الثلاث، اليهودية، والمسيحية، والإسلام، والتي أسهمت في إفراز حركات التطرف الديني.

هكذا، يخلص الكاتب إلى أن جذور تيارات العنف المعاصرة لا تكمن في أحداث مثل الثورة الفرنسية أو في الإزهاج الدامي الذي استبقته، بلقر ما تعود إلى عهد محاكم التفتيش وإلى قرن طويل من الحروب، «الدينية»، في أوروبا، فما نشهده اليوم، وفق الكاتب، لا يصح إن وصفه بأنه «عودة الدين»، بقدر ما هو «عودة لاستغلال الدين، لخدمة مصالح اقتصادية وسياسية بعيدة كل البعد عن شرائع المصم أو رسالات الرسل».



**Histoire de la laideur**  
Umberto ECO  
Paris, Flammarion, 453pp, 39 euros.

تحتفي حركة النشر الفرنسية بالترجمة احتفاءً غير عادي، فالفرنسيون حرصون على أن تنطق المعرفة بحروف فرنسية، وحين يكون الكاتب بأهمية الأديب والمفكر

## La révéuse d'ostende

(حالة أوستاند)

Eric-Emmanuel Schmitt

Paris, Albin Michel, 310 pp., 19 euros.



البعض يشهد النسيان والبعض الآخر يحيا بالتذكر.. لنسيان علاقة عاطفية فاشلة، يلجأ كاتب فرنسي للاستجماع في مدينة أوستاند الهادئة، تلك المدينة البلجيكية النائية بين أحضان بحر الشمال. هناك يفاجأ البطل بشخصية غامضة هي صاحبة المنزل الطاعة في السن، التي تدور له أمق تفاصيل ماضيها المجهوب، حيث العاطفة المشوبة تختلط بغربل التجارب وذوادر المفارقات. فهل تكون تلك السيدة المجوز مجرد صانعة أكاذيب ماهرة أم أنها حقاً كانت في شبانها امرأة فريدة؟ هل روايتها محض خيال أجيته الوحدة وأطلق العنان له لإبراز العمر وفنائه وإقبال الموت بهديانه؟ أم أنها كانت حقيقة وقعت في أيام غابرة، تأبى الذاكرة التخلي عنها. أو الإصرار عما خلفته في النفس من تشبث بالناس الفاضلة هذا هو التساؤل الذي يظل مطبقاً حتى آخر صفحة من صفحات قصة، حالة أوستاند، التي تختد مجموعة القصص الجديدة لإيريك إيمانويل شميت عنوانها وواجهتها الفكرية.

هذا وكان القارئ العربي قد تعرف على كتابات وإسرحي والفيلسوف الفرنسي إيريك إيمانويل شميت من خلال رواية «مسيو إبراهيم وظهر القرن»، التي تحولت إلى فيلم سينمائي شهير من بطولة النجم عمر الشريف، والتي صدرت ترجمتها من دار الشروق بتأليف محمد سلماوي. هذه المرة يظل شميت عبر نافذة القصة المضمرة، من خلال مجموعة تضم خمس قصص هي: «حالة أوستاند»، «والجريمة الكاملة»، «والشفاء»، «والفرقة الرافعة»، «والمرأة التي حملت باقة الزهور». وهي المجموعة التي وزعت حوالى مائتي ألف نسخة. في مواصلة سلسلة من النجاحات التي يشهدها فلم هذا الكاتب الفرنسي الكبير الذي ترجمت أعماله في أربعين لغة.

وما بين القصص الخمس، ثمة خيط رفيع يمتد كرابط خفي، يردد لفظة الحب تارة، وتارة لفظة الموت، في تفصيلي كشف عن حسي سردي خافت، يجسد الحب بأعصاب المثالي، ويوحى بأن الحلم إنما هو المادة الأولية لنسج الأيام. سواء كانت أحلام مجوز أوستاند حقيقة، أو كانت محض سراب.

SEBASTIEN FUMAROLI



## Tempête sous un crâne. L'Amérique en guerre

(عاصفة في دماغ أمريكا في حرب)

Marc FUMAROLI

Paris, éditions de Fallois, 310pp, 20 euros.

تواجه استراتيجيات صقور المحافظين الجدد الأمريكيين اندحاراً ذريعاً على الشرق الأوسط. فبعد ثلاثين عاماً من انقضاض حرب فيتنام، ها هي الولايات المتحدة مضطرة للنظر في إمكانية سحب قواتها من العراق. وهو الأمر الذي سيكون بالنسبة للإمبراطورية الأمريكية أكثر

إدلالاً مما كان عليه سقوط سايغون في 1975. فكيف وصلت أمريكا إلى هذا الدرك الأسفل؟ هذا هو التساؤل الذي يثير «عاصفة في دماغ»، كل من توجه إليه سياسيات فومارولي بالسؤال لإجابه هذه الوثيقة الهامة، التي تقدم للقارئ الفرنسي صورة حية للتفاعلات الرافعة في محيط صناعة القرار في واشنطن، بشأن الخيارات السياسية لإدارة الرئيس بوش في أعقاب أحداث الحادي عشر من سبتمبر. خمس عشرة شخصية أو يزيد يدلون بشهاداتهم للفرد، منهم أساتذة جامعيون وكاتب صحفيون ودبلوماسيون وستارون بالبيت الأبيض ويحالة في مراكز الفكر الاستراتيجي، من أبرزهم صامويل هانتنتون، وجيريمي راكين، وأرنست سولتز، وويل كريستول، وروبرت دو جارليك، وجون مرسهايم، وستانلي هوفمان، والإنجليز توني جود، وغيرهم.

يعرض فومارولي باستنفاة بالأمثلة دافعة تلك الصفوة المصطفة من عقول أمريكا، التي تدفعها الابتكارات والمؤسسات التي تجود بفكرها على كتلتها السياسية المتنازعة من الديمقراطيين والجمهوريين، ولكني تأولف الرأي العام حول هذين الحزبين من خلال ما تلخه أفلام تلك الصفوة من كتب ومقالات ومحاضرات مدفوعة الأجر، ومسجلة لأسباب التقدير والتمييز.

السياسة الكبرى هي تلك التي تقف على الصدقات الإيديولوجية المتواصلة، وهي التي تعيد تعيين أهدافها بصورة مستمرة، عبارة لهنري كيسنجر يستشهد بها فومارولي في

مقدمة الكتاب، مهدداً لحالة التفحص القلق التي تعيشها عقول الصفوة لحال السياسة الأمريكية الراهنة، والتي لا تكف عن إعادة رسم الصورة المثلى لتمكين أمريكا من الاستفادة من قوتها، لاسيما في ضوء «النكسة»، التي تعيشها قواتها في العراق.

على أن فضيلة هذا الكتاب الأولى هي تلك النظرة التي يوجهها فومارولي، الصحفي الفرنسي الشاب على العالم القديم من موقعه في الولايات المتحدة، بغية توصيف العلاقة التي تربط اليوم، عبر الأطلسي، بين أمريكا وبين أوروبا، التي تخطى هيموتون النتائج التي يعود بها قد تخيب رجاء مواطنيه خفي واشتغل، كما في نيويورك وفي بوسطن، وسواء أكان محدثو هيموتون على مدرسة المحافظين الجدد، أو كانوا ممن يمتثلون إلى المدرسة الواقعية، فجميعهم متفقون على أن أوروبا قد شلت في تخطي هيموتون لخلق أوروبا فيدرالية موحدة، أو كما أسماها الكاتب «ولايات متحدة أوروبية». أوروبا هذه، الراكدة إلى ضعفها، هي التي، في رأي مفكر أمريكا، تأسد بالجوء إلى التفاوض، وتستعين بمنظمة الأمم المتحدة، ولتسبل التسوية السلمية، لا عن قناعة فعلية بهذا الخيار الاستراتيجي، ولكن لتكون القارة المجوز تقتصر إلى أدوات صناعة الحرب.

ومن خلال الوجود التي يبرزها الكاتب بيراعة في نافذة عرضه الفكرية، تبرزت إحساساً عاماً بما تحمله أمريكا اليوم من استهانة بالشأن الأوروبي، وهي استهانة مشوبة بمخاوف وهواجس تتزاحم فيها صور نهاية القارة العتيدة أوروبا، التي أصابها العلم الجيولوجي، وراث أفواج المهاجرين المسلمين تفرقها عن كل حذب صوب، إذ شدد محدثو فومارولي غير ذات مرة على الخطر القاتل الذي يمسله الإسلام على حضارة القارة الأوروبية، وتهاونوا على مواجهته، تحت دعاوى الالتزام بقضية التنوع الثقافي.. الكاتب، وإن كان محيطاً للقارئ الأوروبي، فهو مفيد للقارئ العربي، لاسيما وهو يحمل إدانة لسياسة جورج بوش في العراق، إذ يختتم المؤلف كتابه بشهادة روبرت دو جارليك، السياسي الشاب الذي تم تغريب كلماته منذ 2004 في التنديد بالحرب على العراق. إذ يقول إن «العراق هي اللحظة التي كشفت عن الفشل الفكري والأخلاقي للنخبة الأمريكية.. تلك شجاعة أدبية افتقر إليها الكثيرون من حواريهم سياسيات فومارولي في كتابه.

## Israël, Palestine. Vérités sur un conflit

(إسرائيل، فلسطين. حقائق حول نزاع)

Alain GRESH

Paris, Fayard, 266 pp, 19 euros.

عشية مؤتمر «أنابوليس»، أصدرت دار نشر «فأيار، طبعة ثانية من كتاب «إسرائيل، فلسطين. حقائق حول نزاع» للصحفي «الآن جريش»، المحرر الشهير بصحيفة «الووموند ديبلوماسيك»، الفرنسية، والكاتب المتخصص في شؤون الشرق الأوسط. ورغم أن تلك الخطوة قد تبدو وكأنها نتاج انتهازية ربحية، فقد كانت في واقع الأمر خطوة واجبة تستحق التحية والتقدير.

إذ يعد هذا الكتاب بمثابة أداة تعريف مثلى بأبعاد النزاع العربي الإسرائيلي في مختلف فصوله ولحقاته، أداة تستفيد شباب القراء الفرنسيين، من تشبث وسائل الإعلام في تضليلهم لخدمة أهداف سياسية واقتصادية معروفة. في هذا الكتاب، يسرد جريش الأسباب التي أدت إلى تبديد آمال السلام التي ولدت عقب المصالحة التاريخية الشهيرة بين عرفات وإرابين في أوسلو عام 1993. ويوضح الجدور الدفينة لصراع الفلسطينيين، ويستعرض أسباب الخلاف المعاصر بمنطقة الشرق الأوسط منذ أكثر من ستين عاماً، منذ نشأة الحركة الصهيونية وحتى اليوم، ويشرح بكامل تفاصيلها مأساة اللاجئين الفلسطينيين، وكفاحهم من أجل إقرار حق العودة.

الكتاب، الصادر بمسرة تاريخية ثرى ويجمع خرافات وتوصيفات قديمة، يضيف في طبعته الثانية فصلاً كاملاً حول تطورات أزمة السلطة الفلسطينية منذ فوز حماس في انتخابات 2006، واستغلال إسرائيل لهذه الأزمة، ويشرح باستفاضة أسباب فشل مفاوضات السلام، والتمترار التلافية، لاسيما دور المجتمع الدولي، والنسول «الرائعة»، لسلام (إحسان عملية السلام)، إذ بين جريش كيف دأبت الولايات المتحدة والاتحاد الأوروبي على انتهاز منسلك موجد منذ لعب دور الحكم، يقضي بمعاملة أعنت الضغوط على الفلسطينيين، بوصفهم الطرف الأضعف، لمجهم على تقديم المزيد والمزيد من التنازلات، مشيراً إلى أن «العمليات أوسلو التي كان المقرن تقضي إلى الحرية وإلى السلام قد أصبحت بالنسبة للفلسطينيين مصدراً للإهانة المتكررة ولزبد من الانكسار من يون أن تضمن تلك الاتفاقيات للإسرائيليين الأمن المنشود.

الكتاب، الذي ولد ونشأ في مصر، يتطرق عن ذلك في مهمته مسترشداً بوصلة المثلث الإنساني التماسي، التي يعيد إلى إحسان الواقع إلى منزلت اللجوءين الموضوعين قدر الاستطاع، مع السعي إلى الربط بينها لاستخدامها في بناء نماذج أكثر تفصيلاً.

## Israël, Palestine. Vérités sur un conflit



المعد المائة وتسعة - فبراير 2008 م

مع زيرو المحافظات من المصرية للاتصالات

# الكل بيتكلم أرضى



اشترك  
فى  
زيرو المحافظات  
مجاناً

animation advertising



المصرية للاتصالات  
Telecom Egypt

شبكة واحدة .. بتقربنا كلنا

مع المصرية للاتصالات  
الكل بيتكلم أرضى

لأن سعر دقيقة المحافظات  
يبدأ من ٨ قروش وحتى ٢٠ قرشاً  
حسب المسافة والتوقيت

لمزيد من المعلومات زوروا موقعنا  
[www.telecomegypt.com.eg](http://www.telecomegypt.com.eg)

أو اتصل بنا على ١١١



يسر مؤسسة محمد بن راشد آل مكتوم الإعلان عن برنامج "اكتب" الذي يُعنى بتشجيع ودعم  
الكتاب المبدع المصنوع وحفره على التأليف في سبيل المجالات، وإعطاء الجيل الجديد من الكتاب  
فرصة لمباشرة إنتاجهم الإبداعي وإطلاق طاقاتهم الفكرية الكامنة.